



المسيرة القرآنية في اليمن

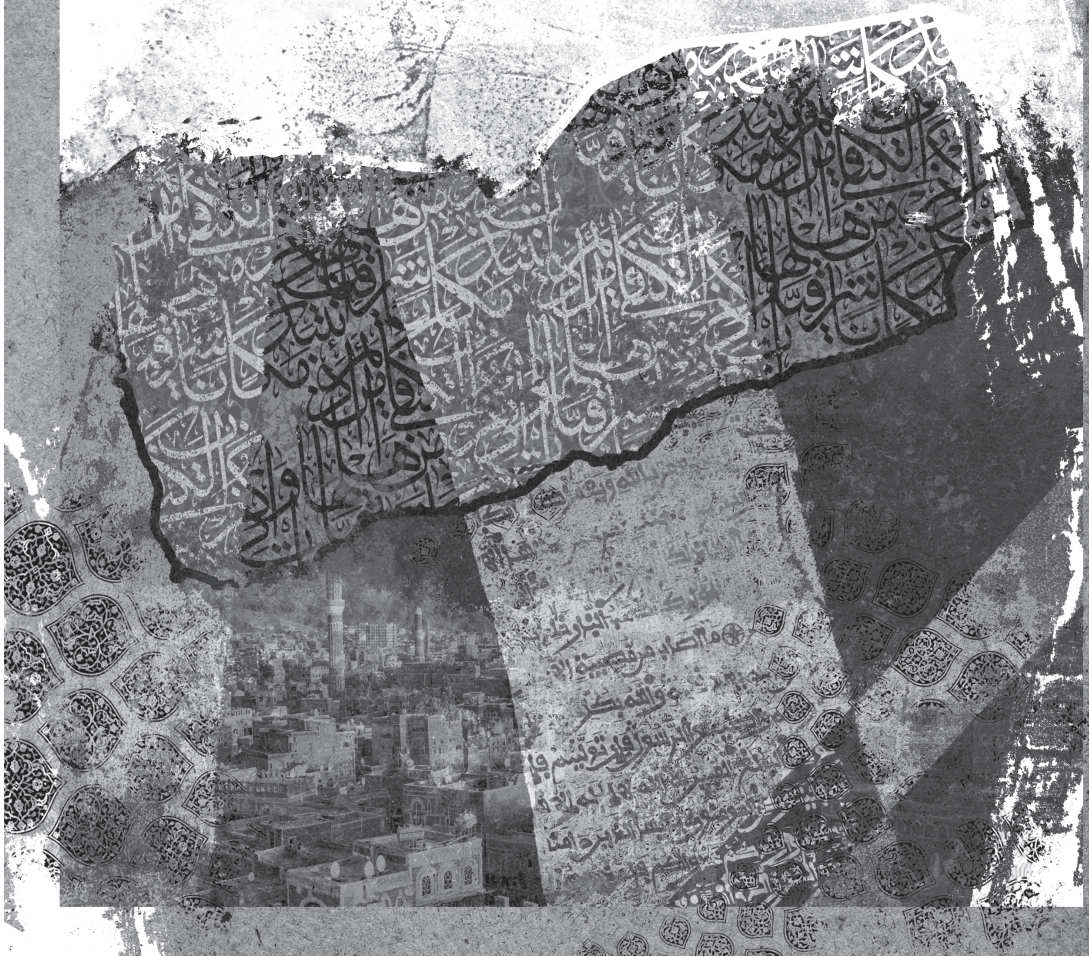
الجزء الثاني



المسيرة القرآنية في اليمن

الجزء الثاني

الأستاذ يحيى قاسم أبو عواضة



© جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-142-2

[٢٠١٩م - ١٤٤٠هـ]



تصميم:

زينب ن ترمس

إخراج فني:

ماجد مصطفى

طباعة
DB UK
0096 13 3362 18
info@dboukart.com



الفهرس

- الفصل السادس: ثلاثة أعوام من العدوان صمود وثبات..... ٩
- أولاً: ثلاثة أعوام على العدوان: أدواته- أهداف مواجهته- ثمرة هذه المواجهة ١١
- ثانياً: المبررات السخيفة لقوى العدوان والعمالة وحقيقته..... ٣٩
- الفصل السابع: الحرب الناعمة (الأخطار والمعالجات)..... ٥٧
- أولاً- الحرب الناعمة وخطورتها..... ٥٩
- ثانياً- طرق الوقاية من أخطار هذه الحرب..... ٦٥
- ثالثاً- الحرب الإعلامية..... ٩٩
- رابعاً- مواقع التواصل الاجتماعي وأثارها الخطيرة..... ١٠٥
- خاتمة..... ١٠٩
- الفصل الثامن: المنافقون أقدر أدوات العدو لضرب الأمة..... ١١٣
- أولاً- من هم المنافقون؟..... ١١٧
- ثانياً- بعض مواصفات المنافقين..... ١٢٣
- ثالثاً- من أساليب المنافقين..... ١٣٣

- ١٤٣ رابعًا- نهاية المنافقين
- ١٥٧ الفصل التاسع: فريضة الحجّ الأهداف والاستهداف
- ١٦١ أولًا- الدور المحوريّ للبيت الحرام
- ١٦٩ ثانيًا- من أبرز أهداف الحجّ
- ١٧٥ ثالثًا- استهداف شعيرة الحجّ
- ١٩١ الفصل العاشر: الشهادة عطاء قابله الله بعطاء
- ١٩٧ أولًا- الصراع في واقع البشر وضرورة مواجهة قوى الشرّ
- ٢١٣ ثانيًا- طريق الشهادة
- ٢٤٥ ثالثًا- مدرسة الشهادة
- ٢٩١ الفصل الحادي عشر: يوم القدس العالمي يوم ليقظة الشعوب
- ٢٩٥ أولًا- أهميّة القدس وإحياء المناسبة
- ٣٠٣ ثانيًا- نشوء الكيان الإسرائيلي
- ٣١٧ ثالثًا- واقع الأمة
- ٣٣٥ رابعًا- مخططات العدو
- ٣٤٧ خامسًا- مسؤوليتنا اليوم

الفصل السادس:

ثلاثة أعوام من العدوان صمود وثبات



أولاً: ثلاثة أعوام على العدوان: أدواته- أهداف مواجهته- ثمرة هذه المواجهة

«في يوم [٢٦ مارس ٢٠١٥م] وقبل ثلاث سنوات ومن عاصمة الشيطان الأكبر (من واشنطن)، أعلن السفير السعودي الحرب الغاشمة والظالمة على شعبنا اليمني العظيم، ودخلت إلى مسرح الأحداث تلك القوى الباغية والظالمة والمجرمة بشكل مفضوح ومكشوف وبكل طغيان وتعتت ووحشية وإجرام. هكذا وبدون مقدمات، بدون مبررات، تدخل تلك القوى إلى مسرح الأحداث معلنةً عدوانها على شعبنا اليمني العظيم، ومباشرةً - هذا العدوان - ابتداءً بغارات جوية ظالمة استهدفت العاصمة (صنعاء) ليكون أول ضحاياها من المدنيّين، من النساء والأطفال المظلومين.

وحتى اليوم، يكون قد دام ثلاثة أعوام منذ بداية العدوان (الأمريكي السعودي الإماراتي) الظالم الغاشم، الهادف إلى احتلال بلدنا واستعباد شعبنا، والممارس لأبشع الجرائم، والمنتهك لكل الحرمات؛ العدوان الذي هو في أهدافه باطل وغير مبرر، ولا يمتلك الحق فيما فعل أو أراد.

والعدوان الذي هو في ممارساته انتهك كل القوانين والأعراف والشرائع، ولم يلتزم بأيّ ضوابط: لا إنسانية، ولا شرعية، ولا أخلاقية، ولا بأيّ اعتبار من الاعتبارات أبداً، العدوان الذي هو على مدى ثلاثة أعوام، ومنذ يومه الأول

سعى بكل ما يستطيع إلى سحق شعب مسلم عزيز حرّ، واحتلال بلد مستقلّ، وسعى إلى قهر أمة مستضعفة»^(١).

١- أدوات العدوان وأهدافه

«العدوان الذي على رأسه أمريكا، ومن خلفه إسرائيل، وتولّى كبره النظام السعودي جار السوء، الظالم، والعميل، والخائن لأمتّه. هذا العدوان برأسه المتمثّل بالطاغوت والشيطان الأكبر (أمريكا) الذي هو المظلة الحقيقيّة لهذا العدوان، والعقل المدبّر، والمدير الحقيقي من خلف الستار لهذا العدوان، وأدواته القذرة على رأسها (النظام السعودي) ومعه (النظام الإماراتي) ومن تعاون معهما، ومن استأجره ليشترك معهما، ومن اشتراه النظام السعودي بالمال ليكون شريكاً في هذا الإثم، وفي هذا الجرم الفظيع والشنيع.

عدوانٌ بهذه العقليّة، بهذه الإدارة من جهة أطراف لا تمتلك أيّ من القيم، ولا تلتزم بأيّ من الأخلاق، وهي اليوم التي تمثّل قوى الشرّ والاستكبار والطغيان، تلعب الدور التخريبي والسلبّي في كلّ العالم، وفي المقدّمة منطقتنا العربيّة وعالمنا الإسلامي»^(٢).

«حينما قاموا بهذا العدوان، وعندما مارسوا هذا الطغيان بحقّ شعبنا المسلم العزيز المظلوم بكلّ ما تعنيه الكلمة، وبأهدافهم المشؤومة - أهداف الاحتلال والسيطرة والاستحواذ والهيمنة والاستعباد والقهر - ومارسوا كلّ الجرائم وفعلوا كلّ شيء في سبيل تحقيق أهدافهم، لم يألوا جهداً، ولم يتركوا وسيلة، ولم يتحاشوا من فعل أيّ شيء بُعيّة الوصول إلى هدفهم المشؤوم والسيّء، فكانت الجرائم البشعة جدّاً، جرائم القتل الجماعي، والاستهداف الشامل، والاستباحة لكلّ شيء في بلدنا هي السمّة البارزة لهذا العدوان والواضحة في طبيعة تلك الممارسات الظالمة والإجرامية والعدوانيّة.

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان على اليمن.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

كلّ شيء في هذا البلد منذ أوّل يوم وإلى اليوم كان مستباحًا، ولم يبق أيّ من العناوين التي تُقال أو تُحكى أو يُعترف بها لحماية أيّ شيء يستحقّ الحماية لاعتبار إنساني، أو أخلاقي، أو شرعي، أو قانوني، أو أيّ اعتبار آخر، فأسواقنا استُبيحت، واستُهدف الناس الأبرياء المتسوِّقون العاديّون في الأسواق، بغية القتل الجماعي للناس، والفتك بأكبر عدد ممكن من أبناء هذا الشعب، الأسواق التي يتواجد فيها مختلف أبناء الشعب اليمني، وعادة لا تختصّ بفئة دون فئة، والأسواق ليس لها سمة سياسيّة، ولا أيّ اعتبارات أخرى مذهبيّة، أو أيّ من الاعتبارات والتصنيفات، لا سوق في صنعاء، أو في عدن، أو في الحديدة، أو في تعز، أو في مأرب، أو في أيّ من المحافظات اليمنية يجتمع فيه المتسوِّقون من مختلف المذاهب، من مختلف التيارات، والمكوّانات، والفئات، ويتوفّر فيه الكبير والصغير.

ويحضر فيه أيضًا من ليس له أيّ موقف حتّى تجاه ما يحصل، فتستهدف المساجد كذلك - المساجد وهي بيوت الله لها حرمتها - تستهدف وتستباح. الكثير من المساجد دُمّرت، والكثير من المصلّين استشهدوا تحت طائلة القصف، وأيضًا الأحياء السكنيّة، والبيوت في القرى كذلك - إن في المدن أو في القرى - الكلّ استُهدف، وقُتل الآلاف تحت طائلة هذا القصف - نيران هذا القصف الجوي - الذي هو بالأسلحة الأمريكي وبالقنابل الأمريكيّة والبريطانيّة، كذلك كلّ الأشياء الأخرى، المدارس، المستشفيات، الطرق، الجسور، كذلك البضائع، ومستودعات البضائع.

نأتي إلى الآثار، إلى كلّ شيء في هذا البلد؛ كلّ شيء كان معرضًا للاستهداف، كلّ ما له صلة باليمن، بحضارته، بإنسانه، بشعبه، بحاضره، بماضيه، بمستقبله، لم يوفّروا شيئًا إلّا استهدفوه، وما فعلوه من ظلم كبير، من جرائم بشعة هدفت إلى كسر إرادة هذا الشعب، وإلى تدمير كلّ مقوّمات الحياة»^(١).

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

٢- قرار مواجهة العدوان وأهدافه

«شعبنا وهو يعاني أشد المعاناة في وضعه الداخلي على المستوى الاقتصادي وعلى كافة المستويات، قرّر انطلاقاً من مبادئه، وانطلاقاً من هويّته، وانطلاقاً من قيمه، الصمود، واتجه كلّ الشرفاء في هذا البلد على هذا الأساس (الصمود والتصدي) لهذا العدوان الظالم غير المبرر وغير المشروع. هذا العدوان الأجنبي الذي رأسه أمريكا، وهذا العدوان الذي أدواته أسوأ أنظمة المنطقة طغياناً وإجراماً وظلماً وجبروتاً ووحشيّةً وكيداً، وأسوؤها في لعب الدور التخريبي في المنطقة.

كان خيار شعبنا العزيز في الصمود والثبات والتصدي لهذا العدوان خياراً مبدئياً يفرضه مبدؤه وأخلاقه وخياراً محقّقاً، وخياراً مسؤولاً.

لو قرّر الناس في هذا البلد، لو قرّر الأحرار والشرفاء الاستسلام لكان قراراً خاطئاً بكلّ ما تعنيه الكلمة، ولكان قراراً مخزياً ومهيناً، ولكانت وصمة عار ستبقى إلى الأبد، إلى قيام الساعة، ولكانت كلّ الأجيال الآتية التي كانت ستلحقها تبعات الاستسلام فظيعة ورهيبة جدّاً، وتُكبّل بأغلال لا تستطيع الفكّك منها إلاّ بعد جهد جهيد ومخاض عسير، ستلعن ذلك الجيل الذي قرّر أن يستسلم، لمن؟ لطواغيت وشذاذ الآفاق، للمستكبرين المجرمين الذين لا يمتلكون ذرّة من الإنسانيّة ولا الأخلاق ولا القيم.

لكنّ هذا القرار المسؤول الواعي المبدئي الصحيح السليم الحكيم، الذي انطلق من خلال إرث كبير لهذا الشعب منذ مبعث رسول الله محمّد ﷺ وإلى اليوم، تتوارثه أجيالنا من جيل إلى جيل حتّى وصل إلينا؛ إرث من المبادئ والأخلاق، إرث جعلنا نقرّر على الدوام أن نرفض كلّ أشكال العبوديّة والقهر والإذلال أمام كلّ طواغيت العالم. هذا الإرث الأخلاقي والمبدئي والإنساني جعلنا دائماً نتخذ خياراتنا وقراراتنا انطلاقاً من مسؤوليّتنا، من مبادئنا، من قيمنا، أن نكون أحراراً، وأن لا نقبل إلاّ أن نكون أحراراً، وأن لا يتمكّن أحد أيّ كان، ومهما امتلك، ومهما فعل، ومهما كان حجم معاناتنا، ومهما كان مستوى تضحياتنا، من استعبادنا أبداً .

فهذا القرار في التصدي لهذا العدوان بكل ثبات، بالاستعانة بالله، بالتوكل على الله، بالالتجاء إلى الله، بالاستناد إلى معونته، إلى قوته، إلى نصره، إلى مسانדתه، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾^(١)، ﴿نَعَمْ الْمَوْلَىٰ وَنَعَمْ النَّصِيرُ﴾^(٢)، قرارًا لن نندم عليه أبدًا، ولا ندمننا عليه في يوم من الأيام، ولا زادتنا ممارسات المعتدين الإجرامية والوحشية، تجليات وانكشاف مؤامراتهم ومكائدهم إلا إيمانًا بهذا الخيار وبهذا القرار، واطمئنانًا إلى هذا الموقف، وثباتًا راسخًا ضمن هذا التوجّه.

وبالتالي، لم نزد خلال كل هذه الفترة - مهما كان هناك من تضحيات ومعاناة - إلا عزمًا، وإلا تصميمًا، وإلا إصرارًا واطمئنانًا إلى صحة هذا الخيار، وإلا فما الذي نفعل؟ نستسلم لأولئك القتل، قتل الأطفال والنساء، لأولئك الذين أفسدوا في الأرض وأهلكوا الحرث والنسل، لأولئك الذين استباحوا حرمتنا الإسلامية، لم يحترمونا كمسلمين؛ لأنه عصمة هذا الإسلام (حرمة ديننا، وحرمة مالنا، وحرمة أعراضنا، وحرمة ممتلكاتنا) لم يحترموا أي شيء، انتهكوا كل الحرمات، فعلوا كل شيء، وارتكبوا أبشع الجرائم.

هل نقبل باحتلال بلدنا؟! نقبل باستعبادنا واستعباد شعبنا؟! نقبل بأن يتحوّل اليمن إلى مكب للنفايات الإجرامية والإرهابية؟! وإلى بلد لا نحظى فيه - وهو بلدنا - بأيّ حرية ولا كرامة ولا استقلال، وتصادر حريتنا وإرادتنا، يفرض علينا الآخرون ما يشاؤون؟!.

وما أسوأ ما يشاؤون! وما أفظع ما يريدون! ونقبل بإذلالهم لنا وقهرهم لنا! وإهانتهم واستعبادهم لنا! لا، لا يمكن أبدًا، خيارنا خيار رئيسي وإستراتيجي ومبدئي وصحيح بكلّ الاعتبارات والحيثيات المسؤولة والإنسانية والأخلاقية والشرعية^(٣).

(١) سورة النساء، الآية ٤٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٠.

(٣) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

أ. كشف حقيقة المعتدين وإفلاسهم الإنساني والأخلاقي

«عبّرت هذه الجرائم وهذه الممارسات التي نتاجها استشهاد عشرات الآلاف، بينهم آلاف مؤلّفة من الأطفال والنساء، ودمار هائل في البنية التحتيّة وفي كلّ مقوّمات الحياة، واستهداف للأحياء وحتّى للأموات في مقابريهم، أسفرت هذه المظالم عن مأس كبيرة، وعبّرت عن مدى الحقد والطغيان والإجرام والإفلاس الإنساني والأخلاقي لقوى العدوان، وكشفت عن سعيهم الدؤوب لكسر إرادة هذا الشعب. أرادوا بتلك الوحشيّة، بتلك الجرائم الفظيعة، بتلك الاستباحة الشنيعة، بتلك الأمور الفظيعة والممارسات الرهيبة التي لا نظير لها في أيّ بلد من بلدان العالم الأخرى، كسر إرادة هذا الشعب، وتركيع هذا الشعب حتّى يستسلم، وحتّى يخنع، وحتّى يخضع، وحتّى تتحوّل كشعب يمني إلى مجرّد شعب مستعبد ضعيف مستسلم يأس عاجز مستكين خانع لا يمتلك إرادة.

هذه الفترة بكلّ ما شهدت على مدى ثلاثة أعوام من مظالم رهيبة جدًّا، ومن انتهاكات وتجاوزات باتّ العالم يعترف بها، بما في ذلك الأمم المتّحدة التي بذلت كلّ جهد في سعيها للتعتيم على هذه الجرائم والتقليل منها، وسعت إلى التواطؤ بشكل كبير مع قوى العدوان؛ لكنّها في الأخير لفداحة وفضاعة تلك الجرائم وكثرتها جدًّا اضطرت إلى أن تعترف بمستوى، أو بقدر من هذه الجرائم، ولو لم تعترف تجاه هذه الجرائم والمآسي بمستواها الحقيقي والفعلي، ولكنّها في الأخير أقرّت واعترفت.

كما تتحرّج كثير من المنظّمات الدوليّة - التي كثيرًا ما تواطأت واشترى النظام السعودي موقفها بالمال - في كثير من الأحيان، وتجاه الكثير من الجرائم المتجدّدة، من الصمت تجاهها فتدفع لها الأموال الكثيرة، ولكن مع كلّ ذلك، أُجبرت فداحة هذه الجرائم، وكثرتها وفضاعتها الجميع في هذا

العالم من منظمات وصولاً إلى الأمم المتحدة إلى الاعتراف بأنّ هناك جرائم، بأنّ الأطفال اليمينيّين يُقتلون، بأنّ الحرمات تنتهك في اليمن.

اليوم - أيضاً - بدأت بعض الأصوات الحرّة تتعالى في كثير من البلدان والشعوب، وهي تعبّر عن امتعاضها وألمها وتضامنها مع شعبنا اليمني المسلم العزيز^(١).

ب- كشف أقنعة مفتعلي الجرائم بحق شعبنا

«عزّت هذه الجرائم الفظيعة، والانتهاكات، وهذا العدوان بأهدافه المشؤومة وبممارساته الإجراميّة كثيرين، وفضحت وكشفت آخرين. وكانت اختباراً حقيقيّاً وكبيراً وفعليّاً للجميع في العالم وفي المنطقة على مستوى الحكومات والأنظمة، وعلى مستوى الشعوب، وعلى مستوى الكيانات، وعلى مستوى النخب.

من سينطق بالحقّ أمام هذا المشهد المريع والهائل والمأساوي: الظلم، والقتل، والاضطهاد، والحصار، والتجويع، والممارسات الإجراميّة الفظيعة جدّاً، من سيتخذ الموقف الذي تفرضه عليه إنسانيّته، إن كان بقي له إنسانيّة، ويفرضه عليه انتماءه الديني والإسلامي والعربي، إن كان ينتمي إلى دين الله وإلى رسالة الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم)؟

هذه الجرائم عزّت أصحاب الادعاءات والتصنيفات؛ ديمقراطيّة، وحقوق الإنسان، ومنظمات وكيانات كلّ منها له دعواه وله شعاره وله عنوانه. وقد تجلّت الحقائق بشكل كبير، وفي نفس الوقت، كشفت حقيقة النظام السعودي ومدى عمالته لأمريكا وإسرائيل، وأنّه نظام لا يمتلك مشروعاً بالأصالة، فما هو مشروعه؟ ليس له أيّ مشروع أبداً، والنظام الإماراتي كذلك، لا يمتلك أيّ منهما مشروعاً حقيقيّاً لصالح الأُمّة، لصالح العرب، لصالح

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

المسلمين، لصالح شعوب هذه المنطقة، بل كلاهما يلعب دورًا تخريبيًا، وكلّ منهما ليس أكثر من عميل وأداة بيد الأمريكي وفي خدمة الإسرائيلي.

ومنذ بداية العدوان وإلى اليوم، تجلّت الكثير من الحقائق، سقطت الأقنعة، وانكشفت حقيقة النظام السعودي، وبدأنا نراه كيف يعادي القضية المركزية للأمة؛ موقفه تجاه القضية الفلسطينية، تجاه القدس والمسجد الأقصى والمقدّسات، تجاه الشعب الفلسطيني العربي المظلوم، كيف يتآمر على هذا الشعب وعلى تلك القضية المركزية! كيف يقف بكلّ وضوح أمام مرأى ومسمع العالم إلى جانب الإسرائيلي! وكيف يسعى متآمرًا إلى تحقيق الأهداف التي يسعى الإسرائيلي للوصول إليها في السيطرة والإقصاء التامّين للفلسطينيين عن الأقصى وعن القدس!!»^(١).

ج- فضح النظام السعودي أمام ما يرتكبه من جرائم

«تجلت الكثير من الحقائق، واتضح الكثير من الأمور، وظهر النظام السعودي نظامًا دميويًا مجرمًا ظالمًا غشويًا، لا يلتزم بأيّ من الأخلاق ولا الأعراف، وينتهك كلّ الحرمات، ولم يعد ينفعه أن يتظاهر بأنّه نظام إسلامي وأنّه نظام عربي، دعاواه بأنّه يحمل راية الإسلام ويعبّر عن المسلمين بحكم الحرمين الشريفين لم تتجاوز مستوى دعوى (أبي جهل) يوم كان أبو جهل متواجدًا في مكة المكرمة، وكان ينطلق منها للحرب ضدّ رسول الله وضدّ الإسلام والمسلمين وضدّ المهاجرين والأنصار سواءً بسواء».

الذي عليه النظام السعودي في ممارساته الإجرامية، في دوره التخريبي، وفي عمالته لأمریکا، وفي خدمته لإسرائيل، وفي مؤامراته على شعوب المنطقة لا يمتّ لمبادئ الإسلام، ولا قيمه، ولا تعاليمه، ولا للعرب والعروبة بأيّ صلة أبدًا، ممارسات جاهليّة، ممارسات وحشيّة ظالمة، مؤامرات ومكائد مرتبطة كليًا بالأمريكي والإسرائيلي، وبدا النظام السعودي اليوم شاذًا عن

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

الأمة، خارجًا عن صفها، متأمراً على الأمة، كائناً لها، وبدا أنه ليس أكثر ولا أقل من أداة بيد الأمريكي يستخدمه في هذه المنطقة في أشجع دور تخريبي، وفي أشجع ممارسات إجرامية ووحشية، هذا هو واحد من التجليات والحقائق التي ظهرت خلال هذا العدوان منذ بدايته وإلى اليوم.

شعبنا اليمني العظيم، منذ اليوم الأول، ومنذ بداية هذا العدوان وقف كل الأحرار والشرفاء فيه بكل صمود وبكل ثبات بالرغم من كل الصعوبات ومن كل الشدائد ومن كل المحن، بالرغم من الظروف التي كانت قد توفرت لصالح شن هذا العدوان على بلدنا، فيما هُيئت ظروف واعتبارات ومناخ يساعد على أن تتحرك قوى العدوان وهي مرتاحة: لها غطاء سياسي على المستوى العالمي، تمتلك غطاء إعلامياً كبيراً جداً لتبرير هذا العدوان من أساسه ولتبرير ممارساته والتغطية على جرائمه. أمّن لهذا العدوان من خلال الجانب السياسي، ومن خلال الجانب الإعلامي، وأيضاً من خلال حتى التبريرات الدينية بالفتاوى الباطلة والأصوات الشاهدة بالزور والمؤيدة لهذا الظلم من البعض تحت النعمة الطائفية أو غيرها تأييد واسع وتبرير كبير وتغطية عالمية وإقليمية جعل شعبنا في بداية هذا العدوان يعيش حالة الغربة ويرى في الآخرين إمّا مؤيدين لهذا العدوان، وإمّا متخاذلين، وإمّا لهم مواقف محدودة؛ البعض على استحياء، البعض بمستوى معين، والقليل القليل من وقف بمسؤولية وكان لهم صوتهم العالي والصريح وموقفهم الواضح والثابت والمبدئي والإنساني والأخلاقي الراض لهذا العدوان»^(١).

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

أ- ثلاثة أعوام من الوحشية ترجم فيها شعبنا إرادته الحرّة وإيمانه الصادق

«شعبنا العزيز في مقابل ثلاثة أعوام من الإجرام والعدوان، ثلاثة أعوام ما طلع فجر ليل فيه، ولا غربت شرق نهار فيه إلا وسفكت دم اليميني ظلماً وعدواناً، ثلاثة أعوام من القصف بكلّ الوسائل المحرّمة، بكلّ الأسلحة المحرّمة والمحظورة دولياً، ثلاثة أعوام من الاعتداءات الإجراميّة والوحشيّة في مقابل ذلك ثلاثة أعوام من الصمود، ثلاثة أعوام من الثبات، ثلاثة أعوام ترجم فيها شعبنا عملياً إرادته الحرّة، واستقلاله الذي يصرّ عليه. أثبت أنّ إرادته لن تنكسر؛ لأنّها إرادة نابعة من إيمان، ومن أخلاق، ومن قيم، ومن مبادئ، ثلاثة أعوام من الصبر الجميل، والصمود العظيم والثبات الإيماني الذي يساوي جبال اليمن الكبيرة والكثيرة، من (نُقم) إلى (عُطان) إلى كلّ هذه الجبال الراسخة في أرض اليمن.

ثلاثة أعوام قدّم فيه أبناء هذا الشعب تضحيات كبيرة وعظيمة ومشكورة يصدرها التاريخ، تتقرّب بها إلى الله سبحانه وتعالى، والأعظم عطاءً والأعلى عطاءً هم (الشهداء) الذين ندعوا لهم بالرحمة، الذين نمجّد ونشكر عطاءهم، والذين قدّموا حياتهم في سبيل الله تعالى، وفي الدفاع عن هذا الشعب المسلم العظيم والعزيز.

ثمّ أسرهم العريضة الكريمة الصابرة الثابتة التي لم يصيبها الوهن برغم عطائها الكبير، والكثير من الأسر قدّمت الكثير من الشهداء، البعض من الأسر قدّمت كلّ رجالها شهداء والبعض منهم أغلب أبنائها شهداء. عطاء كبير وتضحيات، مواقفهم العظيمة، وكان صبرهم عظيماً وثباتهم عظيماً، ومعنوياتهم عالية، يعتزّون ويفتخرون بعطائهم وبشهادتهم، ونحن نفتخر بهم هم، ونفتخر بهؤلاء الشهداء، بأولئك العظماء والأبطال.

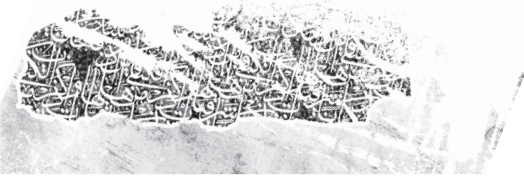
ثمّ كذلك نشكر جرحانا الصابرين على عظيم المعاناة؛ شحّة الأدوية، تردّي الخدمات الطبيّة، مشكلة السفر إلى الخارج لإجراء عمليّات جراحية أو

للتداوي في الخارج مع انعدام أو ضعف الإمكانيات بشكل كبير في بلدنا، لكنهم صابرون رغم ألم الجراح وحجم المعاناة، ثم كل أبناء هذا الشعب، الطبقة الكبيرة الفقيرة من أبناء هذا الشعب الذين هم مع عظيم المعاناة التي تصل إلى حد المجاعة والفقر الشديد والمعاناة الشديدة، كانوا هم الأكثر صبرًا والأعظم عطاءً، وكانوا هم في مقدّمة هذا الموقف قبل غيرهم الأضر والأثيبت، الأعظم صمودًا والأقوى موقفًا والأعلى شموخًا، لا حجم الفقر، ولا حجم المجاعة والمعاناة جعلهم يستسلمون ويأسون أبدًا.

ليس هذا فحسب، بل التحرك العظيم للرجال الأبطال والأوفياء، لكل ذوي الحماية الإيمانيّة والغيرة الإنسانيّة، لكل الأحرار بكل ما تعنيه الحرّيّة بكلّ ثبات إلى جبهات القتال، إلى كل الثغور في هذا البلد للتصدّي للغزاة ولمرتزقتهم وعملائهم بكلّ صمود، وبكلّ ثبات، (الرجال الأوفياء) الذين ستحكي الأجيال القادمة عن بطولاتهم، عن صمودهم، عن ثباتهم ولديها ما تحكيه بأعظم ممّا قد حكاه أيّ جيل من أجيال هذا الشعب عن الأجداد الأوائل من بطولات على مدى التاريخ.

هؤلاء صمدوا أمام أحدث وأفتك أنواع السلاح والقدرات العسكريّة الحديثة، هؤلاء صمدوا وهم في ميدان القتال ترصدهم أحدث أنواع الرصد من الأقمار الصناعيّة، من طائرات الاستطلاع إلى كلّ وسائل الرصد الحديثة، وتلاحقهم أنواع الطائرات والقنابل الذكيّة والصواريخ الموجهة... إلى غير ذلك، صمدوا في ميدان القتال حتّى عند الجوع، وحتّى عند الظروف الصعبة، حتّى في الوقت الذي تنعدم فيه حتّى الأحذية وتكون المعاناة كبيرة حتّى في امتلاك أبسط الأشياء.

صبر من واقع صعب، من واقع تحديات كبيرة، وفي ظروف عصيبة، صبر بكلّ ما تعنيه كلمة الصبر، صبر منبّه إيمان، صبر منبّه استحضار لذكر الله سبحانه وتعالى ولمعيّته، منبّه قناعة راسخة بعدالة القضيّة، وأحقّيّة الموقف، وصوابيّة القرار والتوجّه، وتقديس لهذا الموقف، نحن في موقف مقدّس وموقف إيماني وموقف عظيم نفتخر به في الدنيا، ونرفع به رؤوسنا شامخةً



في محضر الله (يوم القيامة) على كل موقف عملناه وكنا فيه قربةً إلى الله، وإرضاءً لضميرنا، والتزامًا فعليًا وترجمةً حقيقيةً لمبادئنا وأخلاقنا وقيمنا»^(١).

ب- ثلاثة أعوام من الصمود تحطمت فيها آمال الغزاة باحتلال هذا البلد

«على مدى ثلاثة أعوام كان هذا الصمود العظيم؛ فالأعداء كانت حساباتهم، ورهاناتهم، وآمالهم الوهميّة والسراييّة والخياليّة بأنّ المسألة لن تكون مسألة ثلاثة أعوام، حساباتهم لأسبوعين، وأقصى المدّة الزمنيّة لشهرين، وأرادوا ليمننا هذا ولشعبنا العزيز أن يتحوّل - وخلال أيّام معدودات - إلى بلد محتلّ كلّ من صعدة إلى المهرة يتواجد فيه الأجانب أينما شأؤوا وأرادوا ليكونوا هم أمراء وقادة بهذا البلد، ويكون الآخرون عبيدًا، ومستعمرين، ومأمورين لا خيار لنا، لا قرار، لا إرادة، لا حرية لنا إلاّ بما أردوا، إنّما تلقى القرارات والتوجيهات من أولئك وهم من موقع الاستكبار والطغيان والتعالي والغطرسة والعنجهيّة يأمرون ويقرّرون ويفعلون ما يشاؤون ويريدون، ومن يخالفهم - أي يمني، أيّ مسؤول في أيّ موقع من مواقع المسؤوليّة - يمكن أن يسجنوه بكلّ بساطة يمكن أن يوقفوه، بكلّ استهانة يمكن أن يصفعوه.

أرادوا هم أن نكون شعبًا لا ذرّة له من الكرامة، يُعامل أيّ منّا في هذا البلد باعتباره رجلًا إمّا اشتروه بالمال وإمّا أخضعوه بالقوّة ولا وسط بين ذلك، يعني: إمّا إن تكون عبدًا باعتبار أنّهم دفعوا فيك شيء من المال [خلاص اشتروك] وإمّا أن تكون عبدًا لأنّهم أخضعوك بالعصا، فعبد اشتري بالمال، وعبد خنع بالعصا، والعصا أيضًا للآخر إذا أراد أن يرفع رأسه يقمعونه بها.

أرادونا أن نكون - خلال أيّام معدودات - شعبًا فاقداً للحرية، للاستقلال، ومستعمرة يتجيش الكثير من أبنائه كجنود يدفّعون إلى المعارك والحروب العبيثيّة والإجراميّة والفوضويّة والتخريبيّة ويخسرون حياتهم فيها مقابل القليل من المال، والباقيون يكون البعض منهم حراس في المنشآت والقواعد التي

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

يفرضونها في بلدنا. ثمَّ يكونون هم من يتجهون إلى نهب ثروات هذا البلد سواء في حضرموت وشبوة أو في أيِّ محافظة من المحافظات اليمنيّة، وأن يكونوا هم من يسيطرون السيطرة التامّة على المطارات والموانئ وعلى كلّ القواعد والمواقع الإستراتيجية والحيويّة في هذا البلد، وأن يكون اليمنيون لا اعتبار لهم حتّى في مطار أو منشأة حيويّة أو ميناء أو أيّ موقع أو منفذ مهمّ. لا، اليمني في بلده بحسب اعتبارهم ورغبتهم وإرادتهم ليس في مستوى أن يكون هو صاحب القرار.

وقد حاولوا أن يعملوا على استغلال كلّ التناقضات وكلّ الخلافات وكلّ التباينات على المستوى السياسي، وعلى المستوى المذهبي، على مستوى اعتبارات متعدّدة حتّى الخلافات الاجتماعيّة؛ ليحوّلوا الجميع إلى حالة من الاقتتال والتنازع والانشغال ببعضهم البعض - وهذا في فترات الفراغ - إذا لم يكن لهم معركة هناك أو هناك يدفعون بالآخرين إليها في حالة الفراغ، ويتعاملون بكلّ امتهان مع الجميع.

ثمَّ لا نحظى بأمن ولا باستقرار اقتصادي ولا سياسي ولا بأيّ شكل من أشكال الاستقرار، فنكون شعبًا قد خسر حرّيته واستقلاله وأمنه وخسر كلّ مقوّمات الحياة وأصبح مستعبدًا بكلّ ما تعنيه الكلمة.

وأرادوا ذلك خلال أيام قلائل، وحين طالت الفترة وظهرت مستجدّات - خارج حساباتهم - اعتبروا أنّ شهرين كافيين بحسمها والتغلّب عليها ولكنّ [اليمن الذي أرادوه لن يتحقّق لهم]»^(١).

ج- يمن اليوم بعد الأعوام الثلاثة صار يمنيًا صامدًا

«ويمن اليوم بعد الأعوام الثلاثة صار يمنيًا مختلفًا، الشعب اليمني الذي أرادوه ذليلًا ومستعبدًا ومقهورًا وهيئًا وخانعًا وراكعًا وخاضعًا ومستسلمًا لهم ها هو اليوم شعب شامخ، عزيز، صامد، ثابت، حرٌّ بما تعنيه الكلمة، ويمكن للعالم

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

أن يتغنى بحريّة الشعب اليمني، وأن يفتخر بصموده، ويمكن للإنسانيّة كلّها أن تنظر بإكبار واعتزاز إلى هذا الشعب الصامد مع عظيم المعاناة وكبير التحدّيات، ومع مستوى الجراح الكبير، جراح كبيرة وغائرة في هذا البلد وفي هذا الشعب الصامد مع الجوع، الصامد مع البرد، الصامد مع المعاناة، صامد في وجه قوى الطاغوت التي حظرت إلى هذه المعركة بكلّ ثقلها وبأحدث إمكانيّاتها.

الشعب الذي أرادوه أن يكون مفلسًا من كلّ شيء، مفلسًا حتّى من حرّيته، من استقلاله ومن كلّ مقوماته، وأرادوه شعبًا ضعيفًا لا يمتلك شيئًا وليس بيده شيء، هو اليوم بعد هذه الأعوام الثلاثة تصل صواريخه الباليستيّة إلى وسط معاقلهم، إلى وسط (الرياض) إلى قصرهم (قصر حكمهم) إلى حيث رمزيّة حكمهم.

يمن اليوم هو يمن حرٌّ بكلّ ما تعنيه الكلمة، حرٌّ بعد كلّ تلك المحاولات الكبيرة جدًّا، والتي استخدم فيها أكبر الوسائل والإمكانات العسكريّة بغية أن تسلب حرّيّة هذا البلد وهذا الشعب ففجرت، حرّيّة معمّدة بالدماء، حرّيّة قوّتها وعمّقت من جذورها - في أرض اليمن - الدماء الغزيرة، دماء الآلاف المؤلّفة من الشهداء الأبرار، حرّيّة أرسّتها في الأرض مظلوميّة لا نظير لها في العالم، ومع تلك المظلومية العظيمة الكبيرة صمود عظيم لا نظير له في العالم فيما يقابله من عدوان.

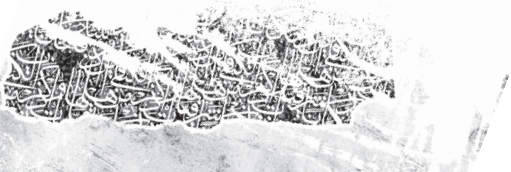
اليوم (يمن اليوم) بعد الأعوام الثلاثة يمن صامد يتّجه الآلاف فيه إلى ميادين القتال بكلّ ثبات واستبسال وبصبر عظيم، ويمن يفتخر فيه كلّ المضحين، أسر الشهداء ومن حولهم ومن خلفهم، يفتخر الجميع بعطائهم وتضحياتهم، ولا تنكسر إرادتهم بذلك، بل ازدادوا عزمًا بقدر ما كانت التضحيات، وازدادوا ثباتًا بقدر ما كانت المعاناة، وازدادوا عزمًا وتصميمًا وقوة إرادة في مستوى التحدّيات.

ولذلك، اليوم الذي أطلق فيه صاروخ بركان ٢ ليصل إلى قصر اليمامة في وسط الرياض؛ لنقول للعالم، وللمعتدين: كلُّما ازدادت جرائمكم، وكلُّما تعاضمت وحشيتكم، وكلُّما زاد طغيانكم سيقابله المزيد من صبرنا، والمزيد من ثباتنا، والمزيد من عزمنا، وتصميمنا، والمزيد من ابتكاراتنا لكلِّ الوسائل الدفاعية.

أنتم ارتكبتم وتركيبون أبشع الجرائم بشعبنا، وأنتم أتيتم إلينا معتدين بغير حقٍّ، بدون أيِّ مشروعية، لا مشروعية لكم، لا في ممارساتكم الإجرامية، ولا في أهدافكم المشؤومة والسيئة، ما الذي تظنون أن نقابل أفعالكم هذه، أفعالكم الوحشية والإجرامية والبشعة؟ ماذا تظنون أننا سنفعل في مقابل ما تفعلونه بنا؟ في مقابل قتلكم للآلاف المؤلفة من أطفالنا دون أيِّ رحمة، بقيم الجاهلية التي كانت تئدُّ وتقتل الأطفال وكائنكم لا تنتمون أيُّ انتماء إلى دين رسول الله محمد ﷺ؟! ولا مثقال ذرة من الرحمة رحمتهم بها أطفالنا، ولا مثقال ذرة من الرحمة رحمتهم بها نساءنا، قتلتم مئآت الآلاف الأطفال وآلاف النساء، قُمتم بتدمير كلِّ ما هو مصلحة عامة في بلدنا، تستهدفون كلِّ شيء، قمتم بحصار شعب أكثر من عشرين مليون إنسان تحاصرونهم.

اليوم تعملون بكلِّ جهد إلى تجويعهم، أنتم تعملون بكلِّ ما تستطيعون لإحداث أكبر مجاعة في العالم بحسب اعتراف الأمم المتحدة، وتريدون مئآت في مقابل هذه الجرائم - هذا العدوان الوحشي، هذا التدمير الهائل، إهلاك الحرث والنسل والإفساد في الأرض - أن نبقى مكبلي الأيدي وغاضي الطرف ومتجمدين أمامكم؟! لا يمكن أن نفعل ذلك أبدًا، نحن شعب مسلم عزيز بإيمانه، وشعب حرٌّ، وشعب له إرثه الحضاري الكبير، يأبى الإذلال، يأبى هذه الاستباحة، هذه الوقاحة، هذا الطغيان، هذا الاستكبار.

هذه العنجهية هذا الطغيان الذي لا نظير له إنَّما هو عامل رئيسي في أن نزداد إحساسًا بالمسؤولية، وفي أن نتزوّد - أيضًا - عزمًا وتصميمًا وقوة إرادة، ننتقل للتصدّي لعدوانكم بكلِّ ما نستطيعه، أنتم تقصفون (صنعاء) سنقصف (الرياض) ونقصف (أبو ظبي)، أنتم تعتدون على القصر الجمهوري في صنعاء



تصل صواريخنا الباليستيّة إلى قصر اليمامة في الرياض، أنتم تعتدون على منشآتنا الحيويّة والاقتصاديّة سنقابلكم بمثل ذلك ﴿وَالسِّينَ بِالسِّينِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾^(١).

اليوم هناك معادلة سنفرضها من جديد، وسنسعى بكلّ جدّ وجهد وبمسؤوليّة، هذا يفرضه علينا مبدؤنا، وتفرضه علينا المسؤوليّة إلى أن نبتكر كلّ وسيلة مشروعه للدفاع عن شعبنا وعن بلدنا، ولمواجهتكم في عدوانكم طالما استمرّ هذا العدوان^(٢).

د- كشف حماقة العدو

«أنتم [أيها الأعداء] حمقى وأنتم جهلة وأنتم أغبياء، أنتم مجرمون ومتوحّشون، لم تستفيدوا من كل العبر - أبداً بدأ - من هذا العدوان. تحمّلنا الكثير وصبرنا، لم تتعلّلوا، ولم تراجعوا حساباتكم، وجدتم - أنتم - أنّ المسألة صعبة ومكلفة على اقتصادكم، وكبّدتكم الخسائر، لم تراجعوا حساباتكم، كنتم مستمرّون وتُدفعون دفْعاً، أنتم تتقون بأمريكا وأمريكا تشجّعكم على هذا العدوان؛ لأنّه بالنسبة لها أصبح مصدر دخل، بريطانيا كذلك، وإسرائيل كذلك - كلّهم - يرون في هذا العدوان تفيّداً لأجندة تخدمهم، وتحقيقاً لمصالح لهم مع ما تحقّق لهم من مكاسب اقتصاديّة كبيرة، لكنكم كأدوات غبيّة بكلّ ما تعنيه الكلمة، أنتم في الموقف الخاسر، ما أنتم فيه وما ستصلون إليه في النهاية لا ربح لكم فيه، ولا نتيجة صالحة لكم، ولا نتيجة نافعة لكم، ولا نتيجة مفيدة لكم، كلّما مضى الوقت تتأثرون أكثر فأكثر بكلّ الاعتبارات والمقاييس .

المفترض بعد هزيمتكم المدويّة والتاريخيّة والكبيرة في العراق وسوريا بانتهاء جماعاتكم هناك ومليشياتكم هناك المجرمة والمتوحّشة وهزيمتها الساحقة - كان يفترض - أن تأخذوا الدرس والعبرة، وبعد كلّ هذه المدّة

(١) سورة المائدة، الآية ٤٥.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

الطويلة في عدوانكم على البلد، وبعدها اكتشفتُم أنَّ حساباتكم بالأيام القليلة والمحدودة فاشلة وغير صحيحة وغير منطقيَّة يُفترض أن تراجعوا حساباتكم»^(١).

هـ- كلُّما استمر هذا العدوان سيقابله المزيد من الصمود والصبر والثبات

«أقول لكم ناصحًا: كفى، مهما استمرَّ هذا العدوان، ومهما ازدادت عنجهيتكم وغطرستكم واستكباركم إنَّما نزداد نحن - كشعب يماني - صمودًا وعزمًا وثباتًا وتصميمًا، ولا خيار لنا من موقع مبادئنا وقيمنا وأخلاقنا إلا هذا. والنتيجة الطبيعيَّة الفطريَّة، كلُّما كان استفزازكم أكبر، ووحشيتيكم أكبر، كلُّما استفزنا هذا لنزداد عزمًا وتصميمًا وصبرًا وثباتًا، وفي هذا كلُّه درسٌ لكم وعبرةٌ لكم وعظةٌ.

ونحن كشعب يماني - وأتوجَّه إلى شعبنا العزيز - أهمُّ درس خلال هذه الفترة الطويلة (الثلاثة أعوام) في مواجهة هذا العدوان الذي لا نظير له في هذه المرحلة في كلِّ أرجاء الأرض، ثلاثة أعوام من الاستباحة لكلِّ شيء، ثلاثة أعوام من التجويع والظلم، هو: إيجابيّة وجدوائيّة الصمود والثبات، حينما قررنا أن نصمد في هذا البلد، وتتصدّى لهذا العدوان، هذا الموقف هو الذي حفظ لنا إلى اليوم هذه الحرّيَّة التي ننعَم بها، هذا الشموخ وهذه الكرامة التي احتفظنا بها»^(٢).

و- الارتباط بالله أكثر بالصمود والصبر

«اليوم نحن نحمد الله سبحانه وتعالى أوَّلًا على أن أعاننا على هذا الصمود، ونشكره، ونسأله أن يُفرغ علينا المزيد من الصبر، وأن يعيننا فيما بقي كما أعاننا فيما مضى، وأن يزيدنا تأييدًا وثبتيًا وتوفيقيًا وتسديدًا وعونًا إنه سميع

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

الدعاء، نحن اليوم معنيون بعد كل ما قد عشناه، ما من قبيلة ولا من منطقة ولا من محافظة إلا وعاشت هذه التجربة، عشنا المأساة، الشعور بالظلمية، عشنا المعاناة التي صنعها أولئك ظلماً وتجبراً وطغياناً واستكباراً بغير حق، رأينا وحشيتهم، رأيناهم بوجههم الحقيقي الأسود الإجرامي البشع، رأينا مظلوميتنا بأم أعيننا، رأينا أطفالنا وهم أشلاء وجثثهم متفحمة، ورأينا نساءنا وفي كثير من الحالات يبقى من المرأة القليل من شعرها الذي تحوّل إلى أشلاء، رأينا كل تلك المشاهد فيما شاهده بعضه مباشرة وفيما شاهده الباقون من خلال التلفاز ووسائل الإعلام والصور.

عشنا المعاناة الاقتصادية ونحن نعيشها اليوم، وهم صنعوها فيما هي عليه وبمستواها القائم، وأدركنا كيف أنهم سيئون لدرجة لم نكن نتخيلها، يعني: البعض من أبناء شعبنا لم يكن يتخيل أبداً أن يرى النظام السعودي الذي يحاول أن يخادع ومعه إذاعة القرآن الكريم وغير ذلك على هذا المستوى من الوحشية والإجرام والاستباحة لكل شيء والجرأة الفظيعة على قتل الأطفال والنساء بشكل جماعي والإبادة الجماعية للسكان في المدن والقرى.

ورأينا ما عليه الحال في المناطق التي تمكّنوا من احتلالها كيف تحوّلت إلى مناطق محتلة بكل ما تعنيه الكلمة، الحال فيها والواقع فيها هو واقع احتلال، والذين من أبنائها لحقوا بركب العدوان ورضوا لأنفسهم بالعبودية والخنوع للمعتدين وأن يتحوّلوا إلى أدوات في يد الأدوات، أولئك كيف هو حالهم؟ تجرّدوا أولاً من قيمهم الإنسانية والوطنية والأخلاقية، ولحقوا بركب التوحش والإجرام، وتخلّوا عن هويتهم الإنسانية والإسلامية والوطنية، وأصبحوا مجرمين بكل ما تعنيه الكلمة لحاقاً بأولئك المجرمين، وفي ركبهم. رأيناهم أصبحوا بلا قرار، وبلا إرادة، وبلا حرية، وبلا كرامة، وبلا رحمة، وبلا إنسانية، وبلا أخوة، وبلا قبيلة، وبلا وطنية»^(١).

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

«اليوم يفترض أن نزداد عزماً إلى عزمنا، وصبراً إلى صبرنا، وثباتاً إلى ثباتنا، صمودنا ثمرته هذه الكرامة التي ننعم بها اليوم، هذه الحرية التي نحن عليها اليوم، وتصميمنا وتوجهنا إلى كيف نكون أكثر قوّة في مواجهة هذا العدوان هو الخيار الصحيح والحكيم، معنيون اليوم وأكثر من أيّ وقت مضى إلى الاهتمام بكلّ عوامل القوّة التي نزداد بها قوّة في مواجهة هذا العدوان، تعزيز وحدتنا الداخليّة وألاً نصغي أبداً لكلّ دعوات الشرّ والفتنة والتفرقة التي منبعا قوى العدوان.

أيّ شخصية في هذا البلد؛ سياسيّة، اجتماعيّة، أو عسكريّة، كلّ ممّا في أيّ موقع، في أيّ مستوى كان، ممّن هو في موقع مسؤوليّة، إلى مستوى الإنسان والمواطن الذي ليس له وجهة أو مسؤوليّة معيّنة، كلّ ممّا لنعي جيّداً أنّ دعوات الفرقة، والفتنة، ومساعي التشتيت لشمّلنا وجمعنا هي واحدة من وسائل العدوان علينا، هي جزء لا يتجزأ من العدوان علينا، من مساعي إذلالنا وقهرنا واستعبادنا.

أيّ وجهة اجتماعيّة يتواصل بها (الشهراني)، أو يتواصل بها أيّ ضابط مخابرات، أو أي عميل من المرتزقة والمنافقين - الذين التحقوا بصفّ العدوان - ليساوموها على موقفها بالمال، أو ليساوموها على موقفها بالتهديد والوعيد، أو على موقفها بالإثارة والتحريض، وإثارة العناوين المذهبيّة أو العناوين العنصريّة أو العناوين المناطقيّة أو أيّ عنوان؛ لتعي جيّداً أنّها أمام اختبار تاريخي وحقيقي، وأنّ عليها أن تحسب حسابها أمام الله، وأمام هذا الشعب، وأمام التاريخ، وأن تعي جيّداً أنّها ستسأل يوم القيامة على موقفها»^(١).

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

٤- ما بعد الصمود والمواجهة

٣٠

«الآن نحن في مقام اختبار، الذي يساومك على موقفك ضدّ هذا العدوان هو يساومك على إنسانيتك فهل سترخص إنسانيتك؟ هو يساومك على حرّيتك فهل ستبيع حرّيتك؟ وتقبل بأن تكون عبداً مع العبيد للعبيد السيّئين والمنحطّين والقذرين والمجرمين!».

هو يساومك على كرامتك، هل الكرامة تباع يا أهل الكرامة؟ هو يساومك على وطنك فهل ستبيع وطنك بثمانٍ تافه؟ هو يساومك على مبادئك وأخلاقك وقيمك ودينك؛ لأنّ دينك يُحرّم عليك أن تقف في صفّ الطغاة والمستكبرين والظالمين والمجرمين والمفسدين.

كلّاً ممّا اليوم من كلّ أبناء هذا البلد؛ وجاهات القبائل، ضباط الجيش، الواجهات السياسيّة، كلّ مكونات وفئات هذا الشعب يجب أن نكون أكثر تصميمًا على ثباتنا، وأكثر وأعظم إحساسًا بكرامتنا وهويّتنا واتمّاننا وقيمتنا الأصيلة من أيّ وقت مضى، ومن أيّ مرحلة مضت»^(١).

«حصل من الدروس والعبر ما يكفي ويفي وما يساعد على أن نزداد في معنويّاتنا ثباتًا وصمودًا وتماسكًا، ألاّ نأبه ولا نكثر بكلّ التهديد ولا الوعيد، وألاّ نلتفت أبدًا إلى كلّ مساعي التفرقة، الحفاظ على وحدة صفّنا الداخلي مسؤوليّة على الجميع، الكلّ معنيّ بالمحافظة عليها، من يشدّ عنها فهو الخاسر، هو الخائب، هو العائب، من يقبل لنفسه أن يخون وطنه وشعبه وأن يفتح صفحة جديدة مع دول العدوان هو المتحمّل لكلّ تبعات موقفه الخاطيء وشذوذه السيّئ وخيائنه القبيحة.

يجب أن نكون أكثر تماسكًا ووحدة وتأخياً أمام أولئك المجرمين، هذا هو الموقف الصحيح، ثمّ يجب اليوم أن نسعى في المرحلة القادمة إلى تعزيز أو إلى تمييز هذه الوحدة، هذا التعاون، هذا التفاهم، هذا التآخي،

(١) المصدر نفسه.

هذا التماسك، إلى تمييزه عملياً من خلال أنشطة عمليّة تشترك فيه الدولة مع الشعب، وتتحرك فيها مؤسّسات الدولة ضمن أنشطة مشتركة مع كلّ الكفاءات، مع كلّ المبدعين، مع كلّ المفكرين، مع كلّ أبناء هذا البلد.

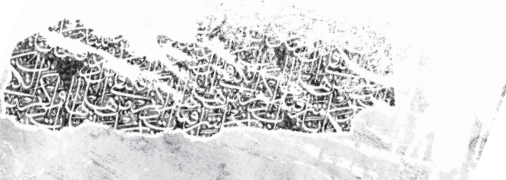
نحن في مرحلة، المسؤوليةّ فيها مسؤوليّة الجميع، مرحلة استثنائية، مرحلة تاريخيّة. بلدنا يواجه تحالفاً دولياً وإقليمياً، فيه أكبر الدول وأغناها، وأسوأ الدول عدوانية وإجراماً، بلدنا يواجه تحدياً مصيرياً، نكون أو لا نكون، بلدنا فيها يواجه اختباراً كبيراً، وهو في موقف كبير يستدعي من الجميع التعاون، وأن يعي الجميع مسؤوليتهم.

كلّ مؤسّسات الدولة اليوم معنيّة بأن تتجه إلى هذا الشعب، تبذل له كلّ ما تستطيع، ويقف معها هذا الشعب، ويلتقي الجميع في حالة تعاون، في حالة استثمار لكلّ الطاقات، لكلّ الكفاءات، لكلّ القدرات، لكلّ الخبرات، أن نتوجّه عملياً لتحوّل التحدي إلى فرصة، ولنحوّل الأخطار إلى فرص عظيمة، ننهض من بين كلّ هذا الركام، وتتحرك من بين كلّ هذه المعاناة حتّى ننهض.

التجربة للقوة الصاروخية تجربة فيها درس مهمّ لكلّ أبناء هذا البلد، من صاروخ (الصرخة ٩ إلى بركان ٩٢)، من الصاروخ الذي يُحمل إلى الجبهة لينطلق مسافة اثنين كيلو أو ثلاثة كيلو، إلى الصاروخ الذي يعبر أكثر من ألف كيلو متر، والمدى مستمرّ، المدى متوسّع، اليد الطولى ستنال إن شاء الله أماكن أخرى.

نحن شعب لنعي جيّداً أنّنا بالله تعالى، وبتحمّل المسؤوليةّ، وبالأمّل العظيم، وبمحرابة اليأس واليأسين، والعجز والعاجزين، والكسل والكسولين، والإهمال والمهملين، والضعاف المتنصلين عن المسؤوليةّ المهزومين نفسياً، أنّ التحرك من واقع إحساسنا بالمسؤوليّة وإدراكنا للخطر وإعلان التحدي واجب، بالعزم العظيم الإيماني اليمني، الهمة اليمانيّة، التي تطاول الفرقدن.

تتحرك لنبدع، لنعالج كلّ هذه المشاكل التي نعاني منها، لنواجه هذه التحديات بكلّ أشكالها، تعاوننا باهتمام وعزم، وتصميم وقوة إرادة، وتفاهمنا،



وتحويل كل الجهود والطاقات إلى جهود مشتركة وطاقات موحّدة، تصبّ في اتجاهات موحّدة، يمكن أن يباركه الله سبحانه وتعالى، فيصنع الكثير، ويتغيّر لنا الكثير، ويبارك الله لنا في الكثير والكثير»^(١).

أ- يجب أن يكون هناك تلاقٍ بين الدور الرسمي والدور الشعبي

«نحن نعاني وحجم معاناتنا كبير بفعل أولئك المعتدين، المجرمين، الطغاة، ولكن لا يعني ذلك أن نبقى مستسلمين أو متفرّجين على واقعنا، وعلى معاناتنا، وعلى مستوى مظلوميّتنا، لا يكفي أن نئنّ وأن نتوجّع لهذه المعاناة، أو أن نبقى في حالة يأس أو إحباط. لا، بل أن نُطلق هذه الطاقة الكامنة في داخلنا إلى واقع العمل، لا مؤسّسات الدولة تكفي لوحدها وتحمّل لوحدها وتُترك لوحدها؛ لتنوء بهذا العبء، ولا الشعب يبقى هناك لوحده وفيه الكثير من الطاقات والكفاءات، والمبدعين والمفكرين والعمليّين. هناك الكثير في بيوتهم يتوثّبون توثّباً، رغبةً بكلّ جدّ لأيّ عمل، وهناك الكثير لديهم الأفكار، ولكن حين لا يكون هناك تلاقٍ بين الرسمي والشعبي، بين مؤسّسات الدولة ونخب هذا الشعب وكفاءاته وطاقاته وخبراته، هذا هو الذي ينقصنا اليوم، هذا هو الذي يؤثّر إلى حدّ ما، ويفاقم من معاناتنا ومشاكلنا.

ثمّ مؤسّسات الدولة اليوم معنيّة وأكثر من أيّ وقت مضى على التحرك الجادّ في تصحيح وضعها، لأنّ الوضع الماضي هو وضع لم يكن مبنياً لمواجهة تحديات بهذا المستوى»^(٢).

«كانت المسألة في الماضي مبنية على حسابات أخرى، لا على حسابات نهضويّة لبناء هذا البلد وهذا الشعب، ولا على حسابات لمواجهة تحديات بهذا المستوى وبهذا الشكل. مسؤولون معيّنون، جهات معيّنّة حسبت

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

أمورها كلها على أساس الارتهان والاعتماد على الخارج، والخضوع له، فلم تبين اقتصادًا محليًا بما تعنيه الكلمة.

عشرات السنين مضت، أين هو الاقتصاد الوطني؟ أين مستوى الإنتاج الوطني؟ أين هو الاكتفاء الذاتي؟ لا، بنوا كل شيء في الماضي على وضعيّة أزمات، في ذروة حكمهم، وفي ظلّ تمكّنهم من السيطرة والاستحواذ على هذا البلد. كانوا في نفس الوقت في حالة أزمات، والبلد في حالة أزمات، وكتّابًا من جرعة إلى جرعة، ولا كان هناك اقتصاد وطني يُبنى، ولا اكتفاء ذاتي يتحقّق، ولا معالجة للمشاكل الاقتصاديّة، كانت كلّها سنوات أزمات، وكان في كلّ عام يمضي أزمة جديدة تأتي، هكذا هو الماضي، هذا ولم تكن أنت في حرب دوليّة ولا إقليمية، ولا صراع بهذا المستوى، ولا تحديات بهذا المستوى، وقروض ما كانت تفكّك، في الوقت الذي كانت تجبى فيه عائدات النفط والضرائب من كلّ المحافظات، والجبايات والنصب والاحتيال من كلّ المحافظات، ومن كلّ الموارد، في الوقت الذي تضاف فيه مبالغ هائلة من القروض، وتضاف إليهم أيضًا بعض من الأموال التي طلبوها من هنا أو هناك، والوضع أزمة، والبلد يعيش في أزمة، والمعاناة دائمة، والشعب يعيش في أكثر أبنائه حالة الفقر المدقع، هذا هو الحاصل، هذا هو القائم في السنوات الماضية ما قبل العدوان، فكيف بوضع اليوم؟

نحن أمام واقع عانينا فيه من إرث الماضي؛ الماضي الذي كان حالة من الإهمال، وانعدام البناء الحقيقي. صحيح، بنوا لنا قليلاً من المباني ومن الوزارات، وبنوا لنا بضع طرق، قليل قليل جدًّا، وبعض الجسور، دمرها العدوان، لكن لم يبنوا لنا اقتصادًا وطنيًا، الاستيراد هو المعتمد في كلّ الفترة الماضية، والإنتاج يكاد يكون في نقطة الصفر، مع أنّنا بلد يمتلك كلّ المقومات المهمّة، بلد زراعي بما تعنيه الكلمة، ومحاصيلنا الزراعيّة من أحسن المحاصيل في كلّ العالم، والمزارعون يعانون في كلّ الفترات الماضية.

قولوا لي متى؟ احسبوا معي الثلاثين سنة. خلال هذه الثلاثين سنة كان المزارع عندنا مرتاح؟! مدعوم؟! متوقّر له كلّ الدعم؟! تسوّق منتجاته؟



كان المزارع خلال هذه الفترة كلها إذا أنتج محصولاً زراعياً معيَّناً، بعضُ من المحاصيل تورد إلى السوق، فلم تنتبه إلا وأدخل إلى البلد أضعاف مضاعفة من نفس المحاصيل لضرب المزارعين.

ينتج بلدنا عدداً ضخماً ومتنوعاً من المحاصيل الزراعيَّة، كلُّ محصول منها يراه التِّجَّار، ويتغاضُّ من الدولة، يستوردون نفس النوع وبسعر أقلَّ فلا يعد هناك تسويق لمحصول المزارع اليميني، فيبقى يعاني على مدى زمن طويل وخصوصاً لجهة توفير مادة (الديزل) التي تساعد في مستلزماته الزراعيَّة.

المسألة التي نعاني منها ليست وليدة اللحظة. من أوَّل يوم نعاني من مشكلة الديزل، المزارع يعاني من توفير المستلزمات الزراعيَّة التي يحتاج إليها في حماية المحصول الزراعي، بدلاً من أن تتوفَّر له المكافحات السليمة الملائمة للطبيعة وغير الضارَّة بالإنسان يدخل إلى البلد أعداد هائلة جدًّا من المبيدات والمكافحات الخطرة والممنوعة والمحظورة، التي شكَّلت خطراً كبيراً على صحتنا في هذا البلد، وتصيب كثيرًا من أبناء هذا البلد بالسرطان وبأمراض فتَّاكة.

كذلك يصاب الإنسان بفيروس الكبد، كم ملايين عندنا أصيبوا بالسرطان، وعندنا ملايين أصيبوا بفيروس الكبد، وأمراض كثيرة انتشرت.

الوضع الصحي، كيف كان على المدى الماضي كله؟ كان أكثر - أبناء اليمن - يعاني من أمراض صحيَّة خطيرة يحتاج إلى السفر إلى خارج البلاد، وتفويج أسبوعي إلى الأردن للعلاج، إلى مصر، إلى دول أخرى للعلاج، في كلِّ هذه السنوات الماضيَّة لم يُبَيَّن في بلدنا مستشفى واحد يكفيننا عن السفر إلى الخارج.

عهود يصفها البعض بالازدهار! أو يذرف عليها الدموع! أيُّ عهود هذه؟ مستشفى واحد فقط لم يُبَيَّن في هذا البلد يغنيننا عن السفر إلى الخارج، وعندما أغلقت المنافذ ومُنعنا من السفر إلى الخارج بقي الكثير ليموتوا

دون دواء، ليس لأنَّ المشكلة فقط مشكلة اليوم، بل كانت مشكلة الأمس وتفاقت اليوم بفعل العدوان.

تلك السياسات غير البتاءة التي أُدير بها بلدنا في كلِّ المراحل الماضية، ولم يُبينَ فيها بناء حقيقي في هذا البلد، لا الوضع الزراعي، ولا الوضع التجاري، ولا الوضع الصحي، ولا التعليم على نحو بئء وفَعَّال يثمر ثمرة عظيمة فتكون نهضة حقيقية في كلِّ المجالات، مع أنَّ لدينا الفرص على المستوى الزراعي، والتجاري، لدينا الكثير من الثروات، شعب كثير العدد، كلُّ الفرص موجودة، لكن على كلِّ السنوات الماضية، على مدى عشرات السنين كانوا يبرِّرون إخفاقهم وفشلهم وعدم اهتمامهم ببناء هذا البلد والعناية بهذا الشعب بأننا بلد فقير وبلا موارد، وكذبوا، كذبوا حينما قالوا: لسنا دون موارد! لدينا كلُّ الموارد، لدينا كميات هائلة من النفط، بعضها أخرجوه، وكان ينهب الكثير منه، وعائداته كانت تضيع، وبعضها لم يستخرج استرضاء لدول معيّنة، أرادت الانتظار حتَّى يتهيأ لها فرصة السيطرة المباشرة لتسرقه، أمثال النظام السعودي برعاية شركات أمريكية وغربيّة، والنظام الإماراتي كذلك»^(١).

ب- نحن أمام واقع نحتاج إلى أن نتفهّم فيه مشاكلنا

«فنحن أمام واقع تتفهّم فيه مشاكلنا، من يأتي ويصوّر وكأنَّ الواقع نتاج هذه المرحلة بالتحديد أو للظرف الراهن، ثمَّ يأتي ليقول أنتم سبب في مشاكلنا الحاليّة. لا يا أخي، لسنا سبباً في ذلك، السبب هو العدوان، وقبل العدوان سياسات غير بئاءة، أُدير بها بلدنا وعشناها أزمات، تذكّر، قبل عام ثمانين إلى اليوم. تذكّر، كيف كان كلُّ عام يرتفع فيه الأسعار أكثر، يسوء الوضع الاقتصادي أكثر، سنويّاً، يستطيع أيُّ شخص، أيُّ محلل اقتصادي، أو سياسي، أو أيُّ كادر اقتصادي أن يأتي ليضع قائمة وكيف كانت الأزمات تتفاقم، من سنة إلى أخرى مع علاقات دوليّة، مع بيع وشراء في الوطن كلّهُ، مع حالة ارتهان ١٠٠ ٪

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

للخارج، مع بيع لمناطق كثيرة وصفقات كثيرة في الحدود، وغيرها، كل ذلك والأزمات قائمة، والمشاكل دائمة حتى كاد البلد أن يصل إلى حافة الانهيار لولا ثورة الحادي والعشرين من سبتمبر»^(١).

ج- اليوم لا بد أن نوائم ما بين حريتنا واستقلالنا ونهضتنا

«اليوم نأتي لنستأنف مرحلة جديدة، مرحلة نوائم فيها جنبًا إلى جنب بين حريتنا وكرامتنا واستقلالنا ونهضتنا، لنبني نهضة من واقع مواجهة تحدي، وبكرامة؛ واقع قويّ بتعاوننا، بالاستفادة من كل الطاقات، من كل الموارد، من كل ما هو متاح، وبالتوكل على الله، وبالتقوى لله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢)، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٣).

اليوم المسؤولية على الجميع، مشكلة الكثير هي الانتظار، ننتظر، قد يكون لديك أنت خبرة معيّنة، كفاءة معيّنة، طاقة معيّنة، رؤية معيّنة، ولكن أنت منتظر، تحرك، أخرج طاقتك، أخرج رؤيتك، قدم أفكارك، ومؤسسات الدولة تؤمن هذا الإطار من التلاقي مع أبناء الشعب، هذا شيء مهم اليوم، وأساسي، وضروري، ولا يكون لنا أيّ تفكير إلا كيف نبني أنفسنا لنكون أكثر قوّة في مواجهة هذا التحدي وهذا العدوان. هذا الذي يجب أن نتجه إليه الأذهان والرؤى، والأعمال والمواقف، وتوجه إليه الاهتمامات، هذا هو المسار، مسار بناء، مسار معالجة مشاكل، مسار تعاون، تكاتف، تظافر للجهود، هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب أن نركز عليه، وأن نهتمّ به»^(٤).

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

(٢) سورة الطلاق، الآية ٣.

(٣) سورة الطلاق، الآيتان ٢ و٣.

(٤) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

د- نأمل أن يراجع الجميع في المنطقة مواقفهم بعد انكشاف الارتباط السعودي الإسرائيلي «ثم كذلك نأمل أن يراجع الجميع في المنطقة مواقفهم، سيّما أنّ الفترة الأخيرة شهدت انكشافاً للموقف السعودي في طبيعة الارتباط بإسرائيل والتأمر على المسجد الأقصى والقدس، والتأمر على الشعب الفلسطيني، وبات الكثير من الإعلاميين الخليجيّين لا يختلفون عن المحلّلين الإسرائيليّين، نفس النغمة، ويتحدّثون بطريقة سيئة جدًّا، ويهاجمون الشعب الفلسطيني، ويسبّون إلى الأمة الإسلامية، وينصبون العداً بشدّة لكلّ من له موقف حرّ مسؤول تجاه القضية الفلسطينيّة والمسجد الأقصى والمقدّسات والقدس، باتوا واضحين في عدائهم الشديد لكلّ من يتمسك بجديّة بقضايا الأمة، وباتوا مفضوحين في مدى انحطاطهم وعمالتهم، وتحركهم ضمن الأجندة الأمريكيّة بدون حدود ولا ضوابط ولا قيود، يعني تعرّوا بسوأتهم القبيحة في العمالة والخيانة.

نأمل أن يراجع الجميع في المنطقة: الدول، الحكومات، الشعوب، النخب، الكيانات، المكوّنات مواقفهم تجاه مظلوميّة شعبنا العزيز، فهي مظلوميّة غير مسبوقه، نأمل من الدول الحرّة والدول المتحرّرة أن تنظر بعين المسؤولية إلى معاناة شعبنا ومظلوميّته، وكلّ يحسب حسابه ما بينه وبين الله، بالنسبة لعالمنا الإسلامي، معاناة شعبنا كبيرة، الواجب الإسلامي والإنساني يفرض على كلّ الأحرار وكلّ من بقي فيهم إنسانيّة إلى أن يتعاملوا بطريقة مختلفة مع مستوى المعاناة التي يعاني منها شعبنا.

وأتوجّه إلى شعبنا العزيز بالحثّ والتأكيد على أهميّة الدعم للجبهات بالرجال والإمكانات، تظافر الجهود والتعاون في الوضع الداخلي في مواجهة المحنة الاقتصادية مع الحصار الشديد الذي خالفت فيه قوى العدوان حتّى الأنظمة والقوانين الدوليّة، أغلقت المنافذ نهائيًّا، وهذا لا تستند فيه لا إلى قرار مجلس أمن ولا إلى أيّ شيء، ولكن ليس غريباً عليهم أن يكونوا هكذا»^(١).

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

هـ- نحن معنيون اليوم جميعاً أن نتضافر جهودنا في برامج عملية

«نحن معنيون اليوم على مستوى كلِّ المكوّنات في هذا البلد، كلِّ الجهات أن نتضافر جهودها، وأن نتعاون في برامج عملية، كذلك مؤسّسات الدولة أن تتّجه في تفعيل (النقاط الاثني عشر) التي أكّدنا عليها فيما مضى، ووقته اليوم ملحّ أكثر من أي وقت آخر.

وليثق شعبنا أنّه بصموده وثباته وتوكّله على الله وصبره العظيم في قراره وخياره المسؤول والصحيح والمبدئي والإنساني والأخلاقي والحر - طالما ثبت وطالما صبر، وطالما اعتصم بالله واعتمد على الله، ووثق بالله - أنّ العاقبة له بالنصر، بالحرية، وأنّ العاقبة على عدوّه بالهوان والخزي، والعواقب التي توعد الله بها الظالمين والمستكبرين والطغاة والمفسدين»^(١).

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور ١٠٠٠ يوم على العدوان.

ثانياً: المبررات السخيفة لقوى العدوان والعمالة وحقيقته

«هذا العُدْوَانُ الذي مضى عليه ثلاث سنوات منذ بدايته اتسم بالوحشية ولم يَزَعْ أَيْةَ حُرْمَةٍ من الحرمات، كُلُّ شيء في اليَمَن كان مستهدفاً لهذا العُدْوَان، الطفل والشيخ المسن، الرجل والمرأة، مقدّرات ومقوّمات حياة هذا الشعب، المدارس والمساجد، المستشفيات والأسواق والمتاجر، المطارات والموانئ، كلّها كانت هدفاً لهذا العُدْوَان الذي يقول فيه أربابُه وقادته إنّه من أجل هذا الشَّعب.

كيف يمكن هذا؟!، أيّ منطق ساذج وسخيف هذا؟!، هل عندما تستهدفون هذا الشَّعب تستهدفونه في كُلِّ محافظات ومدنه، وفي كُلِّ قراه، تستهدفونه في حياته وفي معيشته وفي كُلِّ مقوّمات حياته، هل هذا هو من أجله؟!، هذا منطقٌ سخيفٌ غيرٌ مقبول وغير غريب عمّن يرتكبون أبشع هذا الجرائم أن يقولوا أسخفَ الكلام، وأكذب القول، وأن يكونوا غير منطقيين نهائياً، هذا أقلُّ ما يمكن أن يقولوه»^(١).

(١) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ١٩/٤/٢٠١٥م.

١- وقفة مع التبريرات التي يسوقونها في محاولة التسويق لعدوانهم

أقولهم: إن العدوان هدفه شل الدور الأمريكي والإسرائيلي في المنطقة

«أما التبريرات التي يسوقونها في محاولة للتسويق لعدوانهم وشرعنة عدوانهم، الغاشم الظلوم فهي كلها واهية؛ لأنَّ هناك عدداً كبيراً من الحقائق الكبيرة، الحقائق الواضحة الجلية التي تكشف زيف ادعاءاتهم وتبريراتهم، وتوضح أنَّها مجرد تبريرات واهية لا أساس لها، في مقدّمة هذه الحقائق: حقيقة كانت هي بمفردها كافية في دحض كل المقولات والادعاءات والتبريرات، هذه الحقيقة تتمثّل بالدور الأمريكي في هذا العدوان والموقف الإسرائيلي منه.

الدور الأمريكي في هذا العدوان دورٌ بارزٌ، دورٌ أساسي. أمريكا هي التي أدنت والتي وجّهت، وما كان لهذا العدوان أن يتمّ لولا أن أمرت ووجّهت ورعت وقامت بكلّ التفاصيل. في كلّ غرف العمليات هناك أمريكيون يديرون هذا العدوان، فأمريكا في واقع الحال هي من تدير هذا العدوان، وهي التي أطلقت العنان لعملائها وأيديها الإجرامية لتتحرك به، هذا واضح ومعلّن من جانب الأمريكيين والنظام السعوديّ. الأمريكيون كشفوا عن حقيقة الدور الذي يقومون به على مستوى الفعل ومباشرة العدوان بطائراتهم التجسس.

اليوم الأطفال في اليمن يُقتلون بالقنابل والصواريخ وبالطائرات الأمريكية، سواءً ما كان بيد النظام السعوديّ منهم أو ما كان بأيديهم هم، ويباشرون به الفعل والإجرام والقتل. الأمريكيون كشفوا أنّهم يحدّدون الأهداف التي تقصف. فكلّ طفل، كلّ منشئة سكنية، كلّ بيت أو منزل، كلّ متجر أو سوق، كلّ مسجد يُستهدف في هذا البلد هو بتحديد من الأمريكيين، هم الذين حدّدوا للنظام السعوديّ الأهداف؛ ليقوم بضربها، ثمّ أشرفوا على عملية الضرب وأقروها، النظام السعوديّ بمثابة جندي و خادم بيد الأمريكيين.

أمّا الموقف الإسرائيلي فهو معلن وصریح وواضح؛ إنّه يؤيد هذا العدوان، ويفرح به ويدعمه ويعتبره مصلحة مشتركة له مع النظام السعوديّ. إذن هذا

العُدْوَان على رأسه أمريكا ومن خلفه إسرائيل، هذه الحقيقة وحدها كافية لدحض كل الادعاءات والافتراءات والمقولات»^(١).

ب- قولهم: إن هذا العدوان من أجل حماية الأمن القومي العربي!!

«عندما يأتي البعض فيقول: إن هذا العُدْوَان من أجل حماية الأمن القومي العربي. أي سخافة في منطقتنا كهذا؟ هل عُدْوَان على رأسه أمريكا علناً وبالوضوح ومن خلفه إسرائيل بالمكشوف وعلناً وبشكل صريح لا يستطيع أحد أن ينكره إلا إنساناً ينكر الضرورات، هل عُدْوَانٌ بهذا الشكل يمكن أن يكون لحماية الأمن القومي العربي؟ هل أمريكا وإسرائيل ستعزى وتديز وتدعم عُدْوَانًا لحماية الأمن القومي العربي؟ هل أمريكا وإسرائيل المأمونة والموثوقة والمتكلم عليها والمعتمد عليها في حماية الأمن القومي العربي؟ ومن اليمَن؟ هل أمريكا وإسرائيل هي الطرف الذي أئتمنه العرب وارتتموا في أحضانه ليحميهم من اليمَن؛ لأن اليمَن يشكّل خطورة على العرب؟ أي عروبة هذه التي هي في حضن أمريكا وفي حضن إسرائيل؟ هذا كلام لا صحة له، كلام وإه عار، باطل ساقط، اليمَن والشَّعب اليمَنِي هو الذي - بحق - يمكن أن يراهن عليه العرب في حماية أمنهم القومي»^(٢).

ج- قولهم: إن هذا العُدْوَان لحماية الحرمين الشريفين!!

«أيضاً عندما يأتي البعض ليقول: إن هذا العُدْوَان لحماية الحرمين الشريفين، هل أمريكا هل الصهاينة هل الإسرائيليون يمكن أن يكون عندهم اهتمامٌ وسعي ومبادرة على هذا النحو بمستوى هذا العُدْوَان ليحموا الحرمين الشريفين؟، هل ستكون أمريكا وإسرائيل هي التي تتصدّر الموقف لحماية الحرمين الشريفين؟!«

(١) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ١٩/٤/٢٠١٥م.

(٢) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ١٩/٤/٢٠١٥م.

هذا الكلام فيه إساءةٌ حتَّى إلى الحرمين الشريفين، إساءةٌ إلى المقدَّسات الإسلامية، إساءةٌ إلى الإسلام بنفسه، هذا الكلام باطل ساقط سخيفٌ بكلِّ ما تعنيه الكلمة، إسرائيلُ لن تكون هي التي تدعم الموقف الذي يحمي الحرمين الشريفين وتؤيِّده وتباركه علنًا وبكلِّ وضوح، أمريكا هي التي لم تكن هي التي تقود عملاً بهدف حماية الحرمين الشريفين، إن لم يكن أكبرَ خطر يهدِّد الحرمين الشريفين هي إسرائيلُ وأذنان إسرائيل وعملاء إسرائيل وأمريكا فمن يكون؟ هكذا نجد ونشاهد ويسمع كلُّ العالم كيف تُقلب الحقائق وكيف تُعكَّس، وكيف تسوِّق المقولات الكاذبة والتي لا أوضح من بُطلانها، لا أوضح من بطلان هكذا مزاعم تجاه هكذا عُدُوَان فيه (أمريكا) هي التي تقوِّد، تدبِّر، تأمر، وتوجِّه، وفيه (إسرائيل) التي تؤيِّد، تبارك، تدعم، ترتاح، تفرح بهذا العدوان»^(١).

د- قولهم: إنَّ الهدف من هذا العُدُوَان هو إعادةُ اليَمَن إلى الحُضن العربي

«أيضًا حينما يقولون: إنَّ الهدف من هذا العُدُوَان إعادةُ اليَمَن إلى الحُضن العربي، هذا العُدُوَان المبارك من إسرائيل، المؤيِّد من إسرائيل، المدعوم من إسرائيل هل هو الذي سيعيد اليَمَن إلى الحُضن العربي؟!، أيَّ حُضن عربي هذا الذي يصبح الوكلاء عليه، والقادة فيه، والبارزون فيه، والموجهون فيه، والأساسيون فيه هم الأمريكان والصهاينة والإسرائيليين؟ أيَّ حُضن عربي هذا؟ هذا هو العمالة وحُضن الارتعاء تحت خدمة وأقدام أمريكا وإسرائيل، وإلا فمن المعلوم حتمًا أنَّ العروبة الحقيقية التي منبعها الإسلام، ومنبعها القيم، ومنبعها الأخلاق أبدًا لن تكون بأيِّ حال من الأحوال تحت وصاية إسرائيل، ومباركة إسرائيل، وتحت قيادة أمريكا.

الآخرون هم من يجبُ أن يعودوا إلى العُروبة الحقيقية.. العروبة الحقيقية لم تكن هناك تحت المظلة الأمريكية ولا في الحُضن الإسرائيلي، ولكن

(١) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ٢٠١٥/١١/٢٠.

الحقيقة الصادقة الدامغة هي أنهم يريدون أن يعيدوا اليَمَنَ إلى الحزن الإسرائيلي، إلى الحزن الأمريكي، إلى حزن العمالة، هذا الذي يريدونه، وهذا الذي يتوافق مع هذه الحقيقة الدامغة.. الدور الأمريكي والموقف الإسرائيلي»^(١).

هـ- قولهم: إن العدوان لحماية الأطفال والنساء

«أيضًا من الحقائق المهمة التي تكشفُ همجيَّةَ هذا العُدوانِ أنَّه لا شرعيَّةَ له وأنَّه باطلٌ الباطل: (وحشيته) هو يستهدفُ في اليَمَنَ الأطفال والنساء.. مئات الأطفال استشهدوا في عدد من المحافظات، وعدد كبير من النساء استشهدن، كذلك يستهدفُ كُلَّ مقوِّمات الحياة، وكلِّ فئات هذا البلد، يستهدف الجيش، يستهدف المواطنين، يستهدف المؤسَّسات الحكوميَّة، يستهدف المتاجر، يستهدف المصانع، يستهدفُ كُلَّ مقدرات هذا البلد، هذا يكشفُ أنَّ هذا العُدوانِ إجرامي لا شرعيَّةَ له، وأنَّ الذين يدعمون هذا العُدوانِ، أو يؤيِّدونه بأيِّ شكل من الأشكال.. دولًا، وحكوماتٍ، أنظمةً، تيارات، أحزابًا، مكوِّنات، شخصيات.. يشتركون عند الله سبحانه وتعالى في كُلِّ الدماء التي سُفكت، هم أيَّدوا قتلَ هذه المئات من الأطفال والنساء، هم يؤيِّدون استهدافَ شعبٍ بأكمله، يُحاصرُ ويحاولُ الأعداءُ أن يمنعوا عنه حتَّى الغذاء وحتَّى الدواء وحتَّى الاحتياجات الإنسانيَّة»^(٢).

٢- حقيقة العدوان

«هم في موقف يتطابقون فيه تمامًا مع الموقف الإسرائيلي ومع الموقف الأمريكي، وأنا أسألُ خصوصًا من يحاولون أن يتمظهروا بالدين، هل يمكن أن تكون إسرائيل معيارًا للحق؟! حينما يكون موقفكم متطابقًا تمامًا مع الموقف

(١) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ٢٠١٥/٤/١٩م.

(٢) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ٢٠١٥/٤/١٩م.

الإسرائيلي بدون أيّ نقص، تمام التطابق! هل تظنون أنكم في موقف الحق؟ هل إسرائيل معيار للحق والعدالة؟! هذه والله كافية بأن تدرّكوا أنّ مواقفكم باطلة، وأنكم في خندق واحد مع إسرائيل ومع أمريكا، من يؤيد هذا العُدوان موفّهم لا يزيد على موقف (نتنياهو)، على موقف الإسرائيليين، على موقف الأمريكيين.. هذا كافٍ في أن يبصر الناس الحقائق، قد أسفر الصُّبحُ لذي عينين!.

هذه حقيقةٌ كافيةٌ في أن تفصلَ، وأن تفرّقَ، وأن تميّزَ بين من يمكن أن تلتبسَ عليه الأمورُ أو تشبهه عليه. الذين أيّدوا هذا العُدوان فعلوا كما إسرائيل، هم أيّدوا وإسرائيل أيّدت، هم باركوا وإسرائيل باركت، هم فرحوا وإسرائيل فرحت، وأمامَ كلّ جريمة إسرائيل تفرح وهم يفرحون. كلّما سقط المزيدُ من الدماء، وسُفكت المزيد من الدماء: من دماء اليمّنين المسلمين العرب الأحرار، إسرائيل تفرح وهم يفرحون، إسرائيل تبارك وهم يباركون، إسرائيل ترى في ذلك حمايةً لأنها القومي هم يقولون نفس القول، وبالتالي الموقف خطير، هناك مسؤوليّة كبيرة أخلاقيّة ودينيّة وأمام الله سبحانه وتعالى يوم الفصل بين العباد يوم القيامة؛ فالمسألة ليست سهلةً أبدًا أن يؤيد الإنسان عُدوانًا يستهدف شعبًا بأكمله، عُدوانًا تُرتكب فيه أبشع الجرائم.

ماذا يمكنُ أن يقولَ بعضُ الذين يقولون عن أنفسهم متديّنين حينما يسألون عن عُدوان يقتل مئات الأطفال يقتل النساء بدون أيّ ذنب لهم؟ ويستهدف شعبًا مسلمًا بغير وجه حق؟!، أيضًا هذا العُدوان يكشفُ أنّ النظامَ السُّعُوديّ يشكّلُ خطورةً على الشَّعبِ اليمّني الذي لم يكن يومًا يشكّلُ خطورةً على أيّ بلد عربي أبدًا، ولا على أيّ شعب عربي أو مسلم أبدًا.

الشَّعبُ اليمّني هو شعبٌ أصيلٌ في قيمه وأخلاقه، ليس شعبًا عُدوانيًا ولا مجرمًا، هو شعبُ الحضارة وشعبُ الأخلاق وشعبُ القيم، الآن تكشّفت الحقائق، الآن من الذي يشكّلُ خطرًا هو؟ هو النظامَ السُّعُوديّ بالفعل وليس بالادعاءات عن نوايا مبيّنة أو خفايا الصدور والنفوس. لا، هناك بالفعل عُدوان يرتكبه هذا النظامُ مع آخرين على الشَّعبِ اليمّني تجلّى في أنّ



هذا النظام يحملُ العداءَ الشديدَ على الشَّعبِ اليماني، نظامٌ يعادي هذا الشَّعبَ، يحقدُ عليه، يستكبر ويتعطرس على الشَّعبِ اليماني، يحتقره، يستهتر بدمائه. فَبَرَزَ هذا الحقدُ في الجبروت والطغيان، في القتل العشوائي، في الاستهداف الشامل لهذا البلد.

اليَمَنُ كُلُّهُ تحتَ دائرة القصف والاستهداف، هذا يكشفُ عن حقدٍ أعمى، عن كراهية، عن ضغينة، عن استكبار، وبرزت حالة التكبُّر والتجبر والاستعلاء والغطسة والتعالي والاستحقار لشعبنا اليماني في العُدوان فيما يفعلون وفيما يقولون، هذا واضحٌ لمن يتابع ما يقولونه ومن يرى ويشاهد ما يسمعون؟، فأيةُ شرعيةٍ في عُدوان كهذا؟ عُدوان يعبرُ عن حقد، عن ظلم، عن استكبار، عن أنانيَّة، عن غطرسة، لا شرعية له أبداً^(١).

أ- أمريكا والنظام السعودي كانا يسعيان لإفشال أيِّ توافقٍ سياسي في البلد

«أمَّا فيما يتعلَّقُ بالمشكلة السياسيَّة في البلد فهي شأنٌ داخلي، لا يمتلكُ النظامُ السعوديُّ الحقَّ بأيِّ شكلٍ من الأشكال ولا بأيَّة صفةٍ من الصفات أن يتدخَّلَ في شأننا نحن اليمانيين.. هذا إلينا، هذا شأننا، هذا بلدنا، هذا نظامنا، هذا أمرٌ يُحْصَنُ، نحن من يحدِّد مصيرنا، نحن من يختار حكومتنا، نحن من نقرِّر - كشعبٍ يماني - نظامنا، من يكون، كيف يكون، الحكومة وكُلُّ هذه التفاصيل السياسيَّة هي شأنٌ يماني خاصٌّ، فأن يأتي النظامُ السَّعوديُّ ليتدخَّلَ في هذا الشأن فهو ظالم ومبطل، وهو منتهك لكرامة بلد وسيادة شعب، هذا لا يخصُّه أبداً.

وحينما نعودُ للشأن السياسي، نجدُ أنَّ الحوارَ كان في الأساس قائماً، كان هناك حوارٌ في هذا البلد قبل العُدوان فيما يخصُّ الشأن السياسي والسلطة، حوارٌ برعاية من الأمم المتَّحدة، من خلال مبعوثها الذي كان متواجداً في اليمَن. حتَّى عندما بدأ العُدوان كان لا يزال الحوار موجوداً،

(١) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ١٩/٤/٢٠١٤م.

وكانت الثورة الشَّعبية أكثر اهتمامًا بهذا الحوار وأكثر عنايةً به وأكثر حرصًا على التوافق السياسي من كُـلِّ المكونات الأخرى، ولم تكن هناك أيَّة ممانعة من الثورة الشَّعبية فيما يتعلَّق بهذا الحوار، بل كان هناك سعيٌّ حثيثٌ بكلِّ جدٍّ للوصول إلى توافقٍ سياسيٍّ مع كُـلِّ المكونات داخل هذا البلد، وكان من الملاحظ خلال عملية الحوار تلك أنَّ هناك يَدًا خارجيَّةً تسعى دون الحيلولة لوصول توافقٍ سياسيٍّ على حلٍّ يُرضي كُـلَّ الأطراف ولمصلحة كُـلِّ المكونات.

كان هذا واضحًا وبارزًا وملموسًا، وكانت القوى السياسيَّة كلِّما توافقت على حلولٍ وقضاياٍ رئيسيَّةٍ وعناوينٍ مهمَّةٍ ولم يبقَ إلاَّ التفاصيل أتى هذا الدور الخارجي ليعرقل وليجمد وليحاول أن يحول دون إنجاز اتفاق. كان معروفًا أنَّ المراد هو المماثلة والتأخير؛ لِأَنَّ هناك شيئًا آخر يجري، هناك عملية الإعداد للعدوان على قدم وساق، تمشي وتتحرك على قدم وساق، وكان المطلوب في الوضع الداخلي في اليمن إعاقة الوصول إلى الحلِّ ريثما تجهز قوى العدوان وعلى رأسها النظام السَّعودي لتنفيذ عدوانها، وكان هذا ملموسًا. نحن كُنَّا نتوقَّع أو نُنظِّق أنَّ هدفهم هو التعطيل لم نكن نتوقَّع أنَّهم عازمون على هكذا عدوان، كُنَّا نتوقَّع أنَّهم يريدون للبلد أن ينهار نتيجة الفراغ القائم في السلطة ونتيجة الأزمة والمشكلة القائمة، لكن كان هدفهم أكبر من ذلك، غزو واحتلال هذا البلد وإخضاعه من جديد تحت أقدامهم وهيمنتهم.

فإذن: كان الحوار قائمًا في البلد برعاية أمميَّة، وبدأ العدوان (وجمال بن عمر) في صنعاء ولم يتهيأ له الخروج بعد العدوان إلاَّ بصعوبة؛ نتيجة للعدوان. فالمشكلة لم تكن في الثورة الشَّعبية، ولم تكن في مكوِّن أنصار الله وحلفائهم، هم كانوا مهتمين بالحوار، والذين أعاقوا الحوار حتَّى يستكملوا تجهيزاتهم للعدوان اتضحوا الآن: النظام السَّعودي ومن معه.

كما راعت الثورة الشَّعبية بكلِّ مكوِّناتها القوى الأخرى بشكل كبير، فهي حتَّى بعد أن حققت إنجازًا تاريخيًّا في هذا البلد لم تحسم أمر السلطة، لم تقم بتعيين رئيس ومسؤولين وحكومة وغير ذلك، بل اتجهت إلى المكونات السياسيَّة للتفاوض والتحاوُر معها، حتَّى مع المكونات السياسيَّة المعادية

لثورة، مَدَّت أيديها مع الجميع، تحاورت مع الجميع، حرصت على التفاهم مع الجميع؛ بغية الوصول إلى حل، وبشكل أنا أؤكد أنه أضر بالبلد؛ لأنَّ القوى السياسيَّة لم تتعاطَ بشكلٍ إيجابي بقدر ما كانت مكوَّناتُ الثورة إيجابِيَّةً.

وبالتالي، بقي الفراغ قائماً، وكان الآخرون يريدون أن يبدأوا عُدُوَّانهم في حالة الفراغ ذاتها، ولذلك أوعزوا إلى بعض أياديهم والأشخاص الذين هم عملاء لهم في بعض المكوَّنات السياسيَّة ليعيقوا النجاحَ حتَّى يأتي العُدُوَّان في مرحلة الفراغ، ويؤثِّر على طبيعة التصدِّي لهذا العُدُوَّان، وهذا واضح.

فأنا أؤكد أنَّ الثورة الشَّعبية بكلِّ مكوَّناتها راعت القوى السياسيَّة الأخرى، لم تستأثر، لم تُقْصِ أيَّ طرف من الأطراف، إنَّما بعض الأطراف هي التي كانت تعمل على أن تؤثِّر على سير عمليَّة الحوار ونجاحه، وإلا لم يكن هناك أيَّ طرف من الأطراف عُبيَّن أو أقصي. أَيْضاً لم تكن المشكلة من جانب الثورة الشَّعبية - في مكوَّناتها - أنها قامت في حماية مؤسسات الدولة من الانهيار من القاعدة..، هذه حَسَنَةٌ، هذه إيجابِيَّة، وموقفُ الآخريين الذين جعلوا من حماية مكوَّنات الثورة لمؤسسات الدولة التي كانت موشكَةً على الانهيار، وكانت عُرضَةً للنهب والسلب والاعتداءات، جعلوا منها مشكلة، هم موقفهم الخاطي»^(١).

ب- حقيقة ما حصل في الجنوب

«أَيْضاً فيما يتعلَّق بالوضع في الجنوب، من المعلوم أنَّه كان هناك ولا يزال تَحَرُّكٌ مسبقٌ قبل أن نتَحَرَّك نحن كثورة شعبيَّة وكجيش وكلجان شعبيَّة هناك. كان هناك تَحَرُّكٌ مسبقٌ للقاعدة؛ هذا التَحَرُّك نتج عنه استيلاءٌ على مناطق واسعة، استيلاء أيضاً على عدد من الألوية العسكريَّة، وهذه بالتأكيد لا تمثِّل مشكلة عند النظام السَّعودي؛ لأنَّ المطلوب بالنسبة له هو هذا، أن تسقط اليَمَن تحت سيطرة القاعدة، أن تُسلِّط القاعدة على اليَمَنيين لتذبح

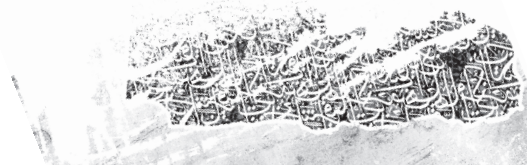
(١) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ١٩/٤/٢٠١٤م.

وتقتل وتدمر الحياة كلها. فَتَحْرُكُ القاعدة في الجنوب لتستولي على مناطق وألوية عسكريّة، ويصبح بيدها إمكانات الجيش اليماني لم تكن تمثل أيّ مشكلة، وتحالف هادي - أيضًا - مع القاعدة، واستأجر مليشيات مستأجرة بالمال السُّعُودِيّ مع القاعدة.

وحينما تَحْرُكُ الجيشُ واللجان الشَّعبية وبعد جرائم بشعة، كان منها جريمةُ صنعاء في المساجد، وجريمة لحج فيما يتعلّق بالجنود، وجريمة عدن فيما يتعلّق بالجنود في قوَّات الأمن الخاصّة، أقاموا الدنيا ولم يقعدوها، ويحاولون استشارة البعض في الجنوب، وأن يصوِّروا التَحْرُكُ الذي يهدفُ إلى التصدي للقاعدة التي هي خطرٌ على الجميع؛ على الجنوب وعلى الشمال وعلى الإنسان اليماني في أيّ بقعة كان وفي أيّ محافظة كان، يحاولون أن يجعلوا من المسألة مشكلةً وأتّه غزو واحتلال للجنوب، وأن يستثيروا البعض في الجنوب، أو يعقدوا صفقاتٍ مع بعض الشخصيات لتطلق مواقفًا، كانت تلك الشخصيات تغاضت أو تعامت أو تجاهلت ما تقوم به القاعدة هناك، وما تقوم به في السابق مليشيات هادي. أمّا الآن فالدورُ الرئيسي في الجنوب هو للقاعدة، من أتاح للقاعدة السيطرة على المكلا والسيطرة على الألوية العسكريّة المتواجدة هناك هو النظامُ السُّعُودِيّ.

اليوم من أهمّ ما يحرص عليه القصفُ الجويّ هو مساعدة القاعدة في الجنوب وفي بقية المناطق لتتحرَّكَ ولتتمكّن من السيطرة على ألوية عسكريّة وعلى المناطق. إذ من الأهداف الرئيسة للعدوِّان على اليمَن هو تمكين القاعدة من جديد للاستيلاء على هذا البلد ولجعل اليمانيين تحت رحمة القاعدة يُقتلون ويُستهدفون»^(١).

(١) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ٢٠١٥/١١/١٩م.



ج- آل سعود عندهم عُقدة، ولذلك يَصُبُّونَ كُلَّ حقدِهِم وَيَعْرَضُونَ عضلاتِهِم على اليَمَنِ «إِذَا كُتِلَ التبريراتِ واهية وساقطة وباطلة، والهدفُ الحقيقي والاساسي للعدوان هو إذلالُ اليَمَنِيِّينَ وتركيعِهِم. آل سعود عندهم عُقدة، وهي نتيجة فشلهم الكبير في المنطقة، وتراجع نفوذهم في مناطق كثيرة، يَصُبُّونَ كُلَّ حقدِهِم ويعرضون عضلاتِهِم على اليَمَنِ، يريدون إذلالَ اليَمَنِيِّينَ كممارسة الهواية. هذا هو حال الطغاة والمتكبرين والمتجبرين والأناييين والمتعطرسين؛ إذلال الآخرين بالنسبة لهم هواية وممارسة تستهويهم. يريدون إخضاعنا في اليَمَنِ كشعب للهيمنة والوصاية المطلقة.. لمن؟ هل لهم فقط؟ هل هم أصحاب المشروع؟ هل لديهم أجندة تُخَصُّهُمْ؟ لا. النظام السَّعُودِيٌّ لا يمتلك أيَّةَ أجندة. النظام السَّعُودِيٌّ تَعَوَّدَ في كُلِّ مراحلهِ التَّاريخِيَّةِ أن يُوَدِّيَ دورًا لمصلحة الآخرين، وَمَن هو أكبر مستفيد من الدور السَّعُودِيِّ؟! والله إنَّها إِسْرَائِيلُ، ومع إِسْرَائِيلَ أمريكا أيضًا. أكبرُ مستفيد من الدور السَّعُودِيِّ وما تسعى له أسرة آل سعود هو إِسْرَائِيلَ وأمريكا، وهذا واضح في المنطقة كُلِّها، وجنايتِهِم بحقِّ القضيَّةِ الفلستينيَّةِ جناية كبيرة جدًّا ومعلومة لكلِّ الناس الواعين والمبصرين والعُقلاء»^(١).

د- يريدون أن يبقى اليَمَنِ بلدًا ضعيفًا مستعبدًا

«يريدون أيضًا أن يبقى اليَمَنِ بلدًا ضعيفًا، لا يريدونه قويًّا أبدًا، ولا حرًّا ولا عزيزًا ولا مستقلًّا، بل مدمرًا، وتحت رحمة القاعدة، حتَّى لو خضعَ اليَمَنِيُّونَ، حتى لو قَبِلَ اليَمَنِيُّونَ بالهيمنة، أن يقبلوا بالهيمنة والوصاية وهُم في ضَعْفٍ.. وهم في بُؤْسٍ.. في عناء.. في حرمان.. وهم تحت رحمة القاعدة يُقتلون ولا يعيشون الأمن والأمان، كما في السابق، في أيَّام (عبد ربِّه منصور هادي).. أيَّام الخضوع المطلق للنظام السَّعُودِيِّ، فيما قبله كان النظام يحرصُ ويبدل كُلَّ جُهدٍ على مدى العقود الماضية، عشرات السنين الماضية، كان النظام في

(١) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ١٩/٤/٢٠١٤م.

اليَمَنَ يحرص ويبدل كُلَّ جهدٍ ليسترضيَ أسرة آل سعود ونظامهم؛ عسى أن يتعاطى مع اليَمَنَ على نحوٍ إيجابي، عسى أن يوقفَ تعامله العدائي والمتعطرس والمتكبر والمستهدف لليَمَنِيِّينَ، في دولتهم وأمنهم وأمانهم، واستقلالهم، ولم يكن هذا ليفيد شيئاً، كانت كُلُّ المساوئ تأتي من جانبهم، وكُلُّ الشرِّ يأتي من عندهم مع كُلِّ الاسترضاء من جانب النظام لهم، كانوا يجعلون من اليَمَنَ نفايةً لقماماتهم: للقاعدة، للإرهاب، للإجرام.. يصدرونهم إليه، ويريدونه أن يبقى بلداً مليئاً بالمشاكل، غارقاً بالنزاعات، واقعاً بالصراعات تحت كُلِّ العناوين، هذا ما يريدونه لنا.

فأنا أقول: والله لو قَبِلَ اليَمَنِيُّونَ بالوصاية، وخضعوا واستكانوا لما عرفوا أبداً لا عزراً ولا استقراراً ولا أمناً، ولما تغيَّرَ أسلوبُ ذلك النظام السَّعُودِيِّ السيِّء والمتعطرس والمتكبر والمسيء إلى هذا البلد. كم بذل النظام من جهد ليلتحق بمجلس التعاون الخليجي؛ ليغيِّرَ الواقع السَّعُودِيِّ في التعاون مع اليَمَنِيِّينَ، مع المغتربين الذين يُجلدون، ويُعذبون، ويُساء إليهم، ويُهانون؟.

كل المحاولات في المراحل الماضية، على مدى عشرات السنين لتحسين العلاقة مع قبول الوصاية، مع قبول الهيمنة السَّعُودِيَّة لم تفعل شيئاً لمصلحة هذا الشَّعب، كان الوضع يسوء أكثر؛ على المستوى الاقتصادي كان الوضع يسوء أكثر، فقر أكثر، معاناة أكثر، غلاء أكثر، على المستوى الأمني كان الوضع يسوء أكثر وأكثر، اليَمَنُ يسقطُ تحت رحمة القاعدة وهيمنة القاعدة والمجرمين والنزاعات والصراعات... إلخ.

أما حقيقة مشكلتهم مع الثورة الشَّعْبِيَّة فهي لنزعتها الاستقلاليَّة وتوجُّهها الحُرِّ وموقفها تجاه القضايا الكبرى للأُمَّة، هذه هي الحقيقة، ليست المسألة نهائياً مسألة نفوذ ولا هيمنة لإيران في اليَمَن. مشكلتهم في اليَمَن ليست والله مع إيران، إيرانُ دولة إسلاميَّة كبرى، وإذا كانت لهم معها تصفية حسابات أو عندهم ضغائن عليها فهل يجرؤون على أن يتحرَّكوا باتجاهها بأيِّ موقف؟!، هم أذلُّ وأجبن وأحقر من أن يتجرَّأوا على ذلك، ولذلك عمدوا إلى صَبِّ كُلِّ

غضبهم وإخفاقاتهم في المنطقة على اليمين بعد مرحلة طويلة من الاستهداف والإضعاف لهذا البلد.

هم يطلقون على كلٍّ توجُّه حُرٍّ ونزعة استقلاليَّة وموقف مسؤول تجاه القضايا الكبرى للأُمَّة وفي مقدِّمتها فلسطين. يطلقون عليه أنه امتدادٌ للنفوذ الإيراني وما شاكل ذلك، وهذا غلط. إذا كانت إيران تتبنَّى مثل هذه المبادئ فهذه هي مبادئ عامَّة، لا تخصَّ إيران فقط، بل أيُّ بلد وأية دولة تريد أن تكونَ مستقلةً لا تخضع لوصاية أحد، دولة حُرَّة تقرر ما تريد هي في أمرها بنفسها، دولة لها موقفٌ مسؤولٌ ومشرفٌ تجاه القضايا الكبرى للأُمَّة. هذه مسألة مبادئ أصيلة مشرِّفة أخلاقية إنسانية، ليست المسألة إيرايتية أبدًا، وإذا كانت إيران تتبنَّاها، فهذا جانب إيجابي، لكن من يتبنَّى ذلك هو لآنه حُرٌّ؛ لآنه شريف لآنه عزيز وليس لآنه يخضع للنفوذ الإيراني، فهي مجرد عناوين يرفعونها لإخضاع اليمين للحضن الإسرائيلي والأمريكي وحضن العمالة لأعداء الإسلام وأعداء الأُمَّة وأعداء البشرية.

هذا العُدوانُ بأهدافه الحقيقيَّة: التركيع، الإذلال، الإخضاع للشعب اليميني ومواجهة الثورة الشعبيَّة في توجُّهها المستقلِّ والحرِّ، وبممارساته الإجرامِيَّة بكلِّ ما يفعله - أيضًا - لا شرعيَّة له أبدًا بكلِّ مقاييس الحقِّ والعدل على الإطلاق.

وموقف مجلس الأمن غيرٌ مفاجئ، نحن كُنَّا سنتفاجأ بقرار مجلس الأمن لو وقف موقفَ العدالة والصدق، موقف الحقِّ، لأنَّ مجلس الأمن عبارة عن مجلس للقوى الكبرى لتقاسم النفوذ والهيمنة، هذا أمرٌ واضح، هو مجلس القوى الكبرى المتغترسة ذات الطمع والنزعة الاستعماريَّة؛ لتقاسم النفوذ والهيمنة، وفلسطين شاهدٌ على أنَّ مجلس الأمن لم يكن يومًا من الأيام ليقف مع الحقِّ والعدالة لصالح المستضعفين!!

إذًا، لا شرعيَّة للعُدوان لا بموقف مجلس الأمن غير العادل، ولا أيضًا بالمواقف الأخرى، بالاعتبارات وبالمقاييس الأخرى، بالادعاءات والتبريرات

الزائفة، لكن الذي يمتلك الحقَّ في موقفه والحقَّ في تقرير مصيره والشرعية في توجُّهه هو الشَّعْبُ اليَمَنِي.

الشَّعْبُ اليَمَنِيُّ يمتلك حقًّا إنسانيًّا وفطريًّا أقرته شريعة السماء وقوانين الأرض والعُرْفُ الإنساني في مواجهة العُدْوَانِ الخارجي والغزو الأجنبي.

اليوم الشَّعْبُ اليَمَنِي يمتلك الشرعية القرآنية، شرعية الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، في مواجهة عُدْوَانِ استهدفه إلى أرضه، استهدفنا كيميئين إلى بلدنا إلى قُرَانًا إلى مُدِينَا إلى مناطقنا بغير وجه حق، ولا نحتاج إلى إذن لا من مجلس الأمن ولا من غيره، شرعيتنا هي هذا (القرآن) في هذا الكتاب، هذه هي شرعيتنا في كتاب الله تعالى؛ يقول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١)، ﴿وَلَمَنَ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ۗ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢)، ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^(٣).

كذلك يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ﴾^(٤)، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾^(٥). هذا هو الموقف الصحيح والعاقل والمحقق، موقف شعب يتصدى لعُدْوَانِ وغزو عليه، غزو همجي وظالم وباغ^(٦).

وفي ظل استمرار هذا العُدْوَانِ نُؤكِّدُ على جُملة من المواقف:

- (١) سورة الحج، الآية ٣٩.
- (٢) سورة الشورى، الآيتان ٤١ و٤٢.
- (٣) سورة البقرة، الآية ١٩٤.
- (٤) سورة الحج، الآية ٦٠.
- (٥) سورة الشورى، الآية ٣٩.
- (٦) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ٢٠١٥/١١/٢٠م.

«أولاً: لن يستسلم شعبنا اليماني العظيم أبداً، وهو صامد وثابت، وهو معتمدٌ على الله تعالى. الذين يظنون أنهم بجرائمهم الوحشية وغطرستهم وكبريائهم وطغيانهم وما يفعلونه بهذا الشعب من قتل وحصار سيخضعون هذا الشعب ويركعون هذا الشعب لهم وتحت أقدامهم هم واهمون وأغبياء. شعبنا اليماني لن يستسلم أبداً، ولن يخضع ولن يخنع أبداً، وهو معتمد على الله.

نحن في هذا الشعب كلُّ رهاننا على الله، كلُّ اعتمادنا على الله، متوكلون عليه، هم سقُّفهم الأعلى هي أمريكا، مُنتهاهم أمريكا، اعتمادهم في موقفهم على أمريكا، كلُّ رهانهم على أمريكا.. لا بأس.

ونحنُ رهاننا على الله، واعتمادنا عليه تعالى، ولذلك لن نبالي أبداً، وقد ثبتَّ تجاه جرائمهم الوحشية أنه حتى الأطفال في هذا البلد إنما ازدادوا إباءً وعرَّةً وحماساً، وبعزيمة الإيمان، هذا هو يمن الإيمان، وبعرة الإيمان أيضاً، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ثانياً: من حقِّ شعبنا أن يتصدَّى للعدوان، وأن يواجه المعتدي بكلِّ الوسائل، وأن يستفيد من كلِّ الخيارات المتاحة، طالما استمرَّ العدوانُ فهذا حقٌّ مشروعٌ لشعبنا اليماني، وحسبَ ظروف المعركة وما يناسبها^(٢).

أيضاً فيما يتعلَّق في هذا السياق، أتوجَّهُ إلى شعبنا اليماني العظيم بالتوصيات التالية:

«التوكُّل على الله.. مهما كانت إمكاناتُ أولئك، مهما راهنوا على ما لديهم من أموال وعتاد ودعم من هنا أو هناك؛ فأنت توكُّل على الله وثق به

(١) سورة المنافقون، الآية ٨.

(٢) من خطاب للسيد عبد الملك الحوثي عقب العدوان السعودي في يوم ٢٠١٤/١٩م.

والتجئ إليه، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾^(١)، ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٢).

والله للاعتماد عليه سبحانه وتعالى أعظم عزاً وأضمن نصراً من الاعتماد على أي أحد في هذا العالم، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ^(٣).

ولا تبالوا بأي ضجيج وتهويل من هنا أو هناك أبداً، هذا هو يمتن الإيمان والمؤمنين كما حكى الله عنهم ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٤). هكذا قولوا دائماً: حسبنا الله ونعم الوكيل.. قولوها وكذلك اجعلوها في وجدانكم وشعوركم وإحساسكم وعميق إيمانكم.

أيضاً أوصي شعبنا اليماني بالصبر والثبات إن الله مع الصابرين، صبرٌ في مقام العمل، في مقام التحرك في مقام المسؤولية. وأن يكون الله مع الصابرين فهذا كافٍ، من كان الله معه فهو في موقف القوة.

وأيضاً برص الصفوف وتعزيز التكاثر الداخلي، يجب أن يكون هناك تكاثر وتعاون ورص للصفوف وتضافر للجهود.. هذه مسؤوليّة، وهذا واجب وهذا الذي يفيد هذا الشعب.

والتأريخ بكل الأوطان التي تعرّضت للغزو والعدوان الخارجي يُثبت أن كل الأطراف التي تتعامل مع العدوان الخارجي وتتأمر معها ضد شعبها وبلدها تكون هي في نهاية المطاف الطرف الخاسر، هذا مؤكد، وليقرأ التأريخ.

(١) سورة النساء، الآية ٤٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٠.

(٣) سورة الطلاق، الآية ٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٧٣.

أيضاً تكثيف الجهود العمليّة؛ فالجبهة الداخليّة مستهدفة بشكل كبير، والقوم يذلون المليارات في سبيل إثارة المشاكل هنا وهناك؛ لأنّهم يريدون أن يغرقوا هذا الشّعب في صراعات من الداخل، وأن يحركوا عملاءهم من المستأجرين من المرتزقة ليثيروا مشاكل هنا وهناك ممّا يمهدّ لهم الغزو الخارجي. فأنا أدعو الجميع وهي مسؤوليّة على الجميع أن يكثّفوا الجُهود في الجبهة الداخليّة للتصدّي للغزو الخارجي، للتحرّك في كلّ الاتجاهات إعلامياً وعسكرياً وأمنيّاً واقتصاديّاً وفي كلّ المجالات، والجهوزيّة لكافة الخيارات والسيناريوهات، سواءً من جانبنا أو من جانب الغزاة.

أيضاً أقول لشعبنا اليمّني العظيم: التحديّ مهما كَبُرَ أنتم بالله أكبر، عاملُ القوّة أننا معتمدون على الله وهم معتمدون على أمريكا، أننا مظلومون وهم ظالمون، أننا مُعتدى عليهم وهم معتدون باغون، فلذلك كلُّ عناصر القوّة هي لصالحنا، العناصرُ الأساسيّة التي تُبنى عليها سنُّ الله مع خلقه.

أيضاً لنجعل نصبَ أعيننا تعليماتِ الله تعالى التي حدّدت أسباب النصر ولنتمسك بها، والله سبحانه وتعالى أوجرّ هذه العناوين عندما قال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾^(١). وما هناك أيُّ خيارٍ آخرٍ إلا الثبات.

توجّه إلى الله سبحانه وتعالى أن يرحمَ شُهَدَاءَ شعبنا وأن يشفي جرحاناً، وأن ينصرَ هذا الشّعب، وأن يجعلَ دائرةَ السوء على المعتدين»^(٢).

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٥.

(٢) من لقاء السيّد عبد الملك بالمشرفين الميدانيين ٢٠١٤م.

الفصل السابع:

الحرب الناعمة (الأخطار والمعالجات)



أولاً- الحرب الناعمة وخطورتها

يقول السيّد عبد الملك (حفظه الله):

«الحرب الناعمة: هي أكثر خطورة من الحرب العسكريّة؛ فالحرب الناعمة تفسد النفوس، وتقضي على القيم، وتدمّر الأخلاق، وتضرب الناس في إيمانهم، وهذا أخطر بكثير من إصابة الجسم بالقنابل والصواريخ، أو اختراقه بالرصاص، ومن الواضح أنّ من أخطر الوسائل المدمّرة: الاستخدام بلا مسؤوليّة ولا ضمير ولا أخلاق للأجهزة المحمولة (الجوّالات) والتراسل أو التواصل عبرها بهدف الوصول إلى الفساد أو بما يسبّب الفساد، وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتيّة. ومن الأسباب أيضًا الاختلاط بين الرجال والنساء الذي بدأ ينتشر كظاهرة سلبية وخطيرة، وكذلك التبرّج لدى بعض النساء.

وفي المقابل هناك ضعف وأحياناً انعدام للعمل التوعوي والإجراءات المساعدة على التزام التقوى، والحذر من التورّط في الفساد والعياذ بالله؛ ولذلك فمن الواجب أن يكون التذكير في هذه المسألة ضمن المواضيع الأساسيّة في كافّة الأنشطة الثقافيّة والتربويّة والإعلاميّة والاجتماعيّة بحيث لا تخلو من التركيز عليها، وبمضامين مفيدة ومؤثّرة وراقية ومتنوّعة لمساعدة المجتمع على الحصانة الإيمانيّة في مواجهة حرب قائدها الأوّل هو الشيطان الرجيم؛ قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ تَكُمُ وَرِدِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَتِ

اللَّهُ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ»^(١)، ﴿يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ»^(٢)، وأدواته اليهود وعملاؤهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»^(٣).

وإلى جانب النشاط التوعوي من المهمّ تعزيزه بالإجراءات المساعدة على الالتزام مثل الوسائل الرقابية وغيرها بالطرق الصحيحة، والاهتمام بالموضوع بدءاً من الأسرة ومروراً بالمجتمع ووصولاً إلى الجهات المسؤولة وبكلّ الوسائل المشروعة، كلّ هذا سيساعد على الحدّ من انتشار الفساد.

وواجب أن يكون هناك - أيضاً - اهتمام من العلماء في المساجد في خطب الجمعة وغيرها، والعناية بالضوابط الشرعيّة في المعاملة بين الرجال والنساء، وأن يلحظ الجميع الالتزام بها في كافّة مجالات العمل لأنّها تساعد في الحفاظ على حدود الله تعالى»^(٤).

فمن ابتكر كلّ هذه الوسائل هم أعداؤنا لأهداف خبيثة؛ يقول السيّد عبد الملك (حفظه الله):

«من المعلوم المتيقن أنّ ابتكار مواقع التواصل الاجتماعي هو اختراع أمريكي، ومنشأ أمريكي بهدف استخباراتي، وهناك كتب ومقالات وأقوال ونصوص وأدلة تثبت أنّها لهدف استخباراتي. لدى الأمريكي هدف واسع لا يقتصر على الجانب العسكري فقط بل هو استهداف شامل لكلّ شيء: استهداف للأخلاق وللوعي ولكلّ عوامل القوّة والصلاح وكلّ ما من شأنه

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٤) من مقال للسيّد عبد الملك في النشرة الدورية الداخلية العدد ٢٨.

أن يبني الأمة وأن يصنع لديها عوامل المنعة في مواجهة العدوان، فهم يعملون من خلالها على صناعة توجّهات تلهي الناس عن قضاياهم الحقيقية ومسؤولياتهم الكبيرة.

نحن أمة قرآنيّة ومسيّرة قرآنيّة ومواقفنا وأعمالنا وأقوالنا وتصرفاتنا ينبغي أن تكون موزونة بميزان القرآن الكريم والألّا نجرّ لمن حذرنا الله منهم وقال عنهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾^(١).

إنّ أمريكا تستهدف هذا الشعب في أخلاقه وشرفه وعفته وطهارته؛ يقول السيّد عبد الملك (حفظه الله):

«اليوم هناك حرب كبيرة، ومنظمة، تشتغل عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وتشتغل أيضاً في المناطق والمدن عبر شبكات للإفساد المنظم، شبكات منظمة تسعى إلى إسقاط الشباب والشابات في الدعارة والرديلة والفساد الأخلاقي، هناك شغل كبير جدّاً، ولوحظ أنّه يزداد كلّما ازدادت المعركة العسكريّة، هذا الغزو يستهدفنا في أخلاقنا.

الشعب اليمني - والله - هو من أشرف الشعوب ومن أكثرها طهارة وقرسيّة، ومن أكثر الشعوب عفةً ونبلاً وشرفاً ومحافظة، رجاله ونساؤه، حتّى تقاليدّه، وأعرافه تحافظ على العفة، والطهارة، والشرف، تحافظ على المرأة وتصونها من الدنس، وتحافظ على الشاب والرجل وتصونه أيضاً من الدنس.

شعب غيور، شعب عفيف، شعب له أخلاق متميّزة، ومحافظة واضحة في هذا الاتجاه، لكنّ اليوم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، عبر وسائل الإعلام المتنوّعة، عبر بعض المعاهد التي تدرّس اللغات، ومعاهد أجنبيّة في صنعاء، وفي بعض المدن لتعليم اللغات الأجنبيّة، تلعب دوراً آخر غير ما يريده الله منّا.

(١) سورة النساء، الآية ٤٤.

يبقى نشاطها في تعليم اللغات نشاطاً ثانوياً وغطاء لطبيعة نشاطها الحقيقي والرئيسي الذي تركز عليه، داخل هذه المعاهد يبدؤون ببرامج تساعد على الاختلاط الفوضوي، وتعزيز الروابط خارج إطار الضوابط الشرعية، ثم تزداد هذه الضوابط، فيدخلون إلى المسخ تحت العنوان الحضاري، والتغريب بشبابنا وشاباتنا، وتقديم النموذج الغربي المنفلت الذي لا تحكمه الضوابط، ولا الأخلاق.

وأساليب كثيرة يشتغلون عليها، السفارة الأميركية فيما سبق ومضى كان لها في صنعاء شبكات ترعاها وترعى نشاطها، ويعلم وسمع وبصر الأجهزة الرسمية، كانت تعرف آنذاك وكان هذا النشاط مكثفاً للإفساد الأخلاقي.

شبكات تشتغل شغلاً فظيماً في هذا الاتجاه لماذا؟ لأنهم يعرفون أنّ من أوقعوه في الرذيلة ودنّسوه وفرّغوه من قيمه الأخلاقية، يصبح إنساناً تافهاً تائهاً ضائعاً، لا قيم له، لا أخلاق له، لا شرف له، لا حمية له، سيّجّه في هذه الحياة على النحو الذي يريدونه، فيستعبدونه بكلّ بساطة وكلّ سهولة.

لن يبقى عنده أيّ اهتمام في أن يكون حرّاً، أو أن يكون بلده حرّاً، لن يبقى لديه أيّ اهتمام بشأن الناس، ولا بمعاناتهم، ولن يبقى له أيّ اهتمام في مواجهة هذه التحديات والأخطار، سيكون إنساناً تفرّغ من حميته، من شرفه، من عرّته، من كرامته، من إنسانيّته، يصبح إنساناً تائهاً، كلّ اهتمامه في الميوعة والضياع والرذيلة، كلّ اهتماماته تنصبّ في هذا الاتجاه.

لن يبقى له اهتمام بقضاياه المهمّة، بقضاياه المصيريّة بشؤون بلده الكبيرة والمصيريّة، لا، سيتحوّل إلى إنسان تافه، مفرغ من كلّ إحساس بالعرّة والكرامة، ومن كلّ اهتمام، ومن كلّ إحساس بالمسؤوليّة، سيتفرّغ من ذلك، ويكون في ليله ونهاره ضائعاً وراء تلك التفاهات والرذائل، والعياذ بالله، حينها يضرّبونه بكلّ بساطة.

يعني ذلك أنّ همّهم بهذا الغزو وهذا الإفساد الممّول بأكثر قنواته ووسائله من السعودي والإماراتي إمتاع شبابنا وشاباتنا حتّى يرتاحوا، ويتنعموا

■ الفصل السابع: الحرب الناعمة (الأخطار والمعالجات)

ويكيّفوا، لا، الإفساد وسيلة من وسائل الاستعباد، والتفريغ من القيم والمبادئ
وسيلة خطيرة جدًّا من وسائل السيطرة والتحكّم، ومن وسائل الهوان.

الإنسان الذي يصبح ضائعًا مائعًا ساقطًا في الرذيلة هذا إنسان فعلاً لن
يهمه أن يكون عزيزاً في هذه الحياة، ولا حرّاً ولا شريفاً، ولا أن يكون في هذه
الحياة مستقلاً، أو يكون بلده مستقلاً، ولن يبالي بأيّ شيء^(١).

(١) من كلمة السيّد عبد الملك بمناسبة جمعة رجب ٣١ مارس ٢٠١٧ الموافق ١٤٣٨هـ.

ثانيًا- طرق الوقاية من أخطار هذه الحرب

١- الإيمان بالله واليوم الآخر

«كلّما ازداد إيمانك بالله كلّما ازداد خوفك منه تعالى ومحبّتك له سبحانه واستشعارك لعظمة الله وحياءك من الله.

هذه النتائج الإيمانيّة وهذه الثمرة الإيمانيّة: الخوف من الله والمحبة لله والحياء من الله كلّها عوامل تساعد على الطاعة لله والاستقامة على منهج الله والحذر من معصيته مسألة مهمّة جدًّا.

الإيمان باليوم الآخر مسألة في غاية الأهميّة، إيمانك بالجنّة والنار والحساب، وإيمانك بالجزاء بشكل عامّ؛ أنّ كلّ معصية عليها جزاء وستدفع ثمنها في الدنيا والآخرة؛ إيمانك ويقينك بالجزاء على المعصية يساعدك على الالتزام^(١).

٢- الاستعاذة بالله تعالى من همزات كلّ الشياطين ووساوسهم وتأثيراتهم

«الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم، ومن كلّ الشياطين: همزاتهم ووساوسهم وتأثيراتهم هذه مسألة مهمّة علّمنا الله إياها في القرآن الكريم، وأكّد عليها كثيرًا، وسواء في الحالات والظروف التي يحسّ الإنسان فيها أنّه عرضة للتأثير في حالات الإغراء، أو حالة الغضب، أو الحالات والمقامات التي

(١) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (إنّ الشيطان لكم عدو) ١٤٢٨هـ.

تُستغلُّ في التأثير على الإنسان: مقامات الإغراء النفسي، إغراء الشهوة، مقامات يمكن أن يكون هناك عمل لشياطين الجنِّ أو شياطين الإنس لإغوائك؛ فلتبادر إلى الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى.

قال الله في كتابه الكريم في آية مهمة جدًا يبيِّنها على ذلك: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)؛ وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٢﴾.

يرفع من وتيرة غضبك ويدفعك للتجاوز في حالة الغضب تلك، أو في حالة الشهوة والرغبة النفسيَّة والهوى النفسي والميلو النفسيَّة، يحاول أن يسعِّر فيك هذه الرغبات ويزيد من وطأتها عليك لتتجاوز إلى الحرام، أو في حالات أخرى: حالات الرضى النفسي، وحالات المخاوف، أيضًا كلِّ الحالات التي يدخل من خلالها الشيطان فاستعد بالله، ويقول الله تعالى أيضًا في آية أخرى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٢﴾.

ويهمنا هنا أن نوضح معنى الاستعاذة، ما معنى أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرجيْم؟ ما معنى أَعُوذُ بِكَ رَبِّ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ؟ أَعُوذُ يَعْنِي: أَلْتَجِيءُ إِلَيْكَ مَعْتَصِمًا وَمَحْتَمِيًّا بِحِمَايَتِكَ وَمَمْتَنًّا بِكَ يَا رَبِّ.

الاستعاذة هي: التجاء للاحتماء، أنت تلتجئ إلى الله ليحميك بحمايته، ليدفع عنك، التجاء المعتصم اللائذ المستجير الذي يفرُّ إلى الله ليدفع عنه هذا الخطر، ليدفع عنه هذا السوء، ليدفع عنه هذا الشرِّ؛ فلذلك كن واعيًا بما تعنيه الاستعاذة، ما يعنيه هذا التعبير، لتعبّر من أعماق نفسك وقلبك (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم). يعني: ألتجئ إلى الله فأرًا إليه محتميًّا به، ممتنًّا به، ومستجيرًا به ليحميني، ليدفع عني الشيطان وتأثيره، ووساوسه من الجنِّ والإنس. فهذا معنى الاستعاذة، وهذه مسألة مهمَّة جدًا.

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان ٩٧ و٩٨.

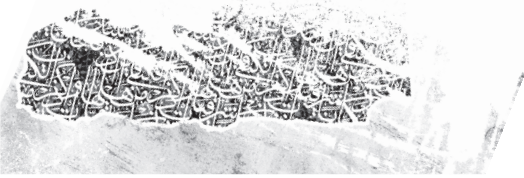
في سورة من أهمّ السور في القرآن - سورة الناس - وهي من هدايا الله لنا في كتابه الكريم ومن نعمه علينا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤﴾ الَّذِي يُوسُّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ التّجاء قوِّي إلى الله، التّجاء بتضرع ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣﴾ هذا التّجاء بتضرع إلى الله سبحانه وتعالى من موقع ربوبيته وألوهيته ومملكه، أنت يا ربّ، وأنت الربّ وأنت الإله وأنت الملك، ألّتجئ إليك، أفّر إليك، أحتمي بك من شرّ الوسواس الخنّاس الذي يزرع في صدري حالة الانحراف إلى ما هو عصيان لك.

هذه السورة تصنع عندنا وعيًّا؛ لأنّها تعلّمنا مسألتين مهمّتين جدًّا: هما الالتجاء إلى الله والاعتصام به ليحمينا من شرّ هذا الغزو الذي يغزو صدورنا، هذا التأثير الذي يصل إلى أنفسنا فينحرف بنا نحو المعصية أو الضلال أو الإغواء، فلنأخذ حذرنا.

أيضًا تعلّمنا أنّ هناك مصدرين لهذا الوسواس؛ ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤﴾ الَّذِي يُوسُّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤﴾ الذي يوسوس في صدور الناس، يغزو قلوبهم ومشاعرهم، يصنع في قلوبهم التوجّهات والميول والدوافع الشيطانيّة؟ الله يقول: ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٥﴾ لاحظوا يا إخوة؛ هناك مصادر خطيرة للوسوسة من الناس أنفسهم، هناك موسوسون كثير ولا سيّما في زمننا هذا. اليوم امتلك الموسوسون في صدور الناس ما لم يكن موجودًا لدى شياطين الإنس والجنّ في كلّ ما مضى من التاريخ ربّما.

اليوم البشريّة في أمس حاجة إلى الوعي بخطورة هذه المسألة، خطورة الموسوسين، ومعرفتهم لاجتنابهم والحذر منهم.

اليوم - أيّها الإخوة، والأخوات - ينطبق هذا التوصيف القرآني على كثير من وسائل الإعلام الموسوسة في صدور الناس من الناس. اليوم بالتأكيد



ليس هناك قنوات إعلامية من الجنّ، لكن من الناس، والله حدّثنا من الجنّة والناس، اسمعوا وعُوا ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

اليوم الموسوسون في صدور الناس يمتلكون قنوات إعلامية منها ما هو مخصص للتضليل السياسي والإعلامي والفكري والثقافي، ومنها ما هو مخصص للإغواء ونشر المفاصد الأخلاقية. اليوم لم تعان البشرية في كل ما قد مضى من تاريخها مثل ما تعاني اليوم من النشاط الهائل لنشر المفاصد الأخلاقية؛ قنوات تنشر مشاهد خليعة لنشر المفاصد الأخلاقية وتدمير القيم الأخلاقية، العري والجرائم وغيرها. يجب الحذر من مشاهدة هكذا قنوات، أو أي وسائل أخرى في الإنترنت الذي يحوي على كثير من المواقع والصفحات المخصصة لنشاط نشر مفاصد أخلاقية، والغواية في الجانب الأخلاقي، فتدّس النفوس وتنتشر المفاصد والزنا والجرائم الأخلاقية إلى مناطق كثيرة من العالم.

هناك أشخاص كثر كانوا قبل أن يتورّطوا وأن يصغوا وأن يرتبطوا بوسائل إعلامية من هذا النوع كانوا نزيهين، كانوا شريفيين، كانوا طاهرين، كانوا محافظين على أنفسهم من الدنس، ومحافظين على أعراضهم وشرفهم من الدنس، ولكن كان الذي جرّهم إلى فساد أخلاقي هو متابعة قنوات فضائية أو مواقع على الإنترنت نشرت مشاهد مغرية فاسدة مفسدة.

الشباب اليوم والشابات يجب أن يكونوا حذرين جدًّا منها، أن يحموا أنفسهم منها منذ البداية، لا تذهب لتدخل موقعًا في الإنترنت فتتطلع إليه فيوسوس في صدرك ويغويك ويضرب فيك القيمة المعنوية الأخلاقية من تزكية النفس وشرفها وطهارتها.

بالإضافة إلى النشاط الكبير من التواصل والتعارف بشكل أعمى وغير منضبط، ينشط - مثلاً - في مواقع التواصل الاجتماعي الكثير من الشياطين الذين لهم هذا العمل الذي يهدف للإيقاع بالآخرين، إمّا عبر شيطان يحاول أن يوقع بالكثير من الفتيات في الفساد الأخلاقي، أو شيطانة توقع بالكثير من

الشباب في الفساد الأخلاقي فتبدأ بالمراسلة التي فيها المرادة والوسوسة والتزيين للمعصية والإغراء حتى الإيقاع به.

هذه اليوم واحدة من أفظع الآفات المنتشرة والخطيرة جدًّا على الشباب والشابات وعلى الرجال والنساء جميعًا، ويجب الحذر منها بشكل كبير، والاحتماء والحذر منها منذ البداية.

فالذي يوسوس في صدور الناس من الجِنَّة والناس اليوم يمتلك الوسائل التي تساعده على ذلك بأكثر من ما قد مضى في تاريخ البشرية.

أيضًا الاستقطاب، اليوم هناك نشاط - مثلًا - للجانب التكفيري للاستقطاب والإغواء من خلال وسائل الإعلام والوسوسة في صدور الناس تحت عناوين دينية. هذا هو عمل الشيطان، يغويك تحت عنوان ديني أو غير ديني لدرجة أن تذهب لتنفجر نفسك في مسجد أو في سوق أو في مدرسة أو في مستشفى أو بين أيّ تجمّع بشري، وأنت تعتبر نفسك أنك تقرب إلى الله بذلك وتظنّ أنّ الحور العين بانتظارك في أقرب لحظة لاستقبالك.

الشيطان يهّمه أن يغويك والذي يوسوس في صدور الناس اليوم يمتلك وسائل إعلام متنوّعة: يمتلك الصحيفة، يمتلك الكتاب، يتحرّك بالقلم، يتحرّك بالمذياع، يتحرّك بالقنوات الإعلامية، يتحرّك في الانترنت، يتحرّك في مواقع التواصل الاجتماعي، كلّها وسائل يستخدمها لهدفه.

فإذا الله سبحانه وتعالى في سورة **الناس** يريدنا أن نتعلّم مسألتين مهمّتين:

أولاهما: الالتجاء إلى الله، بتضرّع ووعي وإدراك لخطورة غواية الشيطان. أن نحتمي بربوبية الله وملكه وألوهيته تعالى من كلّ التأثيرات الشيطانية، سواء كانت من خلال جنّ أو إنس، وبكلّ وسائلهم وأساليبهم وعناوينهم.

ثانيهما: عمليًا عدم الجلوس والانصهار مع أيّ قناة فضائية مضلّة ثقافيًا أو سياسيًا أو كذلك أخلاقيًا. فلا تطلع عليها بسمعك وبصرك وتفتح له

قلبك، ثم أنت تعتبر نفسك أنك لن تتأثر! ما يدريك أنك لن تتأثر؟! قد تتأثر، على المستوى السياسي وخصوصاً أن الكثير ينقصهم الوعي إلى حد كبير جداً، أو على المستوى الديني وتحت عناوين دينية قد تؤثر عليك فتحوّل إلى داعشي، تكفيري، مترمّت، متعنّت، متحجّر، غبي، صمّ، بكمّ، عمي، تصيح آلة شيطانية بطريقة أخرى، أو قد تخسر زكاء نفسك، وطهارتها، وتفسد وتخسر شرفك، عرضك، حصانتك، منعتك الأخلاقية، تتحوّل إلى إنسان مائع تافه حقير مدّس، تتورّط في الرذائل والمفاسد الأخلاقية، أو قد تُنمّي عندك حالة الطمع المادي.

والإفساد المادي هو اليوم من أخطر وسائل الإفساد، الكثير اليوم رخيصون يبيعون ذمهم، وولاءهم، يُشترى بالمال؛ ليتولّى طرفاً شيطانياً أو ليقف موقفاً باطلاً أو لينحاز في صفّ الباطل فيقاتل معه.

فلاستعادة بوعي بالله سبحانه وتعالى من همزات الشيطان الرجيم، إذ كلّ شغلهم يعمد للتأثير على نفسيّتك وتوجّهاتك بالإغراء حين الغضب أو في لحظة من اللحظات، حتّى المخاوف هي واحدة من الوسائل التي يحركها: يخيفك، يجعلك تنصّل من المسؤولية، أو لا تثبت في موقف حقّ، أو... إلى آخره، أو تخضع لباطل وتخضع لطاغية أو مجرم.

فلاستعادة هي مسألة مهمّة علّمنا إيّاها الله سبحانه وتعالى، ويجب أن نستفيد منها ووبوعي»^(١).

٣- الوعي بخطورة الشيطان والاستحضار لذلك في الذهن في كلّ الأحوال المهمة

«تنبّه على أنّ هناك عدوّ يعمل على إغوائك، ولديه أنصار، شياطين من الجنّ والإنس لا تغفل عن هذه المسألة، وفي كلّ الحالات التي تستدعي ذلك.

(١) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (إنّ الشيطان لكم عدوّ) ١٤٣٨هـ.

إذا كنت في حالة غضب فتذكر أنّ هناك الشيطان سيحاول أن يستغلّ هذه الحالة؛ فكن متنبهاً حتى لا يعويك أثناء غضبك. إذا استشرت وتحركت في نفسك الرغبات سواء رغبات الطعام، أو أيّ شهوة ورغبة أخرى كالشهوة الجنسيّة إلى غير ذلك تذكر أنّ هناك عدوّاً سيسعى إلى إغوائك فتنبّه وخذ احتياطك واتبهاك.

وهكذا أيّ لحظة من اللحظات التي قد يدخل فيها الشيطان على الخطّ، شيطان من شياطين الجنّ أو الإنس، تنبّه واحذر؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(١). الذين اتقوا قد يستهدفهم الشيطان في مثل هذه الحالات: عند حالة غضب، عند الحالة التي تتحرك فيها الغريزة: غريزة النفس، رغبة جنسيّة، رغبة طعام، رغبة شراب، رغبة راحة، أيّ رغبة من الرغبات يأتي الشيطان كما قلنا ويدخل على الخط ويبدأ يوسوس ويحاول أن يستميل^(٢).

«الميزة الإيجابية عند الذين اتقوا هي التذكّر، لا يعيشون حالة الغفلة الدائمة حتّى يتورطوا في المعصية ثمّ يتبرأ الشيطان منهم، لا، المتقي يتنبّه قبل السقوط، ما قبل الوقوع. أوّل ما يدخل الشيطان على الخطّ ليوسوس، يزيّن، أو لتخرج المسألة عن سياقها الطبيعي يتّضح لك ذلك، قد تتحرك فيك رغبة من الرغبات، لكن أوّل ما يخرج تفكيرك عن الوضع الطبيعي وتّجه خواطرك نحو الحرام؛ اعرف هنا أنّ الشيطان بدأ يتدخّل.

احذر من البداية، تذكر.. انتبه.. لا تتّجه فتغرق في التفكير نحو الخطأ، نحو المعصية، نحو الانحراف. انتبه وتذكر واضبط وضعك، ولا تدخل حتّى فيما قبل ذلك مثل البعض الذي قد يبدأ ليلبي هذه الرغبة بالدخول في وسائل إعلام سيّئة ومشاهدة مشاهد خليعة أو مغازلات أو رسائل سلبية أو غير ذلك، لا.. اقطع طريق الشيطان من البداية.

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

(٢) المحاضرة الرضائية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (إنّ الشيطان لكم عدوّ) ١٤٢٨هـ

وسنأتي إلى نقطة مهمة أيضاً في هذا الجانب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾^(١)، يبدأ الشيطان يتدخل أو يدخل على الخط في أي لحظة تكون فيها ضعيف النفس: لحظة غضب، شهوة، رغبة، أي لحظة من اللحظات يكون فيها الوضع غير طبيعي ﴿تَذَكَّرُوا﴾^(٢)، ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٣) أي ينتبه المتقي ويأخذ حذره، يستعيد بالله من الشيطان الرجيم، ويصرف نفسه وذهنيته عن ذلك الاتجاه الخاطيء.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾^(٤) إخوان الشياطين أي الجماعة التي تؤثر في الفرد الذي يترك نفسه لهم ﴿يَمْدُونَهُمْ فِي الْعِغْيِ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾^(٥) يعني يدفعون به أكثر، ويجرونه أكثر، ويعرقونه أكثر بدون أي تقصير، لا يألون جهداً في ذلك حتى يوقعونه في العصيان والعياذ بالله.

فالشيطان يدخل على الخط لكن يوصلهم إلى الأمور السيئة والعياذ بالله، فالانتباه والوعي بالخطورة والاستحضار في الذهن، التذكّر عند اللحظات الحساسة أمر مهم للغاية^(٦).

٤- الحذر من الانجرار وراء خطوات الشيطان

«الشيطان عنده إستراتيجية مع ابن آدم هي أسلوب الخطوات، فالشيطان يعلم أن لو طرح مثلاً لك بعض المواضيع منذ اللحظة الأولى أنك لن تقبل ذلك نهائياً ولكن يجرك شيئاً فشيئاً، [خطوة خطوة]؛ أسلوب من أهم الأساليب الشيطانية، يفكر كيف يوصلك إلى جريمة الفساد الأخلاقي، لو طرح عليك المسألة ووسوس لك بها من اللحظة الأولى قد تنفر نفسك، لأنه لا

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٢٠٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية ٢٠٢.

(٦) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي {إنّ الشيطان لكم عدو} ١٤٣٨هـ.

يزال فيك الإيمان، الحياء، العفة، الشرف، لا يزال عندك عوامل تتحصن بها، وحواجز تحتمي بها ولكن يبدأ بتدنيس نفسك شيئاً فشيئاً، مغازلة، مشاهد خليعة، أشياء لها مردودها السلبي في تدنيس نفسك، في تحطيم هذه الحواجز، كيف يحطم عندك حاجز الحياء شيئاً فشيئاً ويروّضك قليلاً قليلاً، كيف يضرب فيك الحمية والغيرة والشرف والمرءة شيئاً فشيئاً خطوة خطوة، وهكذا حتى يوصلك إلى المفاسد الأخلاقية، أو الانجرار مع أهل الباطل. علاقات تنامي إلى هدايا، إغراءات ماديّة، مكاسب، صداقة زائدة، تأثير، كلمة تدخل، كلمة تخرج حتى تصل إلى الانضمام إلى صفّهم، عوامل كثيرة: كالإصغاء إلى ضلالهم وإلى منابرهم الإعلامية والثقافية شيئاً فشيئاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾^(١) فإنه يأمر بالسوء والفحشاء ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

إذا، ما دمت تعرف إستراتيجية الشيطان فاعرف كيف تحاربه، وتواجهه، كيف تحتمي منه. احذر من خطواته، لا تتجه أو تتحرك معه، ولا تنجرّ معه من الخطوة الأولى؛ لأنك ستنجرّ بعدها للخطوة الثانية، فالثالثة حتى يوصلك إلى حيث لم تكن أنت تتوقّع أبداً أن تصل. احذر، الله ينيهاً بهذا، هو الرحيم بنا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ وأنت إذا حذرت منه من الخطوات الأولى ستحتمي فيما عداها وستبقى الفواصل والحواجز والسدود كبيرة فيما بينك وبين الوقوع في المهالك، والعياذ بالله»^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٩.

(٣) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (إنّ الشيطان لكم عدو) ١٤٢٨هـ.

ه- الأخذ بأسباب الرعاية والتوفيق الإلهي وعوامل الصلاح وتزكية النفس

«هذه مسألة مهمّة، هناك من الأعمال ما تزيدك صلاحًا وطهرًا وهداية وتوفيقًا وإقبالًا إلى الله ونفورًا من المعصية، وكرهاً للفسوق، وكرهاً للعصيان، ومقتًا للذائل والمفاسد، هذا يعطيك حصانة كبيرة جدًّا، منها:

أ- الصلاة القيّمة وليس أيّ صلاة، الصلاة التي تشدّك إلى الله، الصلاة التي تطهر نفسك ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١).

ب- الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى، هذا مهمّ جدًّا.

ج- الجهاد في سبيل الله بإخلاص، فإذا لم يكن بإخلاص لن يفيدك أو ينفعك لو اتخذت أيّ مواقف وعملت أيّ عمل، وهكذا.

د- الإحسان وما أدراك ما الإحسان.

هـ- الصدقات بإخلاص دون رياء ولا مقاصد أخرى. وهي من الأعمال التي أرشدنا الله إليها لتكون سببًا للمغفرة، وتزكية النفس، وسببًا لطهارة النفس وإحاطة الله لنا بالهداية والتوفيق والتسديد.

و- الاهتمام بقراءة القرآن الكريم بتدبّر، بتأمّل.

ز- مجالس الذكر، والصلاح، والمساجد التي فيها خير، وليس فيها مزلّون، أمّا مساجد الضلال والضرار فهي خطيرة جدًّا وخطورتها رهيبة للغاية يجب الحذر منها، وهكذا.

مجالات الأخذ بأسباب الرعاية والتوفيق الإلهي وعوامل الصلاح وتزكية النفس واسعة تشمل كلّ الأعمال الصالحة وإن كانت تتفاوت في ذلك»^(٢).

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٢) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (إنّ الشيطان لكم عدو) ١٤٣٨هـ.

٦- الوعي بأن الله أغنانا عن الحرام

«لاحظوا قصّة آدم ﷺ: الله أعطاه جنّة كاملة فيها العيش الواسع والرغد الكافي ما يلبي كل احتياجاته: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾^(١).

يتوقّر للإنسان كلّ المطالب والاحتياجات: من ملابس، ومن طعام، ومن شراب، أحلّ الله لنا الطيّبات ما يغني ويكفي ويلبي الحاجات وحرّم علينا الخبائث. أنت كإنسان صحيح عندك حاجة غريزيّة، حاجتك الجنسيّة هي غريزة فيك وتحتاج إلى أن تلبسها لكن بالحلال، تزوّج وإذا لم تكفك الأولى تزوّج بالثانية وحسّن علاقتك بزوجتك بما يلبي حاجتك منها هي.

كذلك الزوجة تكتفي بزوجها وفي الحلال ما يغني عن الحرام، ويصون منه بشرف، كذلك في المأكولات، في المشروبات، في الحلال ما يغني عن الحرام، أضف إلى ذلك في كلّ شؤون الحياة، لنعي جيّدًا أنّ للحرام والعصيان مغبّة فظيعة وثمرًا باهظًا لا يستحقّه لو لم يكن إلا جهنم.

يعني ليس هناك من الحرام ما يستحقّ أن تضحي فيه ولأجله بعلاقتك بالله وإيمانك وشرفك وطهارتك وصلاحك ونبلك وعدلك وقيمك وإنسانيّتك وتضحّي بالجنّة وتدخل جهنّم من أجله.

المعاصي لها ثمن عاجل في الدنيا وثمر آجل في الآخرة، ذكر نفسك بهذا حتّى لا تخسر الخسارة كبيرة جدًّا، ومن آخر ما نذكر به قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^(٢).

(١) سورة طه، الآيتان ١٨ و١٩.

(٢) سورة فاطر، الآية ٦.

كلّما رسّخت في نفسك العداة للشيطان والشياطين كلّهم، من الجنّة والناس كلّما احتميت من تأثيرهم في الإغواء والتضليل وفي سائر ذلك، هذه النقاط والعناصر فيها إن شاء الله ما يفيدنا جميعاً»^(١).

٧- استشعار الرقابة الإلهية

«من أهمّ ما يساعد على التقوى، والابتعاد عن السقوط في الرذيلة هو مدى استشعار الرقابة الإلهية، وهذا موضوع في غاية الأهمية أعطاه القرآن الكريم مساحة واسعة وتحديث عنه بحدِيث مؤثّر ومتنوّع ويرتبط به في تدبير الله سبحانه وتعالى مع هذا الإنسان وفيما خلقه عليه، وفيما ربّب عليه شؤونه في الدنيا والآخرة، ترتبط به تدابير وإجراءات مهمّة من جانب الله سبحانه وتعالى»^(٢).

فمن أهمّ ما يجب أن تعيه كإنسان أنّك في هذه الحياة لست وحدك، ولا يجوز لك، ولا ينبغي لك أبداً أن تنطلق في ميدان الحياة، وفي واقع الحياة غافلاً عن أهمّ مسألة: عن مصدر وجودك من أين؟ وعن معادك إلى أين؟ وكأنّك وجدت هكذا [فلتة] في هذه الحياة فلم تشعر إلاّ وأنت موجود في هذا الكون وفي هذا العالم، ثمّ صرت تتعاطى باعتبارات وحسابات هي في حدود ما أمامك وما تلامسه في هذه الحياة.

البعض ممّا يحسب حساب واقعه ومحيطه الذي ينعكس عليه ويرتبط به في هذه الحياة، فإذا كان ممثلاً شخصيّة اعتباريّة مهمّة، ذا طموح يحرص على قيمته المعنويّة فسيكون له انتباه في جميع تصرفاته في حدود ألاّ يظهر أمام الآخرين منه فعلاً سيئاً، ألاّ يرى الآخرون منه ما يمسّ قيمته المعنويّة، لماذا؟ لأنّه ممثلاً إمّا شخصيّة سياسيّة أو وجهة اجتماعيّة أو إنسان حسّاس على قيمته

(١) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (إنّ الشيطان لكم عدو) ١٤٣٨هـ.

(٢) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨هـ.

المعنويّة، يعني: إنسان يحرص أن يكون طيّب السمعة ومقبولاً لدى الرأي العامّ ومحترمًا لدى الآخرين.

هناك الكثير جدًّا من البشر على هذا المنوال، وهذه فطرة؛ أي ذلك في أصله أمر طبيعي جدًّا، وإذا وجّه الإنسان هذه الفطرة توجيهًا صحيحًا يستفيد منها بشكل كبير، إذا أدخلها ضمن حسابات أكثر صحّة وسلامة من الحسابات غير الدقيقة أو الحسابات المحدودة.

البعض من الناس قد يكون انضباطه في هذه الحياة، والتزامه فيها وتعاطيه المسؤول في حدود المخاوف النفسيّة والأمنيّة يعني عبد عاص؛ ينضبط بقدر ما يخاف. الأشياء التي يتوقّع أن يطاله سوط وعقوبات عليها أو قد تسبّب له أن يسجن أو يقتل أو يعاقب أيّ عقاب معيّن، أو يطاله بسببها إجراءات ومضايقات ومعاناة في هذه الحياة، أو يخسر بسببها من ممتلكاته، تمثّل له زاجرًا وعملاً يدفعه إلى أن ينضبط بالقدر الذي لا يعرضه لهذه الإجراءات من الجهات التي يحسب أنّه قد يطاله ذلك منها: دولة مثلاً، هو في بلد في دولة أو جهات معيّنة لها سطوة، لها نفوذ، لها حضور، يمكن أن تطاله بشيء، فيبقى في حدود ما يخاف، وفي حدود ما يتوقّع منضبطًا وملتزمًا.

الأشياء التي قد لا تتوقّعها ولا تدركها تلك الجهات أو لا تطّلع عليها، لن يبالي، سيتصرّف بدون أيّ حرج طالما أنّه إمّا لا يخاف من تلك الجهات شيئًا نتيجة لأعماله، وإمّا أنّها قد لا تدرك أو لا تعرف بما فعل وتصرف، فتتفاوت حالة الالتزام لدى الناس في هذه الحياة»^(١).

«أنت إنسان مسلم يرّيك القرآن الكريم، ويعلمك الله سبحانه وتعالى أن تتطلق من منطلقات أكبر وأكثر أهميّة وواقعية ولها تأثير عليك وتأثير كبير جدًّا، أنت لست في هذه الحياة لوحدك، ولست حتى ملك نفسك، اعرف هذا.

(١) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨ هـ.

الذي أتى بك إلى هذا الوجود، الذي خلقك وفطرك وأتى بك لهدف، وجودك في هذه الحياة هو وجود هادف، له هدف، له غاية، وله اعتبار هو الله سبحانه وتعالى، أنت عبد لله، أنت ملك لله سبحانه وتعالى.

وهو عندما خلقك وفطرك وأوجدك ووهبك الحياة وزوّدك به من إمكانيات وقدرات ذاتية كالسمع والبصر والفؤاد والقدرة الجسميّة والبدنيّة والذهنيّة، والمعنويّة، والطاقة، والقدرة على الفعل في حدود ما منحك وأعطاك، وفي حدود ما هيأ وسخّر لك ككائن في هذا العالم، كإنسان، ما سخّر لك في السموات والأرض من نعم وخيرات وعطايا، ومواهب وقدرات، وإمكانيات متنوّعة تلبي جوانب كثيرة من حياتك وتعطي كل احتياجاتك الإنسانيّة.

فتستفيد منها وتقلّب فيها وتنتفع بها بأشكال كثيرة جدًّا جدًّا من أشكال الانتفاع، وجوانبه، الله سبحانه وتعالى هو رقيب عليك، هو حاضر، هو شاهد عليك في هذا العالم، وفي هذا الوجود.

ليست المسألة أنّه خلقك وفطرك ككائن متميّز في هذا الوجود بين مختلف المخلوقات والأصناف والدواب، ثم أعطاك بل أنت ميزة فيما بينها بما حمّلك من المسؤولية الكبرى في هذا العالم، أن سخّر لك السموات والأرض وما فيهما، فقد أعطاك من القدرة البدنيّة والذهنيّة والإمكانيات والقدرات الإبداعية ما يخوّلك القدرة على التصرف في كثير ممّا خلق في هذا العالم، ثم يتركك في ميدان هذه الحياة لتتصرف كما يحلو لك، وأنت المخلوق الذي لتصرفاته تأثيرات ونتائج وانعكاسات شاملة على مستوى ما في البرّ والبحر؛ يقول الله جلّ شأنه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(١).

(١) سورة الروم، الآية ٤١.

فليست المسألة أن الله سيتحرك في هذه الحياة تتصرف كما يحلو لك، وتعمل ما ترغب به، لا تبالي بأي شيء وتعمل ما تشاء وتريد، لا»^(١).

«المسألة حساسة جداً - كإنسان - في إطار التدبير الإلهي وملك الله سبحانه وتعالى، فهو تعالى خلقك كإنسان، أعطاك ميزة في هذا العالم، وهبات عجيبة جداً، وقدرات على التصرف في محيطك العالمي فيما في الأرض، وفيما في السموات وما في الأرض، وفيما بين السماء والأرض، ومنحك قدرة واسعة وإمكانات عجيبة، وتسخير واسع ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

هذا التسخير كله، هذه الرعاية الواسعة جداً، هذا التمكين العجيب لك كإنسان، هذه السعة العجيبة في حياتك، وفي شؤونها ومجالاتها، ثم لا يكون من ورائها شيء هادف، ولا ترتبط بمسؤولية، أو ضوابط، ولا إجراءات، ولا حساب ولا جزاء؟! لكانت هذه المسألة تمس بالله، تمس به في حكمته، لاعتبر غير حكيم.

كيف يخلق هذا العالم العجيب الكبير بكل ما فيه من أصناف لا تحصى ولا تعد، مسخرًا نافعًا ومفيدًا لهذا الكائن (الإنسان)، أنت مستفيد من كل ما في هذا العالم، ما في الأرض أصناف كثيرة وعجيبة جداً ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢) لهذه الدرجة، لا تقدر أنت كإنسان على إحصائها والإحاطة بها وبمقدار الهبات والعطايا الإلهية المادية والمعنوية، الظاهرة والمخفية عنك، التي يمكن أن تستفيد منها، الله وحده فقط من يحصي، ومن يعلم بعدد كل ما يمكن أن تنتفع به، وأن تستفيد منه.

ويومًا إثر يوم يكتشف البشر، بما خولهم الله من قدرات وطاقات واكتشافات علمية، أشياء كثيرة في هذا العالم، ينتفعون بها، وأحيانًا يكتشفون مقدار المنفعة في نعمة معينة حتى على مستوى غذائنا، نأكل رغيف

(١) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨هـ.

(٢) سورة النحل، الآية ١٨.

الخبز ندرك كمعلومة أولية أنّ هذا يفيدنا لقوام حياتنا، يسدّ جوعنا، يلبي احتياجاتنا الجسدية، يوفر لنا طاقة وقدرات جسمية، وغير ذلك. لكن يأتي العلم الحديث ليكتشف كم أودع الله في حبة القمح من عناصر غذائية، من عجائب، من منافع لجسمك، ثم يأتي علماء التغذية، والخبراء، وبعد دراسات واكتشافات ليقدموا لك قائمة طويلة عريضة من هذه المنافع»^(١).

فهل كلّ هذا بلا هدف؟ «هل أودع الله لنا في هذا العالم منافع عجيبة، وقدرات، وإمكانات وعطايا ومواهب ومنافع، أمور لا نقدر على إحصائها، عبثاً؟! لا لشيء؟! لكي تتصرّف كما يحلو لك؟! لكي تتحرّك في هذه الحياة بدون أيّ مسؤولية؟! لا؛ لكانت المسألة تمسّ بحكمة الله ولهذا يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمُ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢) فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ»^(٣) تعالى الله الملك الحقّ. لا يليق به أن يخلقك ثم يميزك في خلقك، يميزك في خلقك كإنسان، هو القائل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٤) أحسن تقويم، وأحسن خلقة، وأحسن تركيب هي خلقة الإنسان.

خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم جعله متميّزاً عن سائر المخلوقات في سعة مجالات حياته وشؤونها، ثم في البيان والإعراب، والقدرة على النطق والحديث والتعبير، والسعة في ذلك لتتسع مع اتساع شؤون حياته والمنافع له في هذا الكون.

هذا الكون، هذه الأرض بكلّ ما فيها والسموات بما سخر فيها لهذا الإنسان، وما أودع في هذا العالم ينتفع به الإنسان ممّا قد أدرك وممّا لم يدرك، ممّا قد لمسّه وممّا لم يلاحظه ولم يدركه، ولم يصل إليه علمه بعد، ليس عبثاً، الله حاضر على هذا الخلق، وهذا الكون، وهذا العالم، وهذا

(١) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨هـ.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

(٣) سورة التين، الآية ٤.

الإنسان، وهو حمّلك مسؤولية كبيرة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾^(١).

الله خوّلك ومكّنك لأن تكون مسؤولاً في هذه الحياة بما ليست
السماوات ولا الأرض ولا الجبال مسؤولة عنه.

قد تذهب أنت كشخص إلى جبل معين، فكيف تكون أنت عند هذا
الجبل؟ جزءاً صغيراً وكائنًا بسيطاً في أسفل هذا الجبل، أو في أعلاه، أو وأنت
تصعد فيه، قد لا تساوي في وزنك صخرة واحدة من صخور هذا الجبل.

ولكنّ الله منحك من المدارك، من الهبات، من القدرة النفسية
الذهنية المعرفية، من الوسائل ما تكون به أقدر على المسؤولية، وما تكون
به مسؤوليتك أكبر من الجبال بكلّها، من الأرض بكلّها في بحرها وبرّها، من
السماوات، مسؤول أعطي ملكة المسؤولية، قدرة المسؤولية، مدارك هذه
المسؤولية، كلّ الخصائص اللازمة لتحمل هذه المسؤولية^(٢).

والله حاضر شاهد رقيب عليك، ليس بغافل عنك أبداً، أحاطك
على الدوام برقابه الدائمة عليك، كيف ستتصرّف؟! كيف ستعمل؟! وأنت
المخلوق العجيب في مخلوقاته والمخلوق الأكبر مسؤولية في هذا العالم بما
سخر لك وفي طبيعة الاستخلاف لك.. أنت خليفته في هذه الأرض ﴿إِنِّي
جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣) كيف يغفل عنك؟؟.

فهل يسخر لك ما في السماوات وما في الأرض، يعمل لك كلّ شيء،
يخلقك بهذا الإبداع وهذا الإتقان ثمّ يغفل عنك ويتركك؟.. لا.. أحاطك
برقابه الدائمة..^(٤).

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

(٢) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨هـ.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٤) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨هـ.

«يجب أن تستشعر أنّ الله لا يغفل عنك ولا لحظة واحدة.. لا في ليل ولا في نهار، ولا في أيّ واقع أنت فيه، ولا في أيّ مكان، أنت في كلّ لحظة تحت رقابته الدائمة، يراك ويعلم بك ويسمعك ولا يخفى عنه شيء من شأنك، ولا يشغله شيء عن ذلك، تديره لكلّ شؤون السماوات والأرض، عمله الدائم جلّ شأنه، خلقه المتكرّر وما يقوم به وهو الحيّ القيوم، تقديره لشؤون السماوات والأرض، عمله الدائم جلّ شأنه، وهو الحيّ القيوم له ما في السماوات وما في الأرض.

لا يشغله شيء من ذلك عن إدارة هذا العالم، وهذا الكون بكلّ ما فيه، لا يشغله شيء من ذلك أبدًا عن الرقابة الدائمة عليك، فهو يراك على الدوام، يسمعك دائمًا وأبدًا ورقابته كاملة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١) لا أنت ولا غيرك ولا كلّ ما في هذا العالم.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢) هو الذي كان يعلم بك وأنت في رحم أمك في تلك الظلمات، في ذلك المكان الخفيّ، فصورك هناك، كان يراك وأنت هناك، ويراك ولم تكن مخفيًا عليه، ولا مخفيًا عنه، أبدًا، ويمنح كلّ كائن بشري الصورة التي يقرّر له أن تكون صورة له، ويخرج الى هذه الحياة، له ملامحه، له شكله، له صورته التي يتميّز بها عن كلّ البشر من حوله، عن كلّ الناس من حوله، وشخصيته المتميّزة عن كلّ الناس من حوله.

الذي صورك وأنت هناك متخفيًا في ذلك المكان، وأعطاك الصورة التي تميّزك عن غيرك من البشر، عن كلّ الناس من حولك هو يراك فيما بقي من حياتك.

(١) سورة آل عمران، الآية ٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١) رقابة مباشرة منه، ولا يخفى عليه حتى خيانة اللحظة التي لحظت بها بطرفك، بعينك فنظرت بها نظرة الحرام، ونظرة الشهوة الحرام إلى حيث لا يحل لك هو عالم بك في تلك اللحظة يوم جدت بنظرك، لم يخف عليه ذلك.

﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ وما أنت تخفيه في أعماق نفسك، وفي داخل قلبك وصدرك، قد خفي عن الناس من حولك لكن لم تخف عليه. قد تكون في مجلس وقد تكون في مجمع وقد تكون حاضرًا لدى الآخرين وكلهم يراك، سيعلمون ما تقول حينما تنطق ويسمعونك، وسيدركون تصرفاتك إذا شاهدوها بأتم أعينهم، لكن قد تخفي في نفسك، وفي صدرك، وفي أعماق قلبك أشياء أخرى، كل منهم لا يدري ما وراء هذا الفص الصدري بعظمه ولحمه وجلده وما عليه، يغطي على الناس كل شيء لكن الله رقيب عليك في ذلك، ينفذ بعلمه ورؤيته وإدراكه جل شأنه إلى أعماق نفسك وخفاياها، فهو واضح أمام الله وليس خفيًا عليه أبدًا^(٢).

«يقول جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾^(٣)، في اللحظات التي أنت توسوس ونفسك فيها توسوس وتختلج في نفسك التفكير بعمل السوء والتوجه والرغبة والميل نحو ما هو معصية لله سبحانه وتعالى، في تلك اللحظات التي لا زالت فيها الإرادة تتحرك في أعماق نفسك نحو العمل؛ فالله يعلم بك قبل أن تعمل، وقبل أن تقول، وقبل أن تتكلم، وقبل أن تتصرف، هو يعلم ما يدور بخلدك، ما تهتم به في نفسك، ما توسوس به وتفكر فيه، ويعتمل فيك في داخل نفسك لتفعله قبل أن تفعله، فاحسب حساب الله في تلك اللحظات.

(١) سورة آل عمران، الآية ٦.

(٢) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨هـ.

(٣) سورة ق، الآية ١٦.

إذا كنت وحدك، أو أنت أختي المؤمنة، وأنت تفكر وتوسوس وفي نفسك وفي خيالك تشتغل الأفكار والوسوس والرغبات نحو فعل أو تصرف معين احسب أو احسبي حساب الله إنه يعلم، إنه يرقب، إنه ليس غافلاً عنك في تلك اللحظة أو في تلك الحالة.

أيضاً فيما يحمله الإنسان من حقد بغير حق على آخرين، أو من محبة لباطل ومبطلين، أو فيما يخفيه في نفسه - أيضاً - من إرادة وتوجهات سيئة، هناك عقائد سيئة قد يخفيها الإنسان كسوء الظن الذي قد يتشبث به ويجعله معياراً في الحكم على الآخرين، هناك أعمال نفسية، أعمال قلبية مستودعها خفايا النفس، وأعماق القلب، وفي داخل الوجدان والمشاعر، لا يراها ولا يدركها الناس.

قد تمرّ بإنسان وقلبك ممتلئ حقدًا عليه، قد تظهر له بشاشة الوجه، وتخفي في نفسك الحقد الشديد عليه، وقد يكون هذا الحقد بغير حق ودون مسوغ لكن الله يعلم ما في قلبك من الحقد وما قد ينتج عن ذلك الحقد من تصرفات.

وهكذا الأشياء النفسية، القلبية مخفية عن الناس لها تأثيرها في واقعك العملي وفي تصرفاتك وفي أعمالك وأقوالك لكن الله يعلمها ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوسْوُسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١). الله أقرب إليك حتى من حبل الوريد الذي في عنقك، هو قريب منك لدرجة أنه مطلع بشكل مباشر على خفايا نفسك، وعلى ما توسوس به، وما يدور به تفكيرك من الداخل، فاحسب حساب الله، ولا تظن أنه غافل عنك^(٢).

يقول جل شأنه: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾^(٣) على المستوى الفردي، على المستوى الشخصي الله دائم

(١) سورة ق، الآية ١٦.

(٢) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨هـ.

(٣) سورة يونس، الآية ٦١.

الرقابة عليك، دائم الشهود والحضور عليك ولك، وفيما تعمل، وفيما تفكر، وفيما تتصرف، وكذلك على المستوى الجماعي ما تعمله أنت لوحده وما تعمله مع الآخرين، وما يعمله الجميع الله شاهد على ذلك، غير غافل وغير غائب، لا، ليس غافلاً وليس غائباً.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي عمل مهما كان قليلاً أو كثيراً، كبيراً أم صغيراً، وفي أي ظرف وفي أي مكان وفي أي واقع ولو كان مستوراً أو داخل غرف مغلقة، أو في قصور، أو وديان، أو في أي مكان.

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ فالله حاضر على الدوام لا يغيب أبداً، ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ ولا حتى مثقال الذرة، هو شاهد على كل مخلوقاته على الدوام، هي واضحة أمامه، في كل جزئية منها على المستوى العام، وفي كل الجزئيات والتفاصيل، شهوده شهودٌ دائم، وعلمه علم دائم، وهو يراها ويسمعها دائماً، لا ليل ولا ظلمة تستر منه، ولا جدار ولا حائط يخفي عنه، ولا أي شيء، ولا هناك قدرات يمكن أن تخفي على الله ما يخفيه الإنسان على البشر أمثاله؛ ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١).

«أيضاً كلُّه موثَّق، وعلم ثابت ليس علماً عارضاً إلى سنة كذا ثم يُنسى، لا، علم ثابت لا يفقد لا يغيب، لا يُنسى أبداً. هذا الإجراء هو عبارة عن إحاطة الله لك كإنسان برقابة مباشرة منه جلُّ شأنه. أفلا نستحي ونخجل منه تعالى وهو المطلع والرقيب علينا في كل ما نعمل؟!»

وهنا ما أحوجنا كمسلمين أن نرسخ في أنفسنا الحياء من الله. لاحظوا يا إخوة ولاحظن يا أخوات مثلاً: الإنسان في قيمته المعنوية قد يتحرَّج من الناس بحسب اعتبارات معيَّنة، مقام تجلِّه أو قيمة معنوية. قد تكون أكثر حرَّجا

(١) سورة يونس، الآية ٦١.

من أن يطلع على بعض تصرفاتك السيئة، أو المُسفة التي تفقدك قيمتك واحترامك واعتبارك.

قد تستحي من ذلك الشخص، أو من جهة معينة، أو طرف معين لأهميته، وقيمه وكماله، ومدى احترامك له، كلما كنت تحترمه أكثر استحييت أن يعرف منك خفاياك أو تصرفاتك السيئة أكثر. أيضاً بحسب المخاوف، الإنسان قد يخاف من أن يطلع من يمكن أن يحاسبه على ذلك التصرف لأنّه مثلاً يعلم أنّه إن اطلع عاقبه، وقدر على ذلك وقد يكون هذا دافعاً له إلى أن ينتبه لتصرفه.

هذه الحسابات لا يجب أن تكون شيئاً أمام حساب الحياء من ربّنا العظيم، الله ملك السماوات والأرض بكماله وجلاله وعظمته، العليم بكلّ شيء، من لا يمكن أن تدخل في أيّ مقارنات في الحديث عن علمه المحيط بكلّ شيء، أيّ علم لدى الآخرين لا يساوي شيئاً، في أيّ شيء، أو في قدرته، أو في ملكه، في كلّ ما يعبر عن الكمال والجلال والعظمة والأهمية والاعتبار المعنوي.

أفلا نستحي منه جلّ شأنه! أفلا نخجل منه وهو المطلع والرقيب علينا في كلّ ما نعمل، وفي كلّ تصرف، وفي كلّ اللحظات، وفي كلّ الأوقات، وفي كلّ الأماكن.

فلنسحب على الأقلّ حساب نعمه ورعايته، هو المنعم علينا من لحظة خلقنا، ومن قبل ما يخلقنا، نعمه كانت قائمة في هذا الوجود الذي هيأه لك قبل أن يأتي بك إليه، أنعم عليك حتّى قبل الوجود بما هيأ لك في هذا الوجود، وهيأ الشيء العظيم، وأنعم النعم العظيمة الكبيرة الشاملة.

هذا المنعم الكريم الرحيم العظيم الذي وهبك الحياة، الذي كلّ النعم منه، كلّ ما بك من نعمة، وكلّ ما وصل إليك في هذا العالم من خير، وكلّ ما

يصل إليك في كل لحظة إنما هو منه، ولو حتى وصل عبر آخرين إنما هو منه ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (١).

ثم هو هو الذي أنت دائماً كلما نابتك شدة، وطالك كرب، تعرّضت لأخطار، ضغطت عليك ظروف الحياة ومحنها وأوجاعها هو وحده الذي ترى فيه الملاذ الذي تلوذ به، الذي تلتجئ إليه، الذي تتضرع إليه: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ (٢).

﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ كل ما أنت متقلّب به في هذه الحياة من نعم، من واقعك الشخصي إلى كل ما في هذا الوجود حتى من الشمس، ومن النجوم والقمر، ومن خيرات الأرض، ممّا في السماوات وممّا في الأرض، وحتى ما تنعم به شخصياً، كلّ الخير الواصل في هذا العالم إليك، وما في جسدك من سمع وبصر ونعم، كلّ هذا الخير هو منه.

كذلك عند المحن، عند الآلام، عند الأوجاع، عند التحدّيات، عند الأخطار، عند الهموم، إلى من تلجأ؟ إليه: يا الله، إذا أنت مرضت وأحسست بالأوجاع التي تهدّد حياتك تتضرع إليه، إذا ضغطك الفقر والعناء في هذه الحياة تلجأ إليه، إذا انتابتك المخاوف والتهديدات تهرع إليه، فلماذا إذن تسيء إليه؟ لماذا لا تستحي منه؟ لماذا تتجرأ على معصيته، أو التجاهل له؟

قد تفكّر بالآخرين، قد تحسب لهم ألف حساب، وتحرص على ألا يطلعوا منك على كثير من التصرفات، ومن هم؟! من هم هؤلاء الذين أنت تتحرّج وتنتبه وكيف لا يعرفون بما عملت أو تصرّفت أو أخطأت أو تجاوزت، تبالغ في التحرّج منهم وفي التخصّي فيما قد تتجاوز به أو تسيء به عنهم ومنهم، ثم لا تحسب حساب الله! أو تستهتر بالله! ثم لا تبالى بالله! وأنت ذلك المخلوق السخيف الذي بالى بالآخرين، وحسب حساب الآخرين، إلا الله لم تحسب

(١) سورة النحل، الآية ٥٣.

(٢) سورة النحل، الآية ٥٣.

حسابه! ما أسوأك، ما أحقرك، ما أكثر تنكرك لنعمه، لكماله، لعظمته، لرعايته.

وستأتي إذا انتابتك الأوجاع، وكأنتك لم تسئ إليه أبداً، حتى بدون استذكار لما قد أسأت به في الماضي إليه، تأتي وكأنتك ذلك الذي لم يسئ قط، فتقول: يا الله اعمل لي كذا، وافعل لي كذا، يا الله اشفني، يا الله ارزقني، يا الله أعني، يا الله ادفع عني، يا الله من علي، يا الله اعطني.

قد تغضب، قد تستاء لأنه لم يعجل لك بالاستجابة، وكأنتك ذلك الذي لم يسئ قط إلى الله، وليس كأنتك ذلك قليل الحياء، كثير التجاهل لله، كثير الغفلة عن الله، كثير اللامبالاة أو تكاد تكون دائم اللامبالاة بحق الله سبحانه وتعالى فتحسب حساب الله»^(١).

«هذا الذي يفرضه علينا إيماننا أن نحسب حسابه، حساب الحياء منه في كماله وعظمته وجلاله، والحياء منه كمنعم كريم، كل الخير وصل إلينا منه، وكل ما بنا من نعمة فمنه، وإليه نلجأ، وإليه نعود، وإليه نتضرع عند كل النوائب والشدائد، وعند كل الكروب والمحن، وفي كل الاحتياجات، فحياتك بيده، موتك بيده، رزقك بيده، مصيرك إليه، هو الذي يكتب لك، ويقدر لك ما شاء وأراد في هذه الحياة، أنت تتقلب في هذا الوجود في قبضته وتحت سيطرته وتحت سلطانه، لماذا لا تحسب هذا الحساب؟ كيف تغفل عن هذه المسألة مع كل ما لها من الأهمية والاعتبار؟»^(٢).

«ثم مع ذلك، مع رقاibته المباشرة والدائمة التي تتفد إلى واقعك بكله وإلى خفايا نفسك، وإلى داخل صدرك، أرفق إجراءات كثيرة رقابية، رقابة ملائكته أيضاً.

(١) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨هـ.

(٢) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨هـ.

وهذه من الأشياء التي ينساها الكثير من الناس نسياناً تاماً، ويغفلون عنها غفلة عجيبة، ما من إنسان منّا في هذه الحياة إلا وقد أوكّل الله جلّ شأنه به ملائكة من ملائكته، ييقون معه على الدوام، ويراقبون كلّ تصرّفاته على الدوام، ليكونوا أيضاً هم شهوداً عليه، وليوثقوا (عملية توثيقية) لكلّ تصرّفاته، لكلّ أعماله، لكلّ أقواله، كلّها موثقة، إجراءات توثيقية.

كلّ إنسان منّا محاط بعلم الباري، وأفعاله مسجّلة ليس على شاكلة المؤتمرات الصحفية من أضواء وكاميرات تنقل صورته وميكروفونات تنقل صوته ليوثقوا موقفه الذي سيعلنه أمام العالم، لا، كلّ إنسان هو في مؤتمر صحفي منعقد على طول حياته، منذ بداية التكليف والمسؤولية حتّى مماته.

منذ أن تدخل مرحلة التكليف، تصحح في حالة رصد دائم، أحاطك الله بملائكة موكلين بك، مهمّتهم الدائمة طول وجودك، وما دمت في موقع المسؤولية فإنّ كلّ تصرّفاتك وأعمالك توثق.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾^(١) أنا الآن أتحدث معكم، عن يميني وعن شمالي ملكان موكلان بي، كلّ منهما حتّى في هذه اللحظة يؤدّي دوره في توثيق ما أقول، كلّ منّا أين ما كان في أيّ مكان، وفي أيّ لحظة، وفي أيّ ظرف هو، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ملازم على طول، لا يفارقك نهائياً، ولا يغيب عنك لحظة، ومهمّته هي: التوثيق الدقيق والرصد الشديد، ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٢) هذه الرقابة دائمة على كلّ لفظ تقوله وتلفظ وتنطق به.

ليس هناك غفلة عنك، وليسوا بحاجة إلى إعادة الكلام لتسجيله لأنهم لم ينتبهوا ماذا قلت، أو سؤالك عن معناه لأنهم لم يفهموه (ها يا أخي لم ننتبه، عفواً، ما هي الكلمة التي كنت قلتها؟ أعد من فضلك الجملة

(١) سورة ق، الآية ١٧.

(٢) سورة ق، الآية ١٨.

لنسجلها؟) لا، لا يفوتهم شيء أبدا. أنت مرصود لهذه الدرجة، ومحاط بهذه الرقابة الشديدة والمستمرة التي لا تنفك عنك.

يقول الله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَتِيبِينَ ۝﴾^(١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾؛ عليكم حافظين، حفظة، يحفظونكم ويحفظون ما تعملونه، يوثقونه، عملية توثيقية، وليس فقط استذكارا يستذكرونه، فما حفظوه حفظوا وما غفلوا عنه نسي، لا، عملية توثيقية يقوم بها كاتبون، وكرام، لا يمكن أن يزايدوا عليك، لا أن ينقصوا من عملك الصالح شيئا ولا أن يزايدوا في عملك السيئ شيئا، لا، بل يتعاملون بكل مسؤولية.

وليس لديهم أي اعتبارات يمكن أن تؤثر عليهم تأثيرا سلبيا في عملهم، عمل بكل أمانة وبكل مسؤولية، وبكل اهتمام، لا يمكن أن يغفلوا لأي اعتبار من الاعتبارات، مثلا: أكل وجبة دسمة وغفل ورقد، فلم يعرف ماذا عملت، لا، ولا شغله النوم عنك، ولا أي اعتبار من الاعتبارات الأخرى.

كلّ منهما - الملكين - يؤدّي الفترة التي عليه أن يؤدّيها بكل يقظة وبكل انتباه وبكل إدراك [يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ]، يعلمون ما تفعلون، لا يغيب عنهم شيء، ولا يغفلون عنه فيؤدّون مهمّتهم على أتمّ ما يكون وتوثيق تامّ شامل محيط كامل لم ينقص منه قول ولا تصرف واحد، إحاطة، تجميع لكلّ عملك، وتصرفاتك، وأقوالك.

ويوم القيامة يقول الله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(٢) شهادة أيضا، يؤدّون شهادتهم عليك. تأتي هذه الرقابة، وهذا الرصد من الله ومن ملائكته، رقابة شاملة، على المستوى الشخصي، على المستوى الجماعي، على مستوى ما تعمل وما تقول»^(٣).

(١) سورة الانفطار، الآيات ١٠-١٢.

(٢) سورة ق، الآية ٢١.

(٣) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨هـ.

حَتَّى الْمُنَاجَاةِ السَّرِيَّةِ كُلِّهَا تَحْتَ الرِّقَابَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَمَمَّا ذَكَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ رِقَابَتِهِ هُوَ جَلُّ شَأْنِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١) علم شامل، محيط، كلُّ ما في الأرض، وكلُّ ما يحدث وما يجري عليها يحيط به علمًا كذلك ما في السماوات.

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾^(٢) الجلسات والاجتماعات، كلُّها حاضر فيها، والكثير لا يحسبون حسابها، يطمئنون أنهم أصبحوا لوحدهم؛ وأنهم إمَّا في مجلس مغلق أو في مكان منعزل، أو في ظروف خارج إطار الرقابة ومعرفة الآخرين، أو اللقاءات الالكترونية في هذا الزمن عبر مواقع التواصل الاجتماعي، التراسل بالجوالات والتناجي بها، أو أي وسيلة من الوسائل المتاحة للبشرية من وسائل المناجاة والتواصل السري والتخابر الذي هو خارج إطار وإدراك الآخرين فيتحدثون بما يرغبون بالحديث به.

هناك من هو حاضر في هذه المسألة أينما كنتم وتواجدتم، احسبوا حسابها، حاضر في كلِّ ذلك، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ﴾ أتم اثنان، أو رجل وامرأة، شاب وشابة، أو شابان، أو امرأتان أو أيًّا كان، أدنى من ذلك أو أكثر أو عدد أكبر، بأي عدد كان ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيِّنَ مَا كَانُوا﴾، في أي مدينة، قرية، بلد، ومن أي مكان إلى أي مكان.

ليس معنى أنك إذا قمت بالتواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي إلى مكان بعيد أنه تعالى أدركك هنا لكن لم يدرك الذي هناك، لا، يعلم بالجميع، وأين ما كانوا وفي أي ظرف.

ولا تنتهي المسألة عند هذا الاعتبار، علم وحسب ووثق، وأثبت عليكم ذلك بشهوده وملائكته والتوثيق وانتهت المسألة، لا، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾

(١) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٧.

يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿﴾ هنا الخطورة في المسألة، أن كل هذه الإجراءات الرقابية بدءاً من الرقابة المباشرة لله سبحانه وتعالى التي تصل إلى ما توسوس به نفسك، وتختزنه في صدرك، وفي أعماق قلبك ومشاعرك، إلى ملائكته الذين يرقبونك ويرصدونك على الدوام، وخصّصوا لذلك، كل إنسان معه ملائكة مخصّصين للعملية التوثيقية التي توثق بها كل تصرفاتك ستعرض عليك يوم القيامة وعلى الملاء، ثم ستسأل عنها وتحاسب على كل ما قد أحصي عليك. فاحسب حساب نفسك من الآن ﴿﴾ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿﴾^(١).

كيف ستعرض هذه العملية التوثيقية يوم القيامة؟ «العملية التوثيقية تنتج لكل إنسان ملفاً سواء عبرنا عنه كتاباً، مثل ما في آيات أخرى كثيرة، أو صحيفة ﴿﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿﴾^(٢). هذا الكتاب وهذا الملف قد وثق فيه كل أعمالك وتصرفاتك بشكل دقيق وتام، وهذه العملية التوثيقية أشبه ما تكون بعملية الفيديو، الصوت والصورة.

هناك من الآيات ما يدل على ذلك، الله سبحانه وتعالى قال في سورة النجم: ﴿﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿﴾^(٣) وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿﴾^(٤) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿﴾^(٥) سوف يرى. يعني يوم القيامة أنت لا تحتاج إلى أنك تقرأ العبارات: (وفعل يوم كذا كذا، وتصرف كذا، وفي لحظة كذا اتجه إلى كذا... كلام طويل عريض، قد ترى نفسك بالصوت والصورة، تشاهد نفسك وأنت تعمل ذلك العمل المخزي الذي حرصت على أن يكون في جو مكتوم ومستور.

(١) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٢) سورة التكويد، الآية ١٠.

(٣) سورة النجم، الأيتان ٣٩ و٤٠.

وقد تفضح بذلك أمام الملأ وأمام الناس، أمام مشهد البشرية بأجمعها، من أنبياء ومرسلين وصدّيقين وصالحين وطالحين ومؤمنين وكافرين، وأمام الجميع، ما الذي عملت، فتخجل من نفسك»^(١).

«ففي يوم القيامة، يأتي الإنسان إلى أهمّ المحطات والمشاهد؛ هي اللحظة التي سيستلم فيها ملفه (كتابه) الذي وثقت فيه جميع أعماله، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^(٢)، فما من أحد يستطيع أن يخفي، مع كثرة الجمع، ولا يمكن أن يخفي شيئاً - أيضاً - ممّا عمل ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ﴾^(٣). عند عمليّة توزيع الكتب والصحف والملفات هذه، إمّا أن يتناول الإنسان هذا الكتاب ويُعطى يمينه من أمامك، تعطيه الملائكة: تفضّل استلمه بيمينك، وإمّا أن يُعطى بشماله ومن وراء ظهره أيضاً.

فتكون علامة أن يعطى الإنسان كتابه يمينه علامة إيجابية، جعلها الله علامة اليُمن، الخير، الفوز، والبركة، وأن يأتيك هذا الموكل من الملائكة من أمامك؛ لأنّ لك من العمل ما يشرفك تلقى الله أبيض الوجه، وعندك من الأعمال المشرفة والمقبولة والصالحة: ﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ﴾ تبتهج وترتاح. لقد تضمّن هذا الملف الأعمال الصالحة المشرفة، الأعمال التي ابتهجت بها، أدركت قيمتها، رأيت ثمرتها، وأعمال ليس فيها ما يخزيك ويشينك، لا، ابتهجت وسعدت واستبشرت، وذهبت إلى الآخرين في ساحة الحشر، من الزملاء من الأصحاب من الناس: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ﴾ هأؤم تعني هاكم، تفضّلوا، شاهدوا كتابي، اطلعوا عليه، ما فيه من أعمال صالحة تبيّض وجهي، أنا اليوم مبتهج بكلّ تلك الأعمال التي عملتها وفعلتها وقتلتها وتصرّفت بها.

(١) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨ هـ.

(٢) سورة الحاقة، الآية ١٨.

(٣) سورة الحاقة، الآية ١٩.

وهذا كله لماذا؟ كيف توقفتُ لهذه الأعمال؟ كيف كان كتابي يحوي هذه الأعمال الشريفة العظيمة المشرفة؟ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾^(١) لأنني في الدنيا حسبت حساب أنني سأقف هذا الموقف فكنت مسؤولاً في تصرفاتي، ومنتبها فحرصت على أن أعمل الأعمال الصالحة والمسؤولة، وأن أتوب وأنيب وأقلع عن الأعمال السيئة، ﴿فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾^(٢) في حَتَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾^(٣)، فاز وكان مصيره ومآبه ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾^(٤).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾^(٥) ومن وراء ظهره في آية أخرى كذلك، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾^(٥) كيف سيكون موقفه؟ استاء، شاهد الكثير من الأعمال والمواقف السيئة، والحماقات والتصرفات الغيبية واللامسؤولة، والمدنسة التي انجر إليها بهوى نفسه وطمعها، ورغباتها، وشهواتها، وغضبه وطيشه وتعامله اللامسؤول. ماذا سيقول؟ كيف سيتصرف؟ سيصيح، سيقول: ﴿يَلْبِثُنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ﴾^(٦) وَلَمْ أُدْرَ مَا حِسَابِيَةَ ﴿يَلْبِثُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾^(٦)، يندم، يشعر بالهلاك، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾^(٧)، يصيح وا هلاكاه، اليوم هلاكي، اليوم ورطتي، أعمال سيئة، ليتني لم أطلع عليها، ليتني لم أقرأها ولم أدْرِ ولم أعرف بها.

ثم أشياء كثيرة يكون قد نسي الكثير منها؛ لأنه كان مستهتراً ولا مبالياً، ولا يهتم بأعماله وتصرفاته، ينسى الكثير، ويغفل عن الكثير، ولا ينتبه ولا يسأل نفسه في الدنيا ويحاسبها نفسه ليخلص نفسه فيتوب وينيب ويقنع. لا، ووط

(١) سورة الحاقة، الآية ٢٠.

(٢) سورة الحاقة، الآية ٢١.

(٣) سورة الحاقة، الآية ٢٤.

(٤) سورة الحاقة، الآية ٢٥.

(٥) سورة الانشقاق، الآية ١٠.

(٦) سورة الحاقة، الآيات ٢٥-٢٧.

(٧) سورة الانشقاق، الآية ١١.

نفسه، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ
يَوَيْلَئِنَّا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(١).
يصيحون من هذه المسألة، يصيحون من الدقة العجيبة والإحاطة الكاملة
بكل دقائق ما عملوا، حتى بعض الأشياء الذي كان يتهاون بها، ولا يحسب
حسابها، ويعتبرها أشياء عادية، أو لا يبالي بالآخرين، جريء بها يعملها، وإذا
بها قد حسبت وسيحاسب ويجازى عليها، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢)، هذه مسألة مهمة^(٣).

«مع هذه العملية التوثيقية، مع شهادة الملائكة، مع شهادة الشهود
من البشر، هناك عملية توثيقية عجيبة أخرى، الإنسان: أعضاؤه، جوارحه
ستشهد عليه، كأن الله ضمن خلقها جعل فيها عملية توثيقية، جعل فيها قدرة
توثيقية، آلية معينة لذلك. فأنت في الوقت الذي تعمل ما تعمل يتسجل،
مثلاً: بصرك، ككاميرات اليوم فيها ميزة التسجيل الآلي الذي يتيح رؤيتها
من جديد ساعة نشاء. فأبصارنا هذه في الوقت الذي نرى بها هناك أيضاً
عملية تسجيل لما نراه، لإدراكنا لما نراه وننظر فيه، سمعنا كذلك، عملية سمع
وتسجيل، بقية جوارحنا وأعضائنا كذلك فيها عملية توثيق.

والله جل شأنه حين الحساب عبر الصحف والملائكة والشهود من البشر
والجوارح يرينا ما كنا نفعل، لكن يبقى الإنسان يجادل لأن المسألة خطيرة جداً
فإن أمامه جهنم، أمامه الخسارة الأبدية والرهيبية والعذاب الشديد؛ خوف
ورعب شديدين، ﴿إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾^(٤) من شدة خوفهم
تطلع قلوبهم إلى الحناجر، يصل قلبك حنجرتك من شدة الخوف، إذا كان
الإنسان غير موفق والعباد بالله، يبقى يجادل ويتشبث بجداله وإنكاره وجوده

(١) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان ٧ و٨.

(٣) المحاضرة الرمضانية الثامنة للسيد عبد الملك الحوثي (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨ هـ.

(٤) سورة غافر، الآية ١٨.

ومكابرتة حتى مرحلة معينة تبدأ أعضاؤه بالشهادة عليه، فتشهد أنت على نفسك، فلا يمكنك حينها المكابرة ولا الجدل.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾، أنت مع ذلك الجدل والقول غير السديد والمنكرة، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾^(١)، يختم الله على فمك ويمنعك من الكلام، فلا تستطيع بعدها النطق، يُقال لك: اسكت واسمع، هناك شهود عليك، مَنْ؟ مَنْ؟ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾^(٢)، تبدأ يداك بالتكلم وتؤدي شهادتها عليك، قد تقول أنا ما عملت كذا، ولم أفعل كذا، ووالله لم ألمس كذا، ولم أقرب كذا ولم أفعل كذا، فتشهد عليك يداك بما عملت بهما وتصرفت بهما من تصرف وأصابك، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ ثم تشهد الرجلان كل منهما تؤدي شهادتها بما عملت بهما، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٣) حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصرهم وجلودهم بما كانوا يعملون^(٤)، حتى الجلد {بما كانوا يعملون}، فيندهش الإنسان، باتت جوارحه تشهد عليه، ورأى الأدلة والشواهد من نفسه على نفسه ومن جسده على نفسه ومن جوارحه بما عملت. يبحار، يندهش، يصاب بالذهول، يستغرب، بل يدخل في خصام مع نفسه، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ﴾، يتخاصم مع جلده، تصل إلى هذه الدرجة، ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾، كيف يا جلدي تشهد علي؟! ﴿وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ يجيبك جلدك، تجيبهم جلودهم، ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤).

(١) سورة النحل، الآية ١١١.

(٢) سورة يس، الآية ٦٥.

(٣) سورة فصلت، الآيات ١٩ و٢٠.

(٤) سورة فصلت، الآية ٢١.

هذه الأمور لم يكن الإنسان يحسب حسابها، لأنه لم يكن يحسب حساب ما هو أهمّ منها، وهو رقابة الله. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾^(١) ما كنت تستتر من سمعك لا يشهد عليك، وأين ستستتر من سمعك؟ ﴿وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾^(٢)، ما كنت تستتر من جلدك، وتركه هناك وتختفي عنه هناك لتفعل ما تريد أن تفعل، وهل يمكن ذلك؟! لكن هناك ما هو أقرب من ذلك وأشدّ رقابة من ذلك: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣). هذه الآفة، الغفلة عن رقابة الله، اللامبالاة بالله، تجاهل الله، نسيانه، ﴿وَذَالِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾^(٤)، أهلككم: وصلتكم إلى الهلاك في الحياة لم تكونوا مبالين بل مستهترين، ما رغبتم به فعلتموه دون مبالاة واستحياء، لم تحسبوا حساب الله؛ ﴿أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥) الخسران الرهيب، وصلوا إلى جهنم ليحرقوا في نار الله أبد الأبد.

لو كانت المسألة أنك ستدخل في فرنٍ عاديٍّ لكانت كارثة، فما بالك بجهنم؟! {فَإِنْ يَصْبِرُوا} تريد أن تصبر ﴿فَالْتَأْرُ مَثْوَىٰ لَهُمْ﴾ ما هناك من قدرة على الصبر، عذاب شديد لا قدرة على الصبر عليه، ولا ينفعلك الصبر فيه، ولا الصراخ كذلك، العذاب والألم الدائم.

فما هي فرصتنا اليوم للنجاة من عذاب الله؟ ﴿وَإِنْ يَسْتَغْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ إذا حاولوا أن يتوبوا، أن ينيبوا، وأن يرجعوا إلى الله، فاتت الفرصة.

(١) سورة فصلت، الآية ٢٢.

(٢) سورة فصلت، الآية ٢٢.

(٣) سورة فصلت، الآية ٢٢.

(٤) سورة فصلت، الآية ٢٣.

(٥) سورة فصلت، الآية ٢٣.

فرصتنا هي اليوم، الإنسان بالتسويق والغفلة واللامبالاة، والاستهتار والإهمال وسكر الهوى، وسكر الملذّات والغفلة، والتبذّر، لا يصل إلى مكان، لا ينفعه ذلك.

اليوم في هذه الحياة فرصتنا فليحاسب الإنسان نفسه ويراجع حساباته، أن ينيب إلى الله، أن يرشّخ في وجدانه الرقابة الإلهية، الشهود والحضور الإلهي، إنّ الله رقيب عليك ويعلم بك.

ثم أنت دائماً محاط بهذه الرقابة، الملائكة معك، أين ما ذهبت وأين ما اتجهت لا يمكن أن تطردهم من حولك ولا أن تغلق في وجههم الأبواب وتدخل لوحداك، حاضرون معك أين ما أنت، يوثّقون ما تفعل، ثم هذا التوثيق مرّكب فيك في خلقك، ويوم القيامة ينطق حتّى جلدك.

إذاً، يجب أن نحسب حسابنا في هذه الحياة لتتعامل بمسؤولية؛ فنحرص على العمل والتكلم بمسؤولية، والتصرّف بمسؤولية، والقيام بمسؤولياتنا في هذه الحياة، والانتباه والحذر من الغفلة في هذه الحياة، والإنابة حين الزلل وتدارك ما زلّ فيه الإنسان^(١).

(١) من محاضرة للسيد عبد الملك الحوثي في شهر رمضان بعنوان (استشعار الرقابة الإلهية) ١٤٣٨ هـ.

ثالثاً- الحرب الإعلامية

يعدّ الجانب الإعلامي جانباً مهماً خصوصاً في هذا العصر الذي بات الجانب الإعلامي فيه سلاحاً فعالاً جدّاً يلعب دوراً أساسياً ومؤثراً، والأعداء يعتمدون عليه بشكل رئيسي جدّاً في النشاط التضليلي على كلّ المستويات وفي كلّ المجالات منها:

- ١- استهداف الناس في الجانب الثقافي والفكري من خلال قنوات فضائية تحمل عناوين دينية، ولكنها في حقيقتها تُلبس الحقّ بالباطل وتبثّ السموم الثقافية والفكرية المنحرفة التي تمسح هوية الإنسان وتجرده حتى من فطرته الإنسانية.
- ٢- استهداف الأخلاق والقيم من خلال قنوات تبثّ الأفلام والمسلسلات والمقاطع الخليعة التي تستهدف القيم وتنشر الفساد الأخلاقي وتؤدي إلى تدنيس النفوس والذهاب بتزكيتها.
- ٣- تزييف الحقائق والوقائع والأحداث والتضليل السياسي والترويج للباطل من خلال قنوات إخبارية تستهدف تزييف وعي الناس أو تبويه الناس وإبعادهم عن القضايا الكبرى التي يجب أن تكون هي محطّ اهتمامهم.
- ٤- استهداف فطرة الأطفال السليمة التي فطّرهم الله عليها من خلال قنوات تعمل جاهدة على مسخهم وفسادهم وتضليلهم وتزييف وعيهم وصناعة قناعات مغلوطة وأفكار مغلوطة لديهم منذ الصغر.

فمن الذي يُمَوِّل هذه القنوات المتنوعة كلِّها؟ عندما تتأمل نجد بأنَّ جهة واحدة هي من ترعى هذا النشاط المتعدّد وتموِّل هذه القنوات المتنوّعة والمتعدّدة؛ إنّها الأداة الأمريكيّة الإسرائيليّة في المنطقة، المتمثّلة في النظام السعودي الذي يستهدف ضرب الأُمّة بمعولي هدم أحدهما: يلبس لباس ديني متشدّد، والآخر: انحلاّلي خدمةً لأعداء الأُمّة من اليهود والنصارى. لماذا يرمى هذا وذاك؟ لأنّ المسألة كلّها تصبّ في اتجاه واحد، لهدف واحد، كلّها عمليّة تضليل وإفساد بوسائل متعدّدة ومتنوّعة.

فلو أتيت إلى قنوات النفاق والتضليل التي يحزّكها المنافقون في الداخل والخارج تجد أنّهم يشتغلون وفق الإستراتيجيّة الأمريكيّة ووفق المشروع الأمريكي ووفق المؤامرات الأمريكيّة وبما يخدمها، عندما تكون المؤامرات الأمريكيّة تعمل على إثارة العداوات تحت عناوين طائفية مذهبية تشغل تلك الوسائل الإعلامية عليها. عندما يكون التوجّه الأمريكي والإسرائيلي إلى إفساد الشباب والشابات في المنطقة العربيّة والإسلاميّة ينشطون في هذا الاتجاه. وعندما يكون هناك توجّه إسرائيلي وأمريكي إلى المسخ الثقافي والفكري بدفع الناس إلى اعتناق الفكرة الوهابية الضالّة والمنحرفة التي تجعل من الناس أمة مفككة مطوّعة خادمة لأمريكا يشتغلون في الاتجاه نفسه.

كيف ولماذا يركّز الأعداء على الجانب الإعلامي؟

يستخدم الأعداء الجانب الإعلامي في جوانب كثيرة هجومية ودفاعية بالنسبة لهم، ويركّزون عليه تركيزاً كبيراً باعتباره الطريقة الرئيسيّة المعتمدة للتأثير على النفوس (للحرب النفسية) وبقية الأمور إنّما هي تبع لها، حتّى الاستهداف العسكري للناس إنّما يلحق بالجوانب الأخرى، ولذلك كشف الله سبحانه وتعالى فيما هو واقع أهل الباطل، واقع المضلّين والمجرمين والمستكبرين؛ أنّ تركيزهم بالدرجة الأولى ينصبُّ إلى النشاط التضليلي ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾^(١) بماذا؟ بطائراتهم، بمدافعهم، بدباباتهم،

(١) سورة التوبة، الآية ٣٢.

بصواريخهم، بقنابلهم؟ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(١) نشاطهم في إلباس الحق الباطل بأشكال ووسائل متعددة.

للأسف، فإنَّ الكثير من الناس لا يتعاطى من خلال هذا الفهم تجاه الجانب الإعلامي ولا ينظر إليه نظرة واعية على المستوى الإجمالي قبل الدخول في التفاصيل، كيف يعتمد الأعداء عليه؟ ماذا يريدون من خلاله؟ ماذا يسعون به؟ ولذلك نستطيع القول إنَّ النشاط الإعلامي المعادي للأمة الإسلامية بأبواقه ذات الصوت العربي واللغة العربيَّة والشكل العربي قنوات ووسائل إعلامية متنوّعة ما بين قنوات فضائية، ما بين مواقع على الإنترنت في الشبكة العنكبوتية، ما بين مواقع التواصل الاجتماعي، ما بين الصحف الورقية إلى غير ذلك من الوسائل الإعلامية.

نستطيع القول إنَّهم أثروا في الواقع العربي والإسلامي على الكثير من الناس، ويؤثرون باستمرار سواء في نشر الفساد الأخلاقي بموادهم الفظيعة والقبیحة والتي تدمر النفوس، أو من خلال التضليل الثقافي والفكري، أو التضليل على المستوى السياسي فزيّفوا الحقائق على الكثير من المغفّلين وناقصي الوعي وعديمي الفهم وغير المحصّنين ثقافيًا واستطاعوا أن يؤثروا وأن يصنعوا لديهم الكثير من القناعات، وهم يشتغلون على صناعة رأي عام مغلوّط وباطل تجاه الكثير من القضايا.

فما هو الموقف القرآني والمنهجية القرآنية تجاه قنوات التضليل؟

فيما يتعلّق بوسائل الإعلام المُضلّة والمفسدة بكلّ أنواعها وأشكالها ينبغي مقاطعتها على كلّ حال من الجميع، وإبعاد أسرنا وأولادنا عنها ومن منطلق قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ

(١) سورة الصف، الآية ٨.

فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا^(١)، هذه الآية أشارت إلى آية سابقة ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(٢)﴾.

الآيتان المباركتان كلاهما حول موضوع واحد فيما ترى وتسمع من واقع أولئك الذين يعملون في الصّد عن سبيل الله، والاستهزاء بهدى الله سبحانه وتعالى. وليس بالضرورة أن يكون الكلام من جانبهم كلامًا مباشرًا عن الآيات كآيات، عن القرآن كقرآن، ولكن في مضمون هذه الآيات، ما دلّت عليه، ما أمرت به، ما وجّهنا الله إليه، الاستهزاء والسخرية بالأعمال التي أمرنا الله بها ووجّهنا إليها، الصّد عنها، الإساءة إليها، الكفر بها رفضًا أو جحودًا، كلّ أشكال النشاط العدائي أمام ما أمرنا الله به من أعمال ومن مواقف هذا هو خوض في آيات الله، هذا هو استهزاء بآيات الله، هذا هو كفر بآيات الله، بشكل أو بآخر جحودًا أو رفضًا لآيات الله.

والله سبحانه وتعالى قدّم منهجيّة هنا هي المقاطعة فقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، الآية الأخرى كذلك: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ هذه هي مقاطعة فلا تصغي، ولا تجعل من نفسك سماعًا ومسماعًا ومدعنا ومصغيا لأباطيلهم، لأكاذيبهم، لنشاطهم التضليلي هذا لا ينبغي أبدًا.

تلك القنوات الكاذبة، تلك القنوات المضلّة التي هي صوت ناعق بالزور والبهتان والباطل، وسواس خئاس يجب أن ينظر الناس إليها بمستوى ما هي عليه من السوء. ينظرون إليها النظرة الصحيحة فهي منابر للباطل، منابر للكذب، منابر للافتراءات، منابر للتضليل يجب أن يحذر الناس منها، أن

(١) سورة النساء، الآية ١٤٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٦٨.



يتعمّم هذا الوعي في الساحة بشكل كبير، وأن يقاطعها الإنسان ويغلق نافذة من نوافذ الشيطان التي يعتمد عليها في التضليل لعباد الله، والتأثير عليهم.

هذه المسألة في غاية الأهميّة ولمعرفة ذلك فما الذي يقول الله عن ذلك؟ قال: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ وهذا زاجر كبير جدًّا يعني بعد النهي عن ذلك بقوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ لا تقعد مع أيّ قناة، مع أيّ وسيلة إعلاميّة تخوض في الباطل ضدّ الحق، والحقّ هو امتداد لآيات الله، الحقّ فيما فيه من عمل، الحقّ فيما تضمّنه من مواقف، الجهاد في سبيل الله هو من الحقّ، الإساءة إلى الجهاد والمجاهدين وإلى العمل الجهادي خوض في آيات الله، الاستهزاء بآيات الله التي تضمّنت الكثير من أوامر الله، النشاط الذي يستهدف العمل الجهادي في سبيل الله ومواجهة الظالمين والمستكرين والطمغاة هو خوض في آيات الله بالباطل وإساءة إلى هدى الله وإساءة إلى الحقّ.

فبعد أن نهى الله سبحانه وتعالى نهياً قال محدّراً ومشدّداً على المسألة بما يدلّ على أهميّتها الكبيرة: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ ما أسوأ أن يكون الإنسان عند الله سبحانه وتعالى في حكمه مثل أولئك الظالمين الخائضين في آيات الله، الخائضين بالباطل ضدّ الحقّ مثل أولئك الدجالين المفتريين والباهتين والكذابين والمضللين، أن يكون الإنسان مثلهم. هذه مسألة خطيرة جدًّا وكارثيّة وأمر يفترض أن يوحش الإنسان وأن يقلقه وأن يدفعك إلى الحذر وإلى اليقظة وإلى الحيطة فالمسألة مهمّة جدًّا، ولنلحظ كيف أنّ النصّ القرآني ركّز على المنافقين في الموضوع حتّى عندما توعد فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(١).

إنّ هذا يدعو إلى النفاق، البعض من الناس قد يتأثر ولو تدريجيًّا مع الوقت ومع ضعف الارتباط بهدى الله يتأثر حتّى يصبح في يوم من الأيام من المنافقين، يدخل النفاق فكرةً، يدخل رؤيةً، يدخل تصوّراً وفهمًا مغلوّطاً،

(١) سورة النساء، الآية ١٤٠.

يدخل تأثراً متدرّجاً، تتغيّر نظرتَه إليهم مرّةً بعد أخرى وتصبح نظرةً لصالِحهم،
نظرةً المنخدع بهم، المتأثّر بما يقولون، المتقبّل منهم، المتفاعل معهم،
وبالتالي يكون معهم، مع الكافرين والمنافقين؛ والكافرون والمنافقون شيء
واحد ولهذا سيجمعهم الله في جهنّم جميعاً.

رابعًا- مواقع التواصل الاجتماعي وأثارها الخطيرة

من المعلوم المتيقن أنّ ابتكار مواقع التواصل الاجتماعي هو اختراع ومنشأ أمريكي بهدف (استخباراتي). وهناك كتب ومقالات وأقوال ونصوص وأدلة تثبت ذلك. لدى الأمريكي هدف واسع لا يقتصر على الجانب العسكري فقط، بل هو استهداف شامل لكل شيء: استهداف للأخلاق وللوعي، ولكل عوامل القوّة والصلاح، وكل ما من شأنه أن يبنى الأمة وأن يصنع لديها عوامل المنعة في مواجهة العدوان، فهم يعملون من خلالها على صناعة توجّهات تلهي الناس عن قضاياهم الحقيقيّة ومسؤولياتهم الكبيرة.

يفترض أن نكون على وعي عالٍ وفهم صحيح وحكمة في التصرف فيما نقول وفيما نكتب وفيما نقدّم وفي تقديم ما ينبغي أن نقدّمه على مستوى مواقع التواصل الاجتماعي؛ لأنّه عندما تفقد هذه الحكمة وينقص أو يندعم الوعي اللازم تجاه هذه المسألة يصبح التعاطي مع هذه المواقع خطير جدًّا.

البعض يضيّعون الكثير من أوقاتهم وهم عاكفون على الفيس بوك بشكل مستمر؛ هذه قضية خطيرة، مضيعة للوقت من جانب، وقد تكون متاهة للإنسان من جانب آخر.

نحن أمة قرآنيّة ومسيرتنا قرآنيّة ومواقفنا وأعمالنا وأقوالنا وتصرفاتنا ينبغي أن تكون موزونة بميزان القرآن لنكون حكماء، يقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(١) والكتابة هي ستلحق بالقول.

ينبغي لنا أن نعصم أنفسنا من مخاطر هذه الوسائل التي صُنعت من أجل حرفنا عن مسارنا الصحيح والسليم الذي أراده الله لنا، وأن يشكّل إيماننا وتوانا وعيًّا كاملًا بالمخاطر التي تتهدّدنا لتحرفنا نحو المعصية والضلال أو الإغواء.

تشكّل القنوات الإعلاميّة اليوم ولا سيّما مواقع التواصل الاجتماعي، وهي أبعد ما تكون عن التواصل، هي مواقع للانحراف والضياع، والصفحات المخصّصة لهذا النشاط الإنترنتي قنوات لنشر المفاصد الأخلاقيّة وتدمير القيم من خلال نشر ثقافة العراء والجرائم؛ فيجب الحذر من استخدام هكذا قنوات أو أيّ وسائل أخرى في الإنترنت.

الإنترنت اليوم فيه الكثير والكثير من الوسائل التي تدنّس النفوس وتنتشر المفاصد والزنا والجرائم الأخلاقيّة إلى مناطق كثيرة من العالم، إلى أشخاص كثر كانوا - قبل أن يتورّطوا وأن يصغوا وأن يرتبطوا بوسائل إعلاميّة من هذا النوع - زهيبين، كانوا شريفين، طاهرين، محافظين على أنفسهم من الدنس ومحافظين على أعراضهم وشرفهم، ولكن كان الذي جرّهم إلى فساد أخلاقي هو الولوج في هذه الصفحات التي تغوي للدخول إليها واستخدامها والتواصل مع آخرين فيها لا نعرفهم، نتحدّث معهم بغرض تضييع الوقت، ثمّ يتحوّل ذلك إلى إدمان ومتابعة يوميّة وحثيثة حتّى تصبح من أولويّات حياتنا فتغيّر فينا الكثير من القيم والأعراف التي كبرنا عليها، وتحيلنا إلى أشخاص مختلفين عن بيئتنا المحافظة وعن أنفسنا أيضًا.

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧٠.

الشباب اليوم والشابات يجب أن يكونوا حذرين جدًّا منها، أن يحموا أنفسهم منها من البداية، لا تذهب لتدخل إلى موقع في الإنترنت فتطلع إليه فيوسوس في صدرك فيغويك ويضرب فيك القيمة المعنويّة الأخلاقيّة، وتركية النفس، وشرفها، وطهارتها، فيغويك ومع هذا نشاط كبير للتواصل والتعارف وبشكل أعمى وبشكل غير منضبط، فتبدأ بالمراسلة التي فيها المرادة والوسوسة والتزيين للمعصية والإغراء حتى الإيقاع في المعصية.

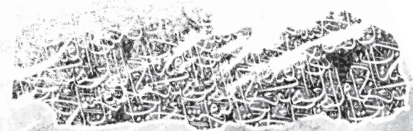
هذه اليوم واحدة من أفظع الآفات المنتشرة والخطيرة جدًّا على الشباب والشابّات وعلى الرجال والنساء جميعًا، ويجب الحذر منها بشكل كبير والاحتماء والحذر منذ البداية منها، فالذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس اليوم يمتلك الوسائل التي تساعده على ذلك بأكثر من ما قد مضى في تاريخ البشريّة.

لذلك، لا بدّ من الحذر من الانجرار وراء القنوات التي تعمل على تزييف وعي الناس وصرفهم عن أولويّاتهم وقضاياهم الكبرى، وكذلك الحذر من الوسائل الإعلاميّة التي تعمل على مسخ الهوية الدينيّة الأصيلة التي شهد لهم الرسول ﷺ بها في قوله: «الإيمان يمان والحكمة يمانية»، والحذر من الوسائل الإعلاميّة التي تعمل على استهداف الناس في أخلاقهم وقيمهم، وتعمل على أن يفقد الإنسان أخلاقه وحياءه؛ لأنّ من أهمّ ما يركّز عليه الأعداء العمل على انعدام الحياء على المستوى الأخلاقي - خصوصًا - مع الاختلاط في التواصل والتراسل في مواقع التواصل الاجتماعي بين الرجال والنساء، وهذه ثغرة خطيرة يستغلّها الشيطان والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١) صدق الله العظيم.

والحمد لله فقد منّ الله علينا بقنوات يمنيّة أصيلة وصادقة تعبّر عن هويّة وقيم وأخلاق أمّتنا العربيّة والإسلاميّة وخصوصًا قيم وأخلاق هذا

(١) سورة النور، الآية ٢١.

الشعب العظيم، يمن الإيمان والحكمة، وتعمل على تقديم الوعي والبصيرة، ونشر القيم والأخلاق والفضيلة، فينبغي أن نتابعها ونحرص عليها فللسنا بحاجة إلى القنوات التي أنشأها أعداؤنا في إطار حربهم الإعلامية القذرة علينا وعلى أبناء أمتنا.



خاتمة

ونختم ببعض ما ورد في رسالة السيّد عبد الملك (حفظه الله) بمناسبة اليوم العالمي للمرأة وذكرى ولادة فاطمة الزهراء البتول، سلام الله عليها، حيث قال:

«لقد قدّم الإسلام نموذجه الأرقى والتميّز والقدوة في الواقع الإنساني للمرأة المسلمة، وأثبت أنّه رسم لها الطريق للارتقاء في سلّم الكمال الإيماني والارتقاء الإنساني على نحوٍ حقيقي وسليم وصحيح وعظيم ومقدّس، وليس كما يفعل أعداء الإنسانيّة اليوم وعلى رأسهم أرباب الفساد والرذائل بقيادة أمريكا وإسرائيل الذين يسعون إلى الانحطاط بالمرأة وإفسادها وتحويلها إلى سلعة رخيصة للاستغلال السياسي، ووسيلة لهدم الأخلاق والقيم، وعنواناً لتفكيك المجتمع وبعثرته وتمزيق نسيجه الاجتماعي.

وإننا بهذه المناسبة ندعو مجتمعنا الإسلامي وأخواتنا المسلمات إلى اليقظة العالية تجاه كلّ مكائد الأعداء ومساعيهم الشيطانيّة الخبيثة الهادفة إلى تدمير القيم والأخلاق كوسيلة خطيرة لتدمير مجتمعنا الإسلامي، الذي لو خسر قيمه وأخلاقه وبنيته الاجتماعيّة المتماسكة - من خلال تماسك الأسرة المسلمة - وجوّها التربوي والأخلاقي لأصبح مجتمعاً ضائعاً ومفككاً وتمعّياً وساقطاً ومتخلّياً عن قضاياه ومنتصلاً عن مسؤولياته. وبالتالي، يسهّل على أعدائه توجيه الضربة القاضية له في اللحظة التي فقد فيها كلّ عناصر التماسك والقوّة الإيمانيّة والأخلاقية والمعنويّة والعمليّة، وهذا ما يرغب به

أعداؤه ويسعون له كما قال الله تعالى في كتابه الكريم بشأنهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

إنَّ الحفاظ على الأخلاق الإسلاميَّة والضوابط الشرعيَّة، ومراعاتها في النهضة الإسلاميَّة وحركة الحياة العامَّة، والحرص على الاستقلال الحقيقي، والحدِّ من التبعية العمياء والتقليد الغيبي للأعداء تمثِّل الضمانة لفشل مساعي الأعداء في أخطر حرب يشنُّوها على عالمنا الإسلامي والتي عُرفت بالحرب الناعمة، والتي تُركِّز على الغزو الفكري والثقافي، والاستهداف للمجتمع في مبادئه وأخلاقه وقيمه، والتي لا بدَّ من التحرك الجادِّ لتحسين مجتمعنا الإسلامي وفي طليعته فئة الشباب والناشئة ذكورًا وإناثًا تجاهها، وباعتبارها أخطر بكثير وأشدَّ ضراوة من الحروب العسكرية، فتلك تدمر روح المجتمع وعقيدته وإيمانه، أما العسكرية فهي أقلُّ خطورة منها وإذا حافظت الأمة على مبادئها وأخلاقها وقيمتها وعملت على ترسيخها وتفعيلها انتصرت بلا شكَّ في معركتها العسكريَّة وفي معركتها الحضاريَّة أيضًا.

ولا يفوتنا أن نُشيد بمجتمعنا اليمني في حفاظه إلى حدِّ كبير على أصالته وقيمه، والمؤمِّل من العلماء والمثقفين وحملة الوعي أن يقوموا بواجبهم وينهضوا بمسؤوليتهم في العناية بالمجتمع، والعمل الدؤوب على نشر الوعي وتبصير الأمة تجاه مكائد الأعداء للحدِّ منها ولتنمية القيم والأخلاق الإسلاميَّة وتربية النشء عليها وتفنيد مزاعم الأعداء الزائفة الرامية لهدم القيم ولتعزير الالتزام بالضوابط الشرعيَّة الإلهيَّة الكفيلة بصون المجتمع المسلم والحفاظ على كرامته وسلامته الأخلاقيَّة.

كما نُشيد بإعزاز وإجلال بالمرأة اليمنيَّة وتضحياتها وصبرها وصمودها في ظلِّ الوضع الراهن الذي يعاني فيه شعبنا المسلم العظيم من العدوان

(١) سورة المائدة، الآية ٦٤.

■ الفصل السابع: الحرب الناعمة (الأخطار والمعالجات)

الهمجي الأمريكي السعودي الظالم على مدى قُرابة ثلاثة أعوام، وأسهمت بشكلٍ رئيسي في كلِّ ما تحقَّق من صمود وثبات ونصر...
سائلين الله تعالى النصر لشعبنا المظلوم والرحمة لشهدائنا الأبرار
والشفاء للجرحى... والتوفيق لمرضاته لأبناء شعبنا وأمّتنا الإسلاميّة»^(١).

(١) من رسالة وجهها السيّد عبد الملك الحوثي إلى كلّ المؤمنات في العالم الإسلامي بمناسبة مولد السيّد الزهراء (سلام الله عليها) لعام ٢٠١٨م.

الفصل الثامن:

المنافقون أقدر أدوات العدو لضرب الأمة



عندما نعود إلى التوصيف القرآني لطبيعة الخطر النفاقي منذ الأيام الأولى للإسلام وفيما يتحدث به عن الدور النفاقي في كل أسبابه ودوافعه وممارساته وأساليبه تجد وكأنَّ القرآن الكريم يتحدَّث عن منافقي اليوم بكلِّ أصنافهم وفئاتهم؛ من يتحرَّك منهم باسم الدين، أو باسم الوطنيَّة، أو باسم المصلحة.

ولأنَّ القرآن الكريم أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ليكون كتاب هداية ومنهج حقٍّ للناس إلى قيام الساعة فيه الهدى الشامل والكمال في كلِّ مجالات الحياة يكشف الظلمات وينير الدروب ويبين الحقائق لكي لا تتوه البشريَّة فتشقى وتظلم وتهان وتداس تحت أقدام أعدائها، نراه يقدِّم الحلَّ والمخرج للبشريَّة في كلِّ القضايا، يعرِّفها على أعدائها ومكرهم وخداعهم ويضع لها الحلول أمام كلِّ المعضلات والمشاكل.

فكما حدَّر الله الأُمَّة من أعداء الخارج من الكفَّار واليهود والنصارى حدَّرها ونبيَّها ووضَّح لها أعداء الداخل من المنافقين الذين ينخرونها من الداخل لصالح العدوِّ الخارجي واعتبرهم القرآن أقدر وسائل العدوِّ الخارجي لضرب الأُمَّة من الداخل، وسَمَّاهم الله إخوان اليهود والنصارى فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ

قُوتِلْتُمْ لَنْصُرَتَّكُمْ»^(١) وشهد الله أن الكذب أحد أبرز صفاتهم في قوله سبحانه تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٢). كما لعنهم الله في كتابه الخالد وعلى لسان نبيه محمد ﷺ فقال سبحانه وتعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أُخْذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا﴾^(٣).

«يتحدث القرآن الكريم عن المنافقين كثيراً ولكن أكثر ما يكشفهم هو الصراع مع العدو، أكبر عملية كشف وفضح وتعرية وتبيين للمنافقين هي في إطار الصراع مع العدو. وهنا، وضح القرآن الكريم مواقفهم المختلفة، والمتباينة مع الإيمان، فمواقفهم دائماً بعيدة عن الثبات، بعيدة عن الموقف الصحيح، بعيدة عن التوجيهات الإلهية، ومواقفهم تأتي لصالح العدو، في أقل أحواله: التخذيل، والتشبيط، والإرجاف.

فما بالك وهم ينتقدون المؤمنين عندما يتحركون، وينظرون إلى المؤمنين وهم في حالة الاستجابة لله، والطاعة له تعالى، والثقة به، والتوكل عليه سبحانه، ومن منطلق إيمانهم، وكأنهم أغبياء كيف استجابوا؟ كيف تحركوا؟ كأنهم أغبياء، وليسوا بحكماء، ولا سياسيين، ولا عندهم التفات إلى مصالحهم، وأنهم أناس سُذَّج، وأغبياء، ينظرون نظرة احتقار للمؤمنين: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ﴾ مغرورون، مغرر بهم مثلما يقولون أحياناً: خُدعوا، أدخلوا أنفسهم في مشكلة كبيرة؟»^(٤).

(١) سورة الحشر، الآية ١١.

(٢) سورة المنافقون، الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٦١.

(٤) من دروس الأنفال للسيد عبد الملك المدرس الرابع.

أولاً- من هم المنافقون؟

«المنافقون هم فئة تعمل في أوساط المسلمين تثبطهم عن نصر دين الله، تخوِّفهم، ترعبهم، ترجف قلوبهم، تشيع الشائعات التي تقلق نفوسهم، وترعب قلوبهم. كتاب الله الكريم تحدث عن المنافقين في أسوأ ممَّا تحدّث عن اليهود، والنصارى، والمجوس، والكافرين. إذا كانت جهنّم لها سبعة أبواب، ودركاتها متفاوتة في الشدّة، فإنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم أخبث عباد الله، أسوأ البشر، أرجس وألعن البشر جميعًا، قال الله عنهم لرسوله ﷺ: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ﴾^(١)»^(٢).

«لقد رصد القرآن الكريم حركة النفاق في داخل الأمة رصدًا دقيقًا وواسعًا، بشكل كبير. وحديث القرآن الكريم عن النفاق والمنافقين حديث واسع وكبير، ولربّما كان أكثر وأقسى حتّى من حديثه عن الكافرين، وقدّم خطورتهم بأنّها أكثر من خطورة الكافرين، ومن خطورة الأعداء الآخرين للأمة من خارجها.

حركة النفاق هي: حركة في داخل الأمة، وهنا مكمن خطورتها الكبير، ولهذا قال الله عن المنافقين في سورة المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ﴾

(١) سورة المنافقون، الآية ٤.

(٢) سورة الخامس عشر معرفة الله.

قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ ﴿١﴾. هم العدو فاحذرهم، هم العدو الذي يشكك خطورة بالغة؛ بقدرته على التأثير في واقع الأمة، من داخل الأمة» (٢).

«حركة النفاق - ومن يومها الأول - لم تتجه بشكل مباشر ومكشوف ومفصوح إلى استهداف النبي ﷺ وإنكار النبوة مباشرة، على العكس من ذلك؛ فالله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا ذُهِبَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (٣) فهم - فيما يتعلق بالنبي ﷺ، والإقرار بالإسلام، والانتساب للإسلام، والشهادة بالشهادتين - كانوا واضحين، كانوا يقدمون أنفسهم تحت كل هذه العناوين، وكانوا يتحركون حتى تحت العناوين الإيمانية، ولهذا قال الله عنهم في القرآن الكريم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٥﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ (٤).

يتحرك المنافقون تحت عناوين إيمانية، منتسبين للإسلام، وقد يكون لدى البعض منهم - لأنهم فئات متعددة ومتنوعة - تيارات وفئات لهم صبغة دينية، فيحاولون الانطباع بطابع الدين والتدين، وما إلى ذلك؛ ولهذا حتى في حركة المسجد، وفي حركة الصلاة حاولوا أن يُنفذوا عبر ذلك، يعني: هم يحاولون حتى أن يعمدوا إلى توظيف الفرائض والأساليب الدينية، فيما يخدم أهدافهم الخبيثة» (٥).

(١) سورة المنافقون، الآية ٤.

(٢) من كلمة السيد عبد الملك الحوئي بمناسبة استشهاد الإمام علي لعام ١٤٣٨هـ.

(٣) سورة المنافقون، الآية ١.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٨.

(٥) من كلمة للسيد عبد الملك بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي لعام ١٤٣٧هـ..

فليس لديهم مشكلة مع شكليات الدين إذا قضاوا على جوهره، و«أهمّ ضمانة لصالح الأمة، وأهمّ ما كان يمكن أن يُبنى عليه واقع الأمة: هو دينها، هم اتجهوا إلى هذا الدين، فبدلاً من إلغاء الإسلام وشطبه جملة. لا.. هذا ليس ما تتّجه إليه حركة النفاق. حركة النفاق تبني المسجد، تكتب المصحف، وبعد ذلك تطبعه. حركة النفاق تشهد بالشهادتين، وليس لها مشكلة مع شكليات من الإسلام إذا قضت على الجوهر في هذا الدين الذي يتعارض معها، ولذلك اتجهت إلى الإفساد في دين الأمة من خلال:

أولاً: تحريف المفاهيم الدينيّة، وهذه مشكلة كبيرة وخطيرة في واقع الأمة، تغيير بعض المفاهيم بالكامل، واستبدالها بمفاهيم جديدة تحسب على الإسلام، وليست من الإسلام بشيء، ولكنّها تتأقلم مع رغبات، ومطامع، وسلطة حركة النفاق من خلال الاختلاق، والافتراء، فيفتري على النبيّ نصوصاً وأحاديث، يفتري على الإسلام ما يحسب عليه من تشريعه، وتعاليمه، ومفاهيمه، وليس منه بالأساس، هذا مسار، هذه طريقة، هذه واحدة من أساليب التحريف.

ثانياً: أسلوب آخر من أساليب التحريف: يحافظ على النصّ، لكن يقدم له مدلولاً آخر، محاولة تفرغ بعض النصوص الدينيّة من دلالاتها الحقيقيّة، واستبدال مدلولها الحقيقي بمدلول آخر مُدعى مُزيّف، وهناك يُحرف المعنى، يبقى النصّ القرآني، يتحدّثون مع الناس ويقولون: قال الله كذا، قال النبيّ كذا، ولكن يقدمون معنى آخر للنصّ القرآني، أو للنصّ النبوي. هذا مسلك آخر من مسالك التحريف.

ثالثاً: تنزيل هذا النصّ في غير موضعه، وضع النصّ، تحريفه عن مواضعه، مثلاً: عندما تقرأ آيات الجهاد، آيات الجهاد صحيحة، ومدلولها واضح، ولكن يحركّ بها المغفّلين في خدمة أمريكا وإسرائيل، في ضرب الأمة، في ضرب المسلمين، في البغي على المحقّين، هذا واحد من الأمثلة كثيرة جدّاً.

وهكذا اشتغلوا من بعد موت رسول الله ﷺ في التحريف للدين وبالذات في العصر الأموي في تحريف المفاهيم الدينيّة، وبشكل واسع جدًّا في واقع الأُمّة، فأصبح في واقع الأُمّة الكثير من المفاهيم المغلوطة والمخلوطة والمشوّهة، ولُبس الحقّ بالباطل، وأصبح هناك الغُثاء الكثير في الموروث الثقافي للأُمّة، يُستغلّ اليوم من أيّ ضال، من أيّ مفسد، من أيّ مجرم، من أيّ مضلّ، يجد لديه ما يقول، قالوا وقالوا، وقال فلان، وحدّثنا فلان، وأخبرنا فلان»^(١).

«وامتدت هذه الحالة في واقع الأُمّة: حالة التحريف للمفاهيم، حالة الاستبداد والاستئثار في الحكم، والاستعباد للناس، حتّى وصلت إلى زمننا اليوم، معظم الأنظمة القائمة في واقع الناس هي: امتداد لحركة النفاق الأمويّة، امتداد في الطغيان، في الاستعباد، في الاستبداد، الكثير منها، والبعض منها أخذ أيضًا الطابع الديني المزيف، الذي هو فعلاً امتداد لفئة من فئات النفاق، أصحاب مسجد ضرار، فحمل هذه السّمة، سمة المسجد، وطبع المصحف، وفي نفس الوقت التماهي الكامل مع أعداء الأُمّة، من خارج الأُمّة، الانسجام الكامل مع الأمريكيّين، مع الإسرائيليّين، مع أعداء الأُمّة، في مؤامراتهم على الأُمّة، فيما يستهدفون به الأُمّة، فيما يضرّون به الأُمّة»^(٢).

«اليوم تماهت وانسجمت حركة النفاق في الأُمّة المعاصرة بشكل تامّ مع أعداء الأُمّة، من خارج الأُمّة، فتآمرت معهم، وافترضت بعلاقتها معهم، وصدق الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عندما قال: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ أيُّ بشرى؟ ما هي البشرى المتوقّعة للمنافقين؟ الجنّة! النصر! العزّة! ماذا؟ ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٣).

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي لعام ١٤٣٧ هـ .

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي لعام ١٤٣٧ هـ .

(٣) سورة النساء، الآية ١٣٨ .

من هم؟ ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) مشكلتهم مع المؤمنين مشكلة كبيرة: عدااء شديد، بُغْض، كُره، ولأنَّ سيِّد المؤمنين، وأعظم المؤمنين إيمانًا هو: علي بن أبي طالب، لهم منه موقفهم السلبي المؤكَّد، ومن سائر المؤمنين كذلك، ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾، كلَّ الانسجام مع الكافرين، مع أعداء الأمة، فيما يتأمرون به على الأمة، فيما يشكّلونه من خطورة على الأمة، أولياء لديهم يرتبطون كلَّ الارتباط، يتولّونهم كلَّ الولاء، كلَّ التعاون، كلَّ الانسجام، فيعملون معهم ما يضرّون به الأمة التي ينتسبون إليها، ويحسبون أنفسهم منها، فاتجهت حركة النفاق المعاصرة، منسجمة كلَّ الانسجام مع أعداء الأمة، ومستهدفة الأمة بكلَّ أطيافها، تجعل من إسرائيل وأمريكا الصديق والحليف، ومن دول وقوى ومكوّنات إسلامية العدوَّ الرئيسي لها^(٢).

(١) سورة النساء، الآية ١٣٩.

(٢) من كلمة للسيّد عبد الملك بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي لعام ١٤٢٧هـ.

ثانيًا- بعض مواصفات المنافقين

كشف القرآن الكريم مواصفات ووسائل المنافقين الخبيثة نذكر منها:

١- يفرحون عندما يتضرر المؤمنون

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾^(١)؛ ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ نصر وغنيمة وظفر ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ يستأوون ولا يرتاحون لهذا؛ لأنهم مستأوون منك يريدون بك الشر، ويريدون لك الفشل، ويتمنون لك الهزيمة. ﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ إن سقط شهداء أو جرحى أو تراجع في بعض المواقف يرتاحون ويعتبرون ذلك دليلاً على أنهم اتخذوا الموقف الصحيح؛ لأن الموقف الصحيح عندهم هو الموقف الذي جنبهم ما حصل لك كمجاهد في سبيل الله، أما أنت لأنه دُمر منزلك، أو لأنه استشهد قريبك أو صاحبك أو أي شيء يعتبرونك مخطئاً، وهذا دليل على خطئك، وأنت أوقعت نفسك فيما وقعت فيه، وأنت سببت لنفسك ما حصل، أما هم فيعتبرون أنفسهم أذكاء فيتفاخرون بعودهم وتخاذلهم عن الجهاد في سبيل الله، وأنهم جنبوا أنفسهم ما لحق بك، ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ فرحون بما

(١) سورة التوبة، الآية ٥٠.

أصابك، وفرحون بأنهم لم يكونوا مجاهدين كمثلك فيعانون في سبيل الله، أو يضحون، أو يقدمون شيئاً في سبيل الله»^(١).

٢- متنصّلون عن المسؤولية الجهادية

«هناك من المنافقين فئات متخاذلة متكاسلة متنافرة متنصّلة عن المسؤولية فهي لا تتفاعل مع حالة الجهاد في سبيل الله لا بالنفس ولا بالمال، وإن أعطت شيئاً من المال لا تعطيه برغبة إنما بكره ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ قَوْمٌ فَاسِقُونَ﴾^(٢). والعياذ بالله من هذه الحالة، عندما يصح الإنسان في واقعه فاسقاً، خارجاً عن أمر الله، متمرداً على أوامره وتوجيهاته تعالى ومنها الأمر بالجهاد والتوجيه من الله سبحانه وتعالى بالجهاد.

في هذه الحالة التي يصبح الإنسان فيها كارهاً للجهاد في سبيل الله، وكارهاً للمجاهدين، وراضياً عن تخاذله وعن تقصيره وعن تنصّله عن المسؤولية حتى لو أنفق لا يقبل منه إنفاقه، ﴿لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ قَوْمٌ فَاسِقُونَ﴾. والله إنما يتقبل كما قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، فلماذا لا تقبل منهم نفقاتهم؟ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾^(٤) وهذه القضية الخطيرة جدّاً، كيف؟

بعض الناس النافرين جدّاً من الجهاد، والكارهين بشدّة للجهاد، والمعادين للمجاهدين في سبيل الله، يعيشون داخل أنفسهم الكفر: الكفر بالله والكفر برسوله، كيف؟ في واقع الحال وحقيقة الأمر ما جعلهم لا يثقون بالله سبحانه وتعالى، لا يثقون بوعدته بالنصر، لا يثقون بوعوده الكبيرة

(١) من دروس التوبة للسيد عبد الملك.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥٣.

(٣) سورة المائدة، الآية ٢٧.

(٤) سورة التوبة، الآية ٥٤.

والعظيمة بالتمكين والخير، ولا يقلقون من وعيد الله، الله يتوعد من يتخاذلون عن الجهاد في سبيل الله، فلماذا في وعد الله بالنصر والخير لم يثقوا ولم يندفعوا؟ ولماذا أمام وعيده بالعذاب لمن يتخاذلون لم يقلقوا ولم يخافوا من الله؟ لأنهم لا يعيشون حالة الإيمان في داخلهم أبدًا.

يمكن للإنسان أن يكون الإيمان في واقعه شكلاً، قولاً يقوله، وعبارات يتلفظ بها، أمّا في داخل قلبه فيكمن الكفر بالله، أي: عدم التصديق وعدم الثقة به تعالى، وعدم اليقين بوعيده سبحانه وتعالى ووعدته. حينما لا تصدّق الله، لن تصدّق وعده بالنصر، أو بالعذاب، هل هذه حالة إيمان أم حالة كفر؟ حالة كفر بلا إشكال، حتّى لو كنت تدّعي الإيمان وقلبك لم يحمل في داخله الثقة والتصديق لله سبحانه وتعالى، فالإنسان يعيش في داخل نفسه الكفر ﴿كَفَرُوا﴾ ومع هذا لا يزالون يصلّون، ولو أنّها صلاة بكسل وبدعم رغبة، ولا يزالون ينفقون ولو أنّه إنفاق بكره وعدم رغبة، وعدم اندفاع»^(١).

«هؤلاء أصحاب الأموال الذين لا ينفقون إلّا وهم كارهون ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾^(٢) لا تكثر لأموالهم؛ تلك التي يبخلون بها ولو أنفقوا اضطرارًا لا ينفقون إلّا بكره، وأولادهم كذلك وما بأيديهم كلّ يمثل عذابًا نفسيًا لهم.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣) أراد الله سبحانه وتعالى أن يعذبهم بالمال عذابًا نفسيًا، عذابًا في أنفسهم، عذابًا وهم يعانون من شدّة الحرص، وشدّة الجشع، وشدّة الطمع، وحرقة القلب على جمع المال والحفاظ عليه، ثمّ العذاب النفسي وشدّة القلق على ذلك المال إلّا ينقص، إلّا يتلف منه شيء، إلّا يصاب إذا وقعت حرب، فهم يعيشون حالة العذاب النفسي الشديد المؤرّق لهم

(١) من دروس سورة التوبة الدرس الرابع ألقاها السيّد عبد الملك الحوثي في رمضان لعام ١٤٣٤ هـ.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥٥.

(٣) سورة التوبة، الآية ٥٥.

والمقلق لهم ليلاً ونهاراً، هذا من مكر الله العجيب، يعذبهم بما لهم عذاباً نفسياً لا يعرفون معه الراحة، ولا تصل السعادة بذلك المال الذي جمعه إلى داخل قلوبهم، قلقون عليه دائماً، وقلق الحرص، قلق الجشع، قلق الطمع، المخاوف على المال من أن ينقص أو يتلف منه شيء أو يتضرر بحرب أو ما شابه»^(١).

٣- الاستهزاء والسخرية من المؤمنين

«من أسوأ ما لدى المنافقين هو أنهم في نظرهم إلى الدين، إلى الإسلام، إلى الجهاد، إلى المواقف التي يفرضها الإسلام دائماً ينظرون إليها بنظرة الاستهزاء والسخرية. فهم دائماً يهزؤون من المؤمنين ويحتقرونهم في كل موقف يتحركون فيه استجابة لله فيما أمر به، وفيما يرضى عنه تعالى، ويعتبرون الموقف الذي هو موقف إيماني قائم على أساس الاستجابة لله رب العالمين موقفاً سخيفاً، ويدعو للهزاء والسخرية، ويطلقون كلمات الاستهزاء والسخرية والتحقير وما إلى ذلك. هذه حالتهم، هذا واقعهم، ينظرون باحتقار واستهزاء وسخرية، حتى القضايا الكبرى إذا تحرك فيها المؤمنون وهي قضايا كبيرة من صميم الدين من أساسيات الإسلام، يكون موقفهم السخرية والاستهزاء»^(٢).

٤- تثبيط المؤمنين من الإنفاق القليل

«ثم من أعمال النفاق والمنافقين وأساليبهم وحركة بعضهم لا يكتفون بالبخل وعدم الإنفاق إنما يحاولون أن يثبطوا الناس من الإنفاق، ويمنعون الناس عن الخير، لا يكتفون بذلك بل يحاولون أن يسيئوا إلى المنفقين، فإذا رأوا منفقين من ذوي الظروف الصعبة الذين ينفقون بدافع الإيمان وإن كانت ظروفهم صعبة بقلّة ذات يد، ليس عندهم سعة، ليس عندهم إمكانيات، فهم ينفقون

(١) من دروس التوبة الرابع ألقاها السيّد عبد الملك الحوثي في ١٣ رمضان لعام ١٤٣٤هـ

(٢) من دروس التوبة للسيّد عبد الملك.

بقدر حالهم، لكنَّ المنافق الذي يبخل أساسًا عن الإنفاق يخذل الناس عن أن ينفقوا، يسخر من المنفقين الذين أنفقوا مع قلة ذات يدهم، وقسوة حالهم، لكنَّ إيمانهم دفعهم للإنفاق فأنفقوا من القليل القليل بقدر الحال.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾^(١)، ﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون ويطعنون وينتقدون ويسئون بجراح الكلام، يسيئون إلى من؟ إلى ﴿الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الذين ينفقون طوعًا برغبة نفس. المؤمن، حتى وإن كان فقيرًا وإن قلَّت ذات يده وإن قلَّت إمكانياته، هو ينفق برغبة، يقدم من القليل القليل، المؤمن أبدًا ليس بخيلاً، من هو بخيلٌ عن الإنفاق هو لا يعيش الإيمان أبدًا، لو كان مؤمنًا لما أطاق البخل أبدًا، ولأنفق برغبة، يدرك قيمة الإنفاق.

لذلك ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ فيسخرون ويستهزؤون ويعيبون المنفقين سخط الله عليهم سخطًا شديدًا؛ لأنهم يثبطون ويخذلون، ويحاولون أن يتعد الناس عن الإنفاق بما يترتب عليه من نتائج مع أهميته الكبيرة. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ وحين يسخرون من المارقين يصبحوا محطَّ سخريه الله ومقته وكرهه وغضبه وسخطه تعالى والعياذ بالله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) توعدهم الله بعذابه، وهكذا كلُّ فئات النفاق حين تصل إلى حالة سيئة جدًّا من سخط الله وغضبه لا يجدي معها أيُّ شيء^(٣).

٥- الجبن والخوف

«هناك فئة أخرى نفاقها وتخاذلها وعداوتها للجهاد والمجاهدين وسبب نفاقها وانحرافها ليس البخل والطمع والجشع على المال، لها سبب آخر:

(١) سورة التوبة، الآية ٧٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ٧٩.

(٣) سورة من دروس التوبة للسيد عبد الملك.

الجبن والخوف قد يسبب للبعض أن ينافقوا ويتخاذلوا؛ لأنهم جنباء فزعون ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِّنكُمْ﴾^(١)، المنافقون يحلفون أيمان كثيرًا، ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾^(٢)؛ إنهم جنباء فزعون خائفون، فهم يخافون من أعداء الله لدرجة أنهم ينافقون ولا يجاهدون، بل يتآمرون ضدَّ الحقِّ الدين.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا﴾ يلجؤون إليه، ﴿أَوْ مَغْرَبًا﴾ يختفون فيها، ﴿أَوْ مَدْحَلًا﴾ يدخلون فيه فيبتعدون كليًا عن ساحة وواقع الجهاد ﴿لَوْلَا﴾ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾^(٣) وهم في حالة من السرعة المخيفة القائمة على حالة اضطراب وقلق، هذه فئة الخائفين الجبناء»^(٤).

٦- التوجّه المادي

«هنا فئة أخرى ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ هؤلاء من أصحاب التوجّه المادّي يعيبك ويطعن بك، وينتقد طريقة توزيعك للصدقات، ولماذا لم تعطهم منها بما يرضيهم ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضًا﴾ إذا أعطيتهم أموالاً ارتاح وأصبح متفاعلاً معك ومنسجماً ومؤيداً، ﴿وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ﴾^(٥) وإذا لم يعطوا منها فهم في حالة سخط وكره وتزول عنهم حالة الرضا. هذا التوجّه المادّي الذي يجعل رضا الإنسان أو سخطه يدور على قدر ما يحصل عليه من مال، إن أعطي المال رضي، إن لم يعط سخط، وأصبح ينتقد ويستهنج ويحاول أن يشير الانتقادات والمعائب وهكذا.

(١) سورة التوبة، الآية ٥٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥٦.

(٣) سورة التوبة، الآية ٥٧.

(٤) من دروس التوبة للسيد عبد الملك.

(٥) سورة التوبة، الآية ٥٨.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وهو الموقف الصحيح للإنسان المؤمن راضياً عن الله فيما آتاه، وراضياً عن رسوله، وعن القيادة الحقّ الذين هم ورثة حقيقيّون للرسول ﷺ. ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافينا الله، أملنا فيه، أملنا في فضله، هو الرزاق، هو الذي بيده كل خير ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولَهُ﴾ الأمل في الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾^(١). فالرغبة والأمل والرجاء في الله، وعنده الخير الكثير، وهو الرزاق ذو القوّة المتين^(٢).

٧- فقدهم للاحترام حتّى للنبي ﷺ

«النفاق ينمو في قلب المنافق في مشاعره فيترك أثراً سلبياً عليه لدرجة أنّه يفقد احترامه لنبيّ الإسلام ﷺ، يصل إلى مستوى لم يعد للنبيّ، وهو النبي في مستواه ومكانته، والذي يجب أن يكون بعد الله أعزّ عزيز على قلب الإنسان المسلم، أدنى درجة من الاحترام للنبي والتعظيم، فلم يعد في نفسه وفي قلبه ومشاعره الإحساس بالمحبّة للرسول والتعظيم له والتقدير له ومعرفة قدره، هذه حالة خطيرة جدّاً.

نحن وجدنا شواهد لهذه الحالة في عصرنا وفي زمننا لمنافقي زمننا، تجد في منافقي هذا العصر وهذا الزمان أنّهم عندما أساء أعداء الإسلام أشدّ الإساءة إلى رسول الله ﷺ لم يأسفوا لذلك، لم يتألّموا، لم يحزنوا، لم يعضبوا، لم ينفعلوا، لم يتأثّروا، لم يكن لذلك أيّ تأثير ولا استفزاز لمشاعرهم، لذلك تعاملوا مع الموضوع بكلّ برودة، وكأنّ المسألة عاديّة جدّاً.

تقول له: يا أخي: أعداء الإسلام أساءوا إلى نبيّ الإسلام أسوأ الإساءات. الأمر يكتيّنون يسيئون إلى رسول الله بأسوأ الإساءات، وأنت مسلم تنتمي إلى

(١) سورة التوبة، الآية ٥٩.

(٢) من دروس التوبة للسيد عبد الملك.

الإسلام، تحسب نفسك على الإسلام، لماذا لا تتخذ موقفًا ضدّهم؟ لماذا أنت في الوقت نفسه تغضب من أن يتخذ الآخرون أيّ موقف تجاههم مهما كان بسيطًا على مستوى هتاف بشعار البراءة، لا يتفاعل، لا يتأثر، بارد القلب، كأنّه لم يحصل شيء، لم يستفّر هذا ضدّ الأمريكيّين، واستفّر موقفك أنت كمسلم في براءتك من الأمريكيّين الذين أساءوا إلى نبيّ الإسلام فاستاء منك أنت ولم يستأ منهم هم، استاء منك أنت في موقفك من أعداء رسول الله، من المسيّين إلى رسول الله ولم يستأ من أولئك الذين أساءوا إلى رسول الله ﷺ»^(١).

٨- بغضهم الإمام عليًا ﷺ

«هؤلاء المنافقون - كما قلنا - فئات متعدّدة، منتسبون إلى الإسلام، ولكن كان لهم دائمًا الدور التخريبي في أوساط الأُمّة، من داخل الأُمّة، ومع تلبّسهم وانتسابهم للإسلام، مع اقتناعهم ببعض من الإسلام، وأخذهم ببعض منه. لقد أشار القرآن الكريم، وقدم الإسلام العظيم، وجعل الله سبحانه وتعالى في دينه الكثير من العلامات الفارقة التي تفضحهم وتكشفهم على حقيقتهم، وتعرّيبهم، فتحدّث عن كثير من أعمالهم التخريبيّة في داخل الأُمّة، وعن خطورتهم، وحذرّ منهم تحذيرًا تامًّا، كان من ضمن العلامات الفارقة، منذ المرحلة المبكرة في تاريخ الإسلام، التي تكشف المنافقين وحركتهم، والتي قدّمها النبيّ ﷺ

لقد جعل الإمام علي علامة فارقة بين الإيمان، وبين النفاق، فكان حبه علامة الإيمان، وبغضه علامة بارزة للنفاق، فقال ﷺ: «لا يحبّك - يخاطب عليًا ﷺ - إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق». وقال بعض الصحابة من الأنصار قالوا: كنّا نعرف منافقي الأنصار ببغضهم لعليّ بن أبي طالب»^(٢).

(١) من دروس التوبة للسيد عبد الملك الحوثي الدرس الرابع لعام ١٤٣٤هـ.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي لعام ١٤٣٧هـ.

«اليوم علي عليه السلام هو الامتداد اليماني الحقيقي الذي يفصح حركة النفاق التي تستطيع أن تتماهى حتى مع بعض الرموز، لكنها لا تستطيع أن تنسجم مع علي، وتستطيع أن تنسجم كل الانسجام مع بني أمية، وتمجدهم، وتعظمهم، بالتأكيد، وهذا واضح.

المناهج المدرسية لديهم، والنظام السعودي مثال على ذلك، التوجه الفكري الثقافي يعادي علي عليه السلام، يحط من قدره، الاتجاه الوهابي في أغلبه له موقف واضحة ضد الإمام علي عليه السلام، والكثير منهم يتضايق، يشعر بالضييق فوراً عندما يسمعك تتحدث عن علي عليه السلام.

ولكن من الشيء المهم، ومن حجة الله القاطعة النصوص التي وردت عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الإمام علي عليه السلام، ومنها: «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»^(١)، «أنت ممي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٢)، وغيرها من النصوص المهمة، ومنها: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(٣)؛ حديث الغدير أيضاً، وسائر النصوص المهمة التي تبين مقام علي، وحاجة الأمة إليه عليه السلام، هي ثابتة في موروث الأمة، كل الأمة»^(٤).

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، الجزء ٢٧، الصفحة ٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ١٠١، الصفحة ٤٢٤.

(٣) المصدر نفسه، الجزء ٣٧، الصفحة ١٠٨.

(٤) من كلمة للسيد عبد الملك بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي لعام ١٤٢٧هـ.

ثالثاً- من أساليب المنافقين

١- الفتنة وتقليب الأمور

«يحكي عن الفئة المنافقة المدسوسة في أوساط المؤمنين وفي واقع المسلمين أنهم طلاب فتنة، طلاب شرٍّ، يعملون عملاً سيئاً ويقومون بدور تخريبي في واقع الأمة؛ ﴿لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾^(١). طلاب فتنة في واقع المسلمين من الداخل، يحاولون إثارة المشاكل والنزاعات والخلافات والعداوات، ويحاولون أن يحولوا الواقع بالنسبة للمسلمين والمؤمنين إلى واقع مضطرب مختل غير مستقيم.

﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ يقبلون الحقائق رأساً على عقب، ويحاولون أن يشوِّشوا على الواقع كله، يحاولون بنشر أكاذيبهم ودعائياتهم وإثارتهم للنزاعات والعداوات أن يقلبوا الأمور والحقائق، الكذب صدق والصدق كذب وهكذا، والصواب خطأ والخطأ صواب، والتعاطي مع الواقع كله بشكل مقلوب، لكن بكل فسادهم وتقليبهم للأمور وإثارتهم للنزاعات وللمشاكل هم فاشلون؛ لأنَّ الله يريد لدينه الظهور ولأمره الظهور وللحق الغلبة؛ ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾، ﴿وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ على ما هم عليه من حقد

(١) سورة التوبة، الآية ٤٨.

وكره في نهاية المطاف يظهر أمر الله، وينتصر الحقُّ وهم على ما هم عليه من علل وخلل، وما هم فيه من فساد وتخريب»^(١).

٢- الدعاية والإرجاف

«أيضًا يكشف القرآن الكريم أسلوبًا آخر من أساليب المنافقين وهو: التشييط والدعاية والإرجاف، عمل تشييط وتخذييل وإرجاف واخللة وتفريق بين المؤمنين وإفساد لذات البين، عمل يخدم أعداء الإسلام، عمل واسع يعتمد العمل النفاقي بالدرجة الأولى وكأسلوب أساسي وبالدرجة الأولى على الكلام، كلام دعايات، محاولات للتأثير، دعاية من هنا دعاية من هناك، يوجّهون دعاياتهم ويطلقون أنواع دعاياتهم في اتجاهات متعدّدة. يحاول أن يرجف عليك، أن يخوّفك من أعداء الإسلام، أن يهوّل عليك العمل الجهادي. ويحاول من جانب آخر أن يشكّك في القيادة التي تقودك في طريق الحقِّ على أساس منهج الله سبحانه وتعالى، فيوجّه دعايات لهدف تشكيكك في قرارات ومواقف القيادة ليستهدف منهجك ويشكّكك في قضيتك.

يخوّفك من أعداء الله، يقلّل من حجم انتصاراتك ويهوّل أيّ تحرّك أو تقدّم للعدوّ هكذا يحاولون بشتى الوسائل معتمدين على الدعايات والافتراءات والأكاذيب، ولا أكثر أبدًا من كذب المنافقين، لأنهم بالدرجة الأولى يعتمدون على الدعايات، والدعايات التي يطلقونها تعتمد على الأكاذيب، دعايات ملفّقة، ثمّ يحاولون من خلالها التأثير على التوجّه الصحيح للمؤمنين، التوجّه الإيماني الصادق المتحرّك في سبيل الله جهادًا وبذلًا وعطاءً، المتمسّك بالموقف الذي أرشد إليه الله سبحانه وتعالى؛ فلذلك يتوعّدهم الله بالخزي وبالعذاب والخسران ثمّ يكشف للناس حقيقة أمرهم ووسائلهم وأساليبهم»^(٢).

(١) من دروس التوبة للسيد عبد الملك.

(٢) من دروس التوبة للسيد عبد الملك.

٣- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

«يقول الله سبحانه مبيِّناً صفة أخرى سيئة من صفات المنافقين والمنافقات وهي: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾^(١) المنافقون والمنافقات؛ لأنَّ النفاق ليس خاصاً بالرجال. هم طبيعة واحدة، منشأ واحد، توجه عام واحد، ومآل ومنتهاى واحد، ويا له من منتهى، وما أسوأها من عاقبة.

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ﴾ في كلِّ زمن، في كلِّ عصر، في كلِّ بلد، في كلِّ مكان ﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ طبيعتهم هذه ومسارهم الواحد وقواسمهم المشتركة هي: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ فهم حملة المنكر، حملة رايته ودعائه والعاملين على دفع الناس فيه، والتأثير على الناس به، والتأثير على الناس لتقبله. والمنكر دائرة واسعة يشمل كلُّ ما هو عصيان لله سبحانه وتعالى، كلُّ ما هو مخالفة لأمر الله سبحانه وتعالى، كلُّ ما هو سيء، كلُّ ما هو شرٌّ، كلُّ ما هو فساد، كلُّه يطلق عليه منكر، منكر تنكره الفطرة التي فطر الله الناس عليها التي تنسجم مع الدين والخير والحق. فهم نشيطون في الدعوة للمنكر وإقناع الناس به ونشره والتأثير على الناس لتقبله.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾^(٢) والمعروف الذي هو طاعة لله، خير، رضا لله، استجابة لله، ينهون الناس عنه، ويحاولون التأثير على الناس سلْباً لرفضه، تدعو إلى موقف هو موقف حقٍّ يأتون هم ليعارضوا، تدعو الناس إلى تبني قضية هي حقٌّ يأتون هم ليعارضوا ويخالفوا وينهوا الناس ويحاولون إبعاد الناس عن ذلك»^(٣).

(١) سورة التوبة، الآية ٦٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ٦٧.

(٣) من دروس التوبة للسيد عبد الملك.

أخطر فئات المنافقين هي الفئة المتلبسة بالدين. تحدّث الله عن هذه الفئة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾^(١). هذه الفئة هي من أخطر فئات النفاق؛ لأنها فئة تستر بالدين والتدين والعبادة، ثم تجعل من المساجد شبكة صيد لاصطياد المغفلين والتأثير عليهم، وهم في زمننا كثير. تعتبر الحركة الوهابية ممن ساروا على هذا النهج؛ مساجد الضرار.

والمسجد في الأساس يجب أن يكون للعبادة والتقوى والهداية والتعبئة الإيمانية، وتوعية المسلمين بهدى الله سبحانه وتعالى، ومن خلال هدى الله وتصيرهم بواقعهم ومسؤولياتهم وشدهم إلى الله سبحانه وتعالى، وتعبيدهم لله سبحانه وتعالى، لكن البعض يمكن أن يشتغل في نفاقه وفي خداعه من داخل المسجد، ويمكن أن يوظف المسجد لأداء دور يخدم فيه أعداء الإسلام مباشرة، يمكن أن يُفعل دور المسجد في الاتجاه الغلط، فيما يضرّ بالمسلمين، وبيدئهم، فيما يهيئهم لهيمنة أعدائهم، وفيما يفرّقهم ويترتب عليه أضرار كبيرة.

﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ وهذا من أعجب الأمور، يمكن للمسجد أن يؤدّي من خلال القائمين عليه من المضلّين الذين يختزنون النفاق في قلوبهم، ويتسترون بالتدين والعبادة والعلم، يمكن أن يؤدّي دورًا يعزز في نفوس الناس حالة الكفر من جانبين: على المستوى المعنوي وعلى المستوى العملي.

على المستوى المعنوي، يعزز في نفوس الناس حالة الكفر من خلال إفقادهم الثقة بوعد الله وبنصره وبتأييده وبصدق الله فيما وعد، إلى غير ذلك. وعلى المستوى الواقع العملي من خلال الرفض؛ لأنّ من معاني الكفر الرفض لأوامر الله سبحانه وتعالى، لتوجيهاته سبحانه وتعالى، فيرفضون توجيهات الله وأوامره بالجهد في سبيله، والإنفاق في سبيله، والاعتصام

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٧.

بحبله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل ما له صلة بمسؤوليتهم كمسلمين. يمكن أن يؤدي المسجد إذا كان القائمون عليه من ذوي الضلال الذي يختزنون في نفوسهم النفاق هذا الدور.

﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وتفريقًا بين المؤمنين من جوانب متعددة، سواء على مستوى انقطاع البعض عن المساجد التي هي مساجد هداية ومساجد تقوى وإيمان، أو على مستوى نشر الفرقة، من خلال ما يطرح في الخطب من زرع للكراهية ضد المؤمنين، وأكاذيب ودعايات تشوه سمعتهم، وتبعد الناس عنهم، وتعزز الفرقة والعداوة بين أبناء الأمة، مع جعل الناس ينسون العدو الحقيقي الذي يمثل الخطورة الكبيرة على الإسلام والمسلمين، فيؤدي هذا الدور: الدور في تفريق الأمة، الدور في إنساء الأمة عدوها الحقيقي الذي يجب أن تتجه الجهود وتتظافر في مواجهته وفي دفع خطره وعدوانه.

﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾^(١) وهذا عجيب أن يفعل دور المسجد تهيئة وإعدادًا لمن هم حرب على الإسلام والمسلمين، ومثلما أعد أولئك المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار في عهد النبي ﷺ مسجدهم لأبي عامر الفاسق أحد المنافقين المشهورين الذين كانوا محاربين للإسلام ومشارك في الحروب ضد رسول الله وضد الإسلام، ويشغل الكثير من ذوي النفاق الذين سلكوا نفس المسلك وساروا في نفس الطريق ويتخذون نفس الأسلوب هكذا يعملون. من خلال مساجدهم مساجد الضرار يعدون الأمة إعدادًا وتهيئة لمصلحة أعداء الله، بأساليب متعددة البعض منها مباشر والبعض منها غير مباشر، المباشر منها الذي يهيب الأمة لتقبل هيمنة أعدائها تحت عناوين الانفتاح والوسطية وترك التشدد وما إلى ذلك من عبارات أو مصطلحات.

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٧.

كذلك بشكل غير مباشر مثل من يحاولون إقصاء وإبعاد كل المسائل المهمة عن المسجد، ففي خطبهم ليس هناك أي تطرق أبداً للجهاد في سبيل الله، وكأنه لم يرد في القرآن الكريم ولا آية تتحدث عن الجهاد، وكأن الرسول محمدًا ﷺ لم يجاهد أبداً، ولم يدع إلى الجهاد ولم يأمر به، وكأن الجهاد ليس من دين الله في شيء، مع أنه من أعظم ما أمر الله به أمراً كثيراً، واحتل الحديث عنه مساحة واسعة في القرآن الكريم وفي حركة النبي ﷺ.

كذا من خلال تهميش وإقصاء وطمس لأي حديث عن الجهاد في سبيل الله، أو الحديث عن خطر أعداء الإسلام، أو دعوة للناس إلى الإنفاق في سبيل الله، أو تنبيه للناس إلى مسؤوليتهم، وتوعيتهم الجهادية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما إلى ذلك.

من يحاول أن يضع هذه المواضيع تماماً وكأنها ليست من الإسلام في شيء، ويقتصر الحديث دائماً وأبداً عن مسائل معينة محصورة مع تجاهل تلك الأمور المهمة في دين الله، هذا تدجين لمن يلازمون تلك المساجد، من لا يسمع دائماً وأبداً أي حديث عن الجهاد، كيف سيتفاعل؟ كيف سيدفع للجهاد؟ كيف سيدرك أهمية الجهاد؟ بما أنه لا يسمع في كل ما يسمع من خطابات جمعة، لا يسمع في كل ما يسمع من مواعظ وإرشاد، لا يسمع فيما يسمع من كلام أو تحريض أو أي شيء ولا آية ولا أي كلام عن الجهاد، كيف سيدفع إلى الجهاد؟ الله يأمر نبيه بأن يحرض على القتال في سبيل الله، بل يقول له: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) يأمر نبيه بأن يحرض المؤمنين على القتال في سبيل الله.

فمن يلازم مسجداً ليس فيه أي إشارة ولا حديث ولا كلام نهائياً عن الجهاد والإنفاق في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف سينشد إلى فريضة الجهاد؟ كيف سيتهاً نفسياً للجهاد في سبيل الله في أي وقت من الأوقات؟ ستصبح هذه المسألة بالنسبة له، وهو لا يسمع أي

(١) سورة النساء، الآية ٨٤.

حديث عنها، ولا أيّ كلام بشأنها، ولا أيّ ترغيب فيها، ولا أيّ تأكيد عليها، إما نسيًا منسيًا وإمّا مسألة هامشيّة. يعتبر أنّها لو كانت مسألة مهمّة لتحدّثوا عنها، لو كانت قضيّة ذات أهميّة لسمع عنها كلامًا، فحينها ينخدع. هذا أسلوب من أسلوب التدجين: التهيئة للناس أن يتقبّلوا هيمنة أعداء الله، أن يكونوا مفرغين تمامًا من روحيتهم الجهاديّة، ألا يكون في أنفسهم أيّ اندفاع ولا أيّ تفاعل بالجهاد في سبيل الله، ألا يكون هناك أيّ تعبئة معنويّة ضدّ أعداء الله، وبالتالي يعيشون نتيجة ذلك حالة من البرودة، نفوس باردة ميتة ليس عندها تفاعل ولا اندفاع ولا أيّ استشعار للمسؤوليّة، ولا مبالاة بها، هذا أسلوب من الأساليب التي تهيبّ الأمة لتقبّل أعداء الله.

الآن نرى الحركة الوهابيّة تشتغل في اتجاه تعبئة الناس ضدّ من؟ ضدّ الشيعة فقط، وتحاول أن تنسى الناس نهائيًا مسألة اليهود، أمريكا وإسرائيل حتّى وقد صاروا يرتكبون أشنع المجازر في بلدهم بل نجد بأنّهم أصبحوا معهم على علاقة حميميّة وتعاون واضح برز إلى العلن في سوريا، والعراق وليبيا وفي العدوان على اليمن بشكل واضح.

يحاولون أن يعبّئوا الناس فقط ضدّ إيران، والشيعة بشكل عام بدلًا ممّن؟ بدلًا من إسرائيل، وبدلًا من أمريكا يريدون أن ينسوا الناس تمامًا العداء لإسرائيل وأن يوجّهوا عداء الناس إلى إيران الذي هو بلد مسلم وقف مع الشعب الفلسطيني ومع المجاهدين في فلسطين بما لم تقف معهم مثله أيّ دولة عربيّة أو إسلاميّة، فيوجّهون العداء إلى إيران لأنّ إيران تكرهها أمريكا، وإسرائيل تعادياها، وبالتالي مثلما هي العدوّ الأوّل لأمريكا وإسرائيل يريدون أن تكون العدوّ الأوّل بالنسبة للعرب، ثمّ تظهر الأمور فيما بعد صداقات وصحة وأخوة مع اليهود، هذا أسلوب من أساليب التدجين وتهيئة الأمة لهيمنة أعدائها عليها.

﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ ولذا يجب أن يكون هناك وعي حتّى لا يتحوّل المسجد إلى شبكة صيد للرجال يصطادون به المغفلين من الناس، ينخدعون بهم. لقد عمل أعداء الله من عملاء أمريكا

وإسرائيل على بناء مساجد ضخمة، عملاقة، بنيانها كبير ومؤثر والجانب الفني في عمارتها جذاب، ويزودونها بصوتيات ضخمة، وفرش وأجواء ترغّب البعض في الذهاب إليها. ليست المشكلة لديهم في الذهاب إلى هذه المساجد ذات البنيان الجذاب وتوفّر فيه دورات مياه راقية وبلاط جميل بل المشكلة في حصانة الفرد على المستوى الثقافي والوعي العالي ليميّز ما يطرح في هذه الأماكن ولا يكون سريع التأثر في تغيير التفكير، أو سريع الذوبان فيما يقولونه.

هنا، يحذّرنا الله وينبّهنا بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ﴾^(١) سيحاولون إقناع الناس أنهم أرادوا فقط الحسنى من تلك المساجد، مثلما عمل أولئك في عصر النبي ﷺ، قالوا إنهم ما أرادوا إلا أن يكون المسجد قريباً من ذي العلة وفي الليلة المطيرة والشاتية ولدوي التعب حتى لا يتعب ويذهب إلى المسجد الآخر، فالآخرون كذلك يقدّمون مساجدهم أنهم يريدون بها هداية الناس، وتعليمهم، وإحياء الجماعة، وعناوين مخادعة ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٢) شهادة من الله على كذبهم، وأنّ دعاياتهم تلك والعناوين البرّاقة والمخادعة إنّما يريدون بها التأثير على الناس وخداعهم ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ لا لصلاة ولا لأيّ أنشطة دينية ولا لحضور محاضرة ولا أيّ شيء، احذره وتجنّبه، اتركه لا تنخدع به.

﴿لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٣) فالمسجد الذي يؤسس بهدف التقوى وعلى أساس من التقوى بنىة صالحة ومقصد حسن وهدف

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٧.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٨.



سليم على أساس أن يبني أناسًا متقين، أن يبني إيمانهم وتقواهم أن يرببهم التربية الإيمانية، أن يشدهم إلى الله هذا هو الأحق بأن تذهب إليه، وأن تسمع فيه، وأن تصلي فيه، وأن تحضر فيه، والمسجد بأهله وليس بشكله ولا بنيانه، ولا بفراشه، ولا بمكبرات الصوت فيه.

المسجد بأهله إذا كانوا صالحين مستقيمين والقائمون عليه جيّدون فهو مسجد جيّد، أمّا إذا كان القائمون عليه من ذوي الغش والخداع والنفاق والتضليل فاحذره حتّى لا يربيك تربية النفاق، يتخرّج منه منافقًا، من خلال تثقيفه وتضليله وتدجينه فتخرج منه مختزن الكفر والنفاق في قلبك والعداء لدين الله في موقفك.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(١) أهل الطهارة: الطهارة المعنوية والطهارة الحسيّة، لا يريدون أن يتدنّسوا لا دنس القذارة ولا دنس النجس، ولا دنس النفاق ودينس الغش، والخداع والتظاهر بالدين^(٢).

إنّ من أقدر وأخطر ما يمارس اليوم من منافقي بلدنا أنّهم يستخدمون منابر مساجد الضرار لإبعاد الناس وصرفهم عن مواجهة غزاة مجرمين يريدون احتلال بلدنا وانتهاك أعراضنا ونهب ثرواتنا والقضاء على قيمنا وأخلاقنا ويرتكبون بحقّ أبناء شعبنا أبشع الجرائم والمجازر؛ غزاة تقودهم أمريكا وتدعمهم إسرائيل بشكل علني وواضح، لا دين لهم ولا قيم ولا أخلاق ولا إنسانيّة، وفي الوقت نفسه يجنّدون مقاتلين يذهبون إلى صفوف الغزاة المعتدين في الجبهات ليقاتلوا أبناء بلدهم الذين أبى لهم إيمانهم وشرفهم وحرّيّتهم وكرامتهم وقيمهم أن يكونوا عبيدًا لغير الله!

والبعض يدفعون بهم ليعملوا على خلخلة الوضع الداخلي لصالح العدو الغازي المعتدي! إنّه إجرام لا يفوقه إجرام وخيانة لا يفوقها خيانة بحقّ أمّتهم

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٨.

(٢) من الدرس السابع - التوبة.

ووطنهم وشعبهم وهكذا هو النفاق وهؤلاء هم المنافقون ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا
تُفْقَمُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾^(١).

(١) سورة الأحزاب، الآية ٦١.

رابعًا- نهاية المنافقين

«ما هي مشكلة المنافقين الكبيرة؟ لماذا صاروا هكذا؟ لماذا يتحوّل عمله هكذا، وهو ينتمي إلى الإسلام، يحسب نفسه من المسلمين، إلى هذا المستوى السيئ ويتحرّك هذا التحرك الشيطاني يأمر بالمنكر، ينهي عن المعروف، يبخل بماله عن سبيل الله وسبيل الخير؟ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(١). هذه مشكلتهم، هذه كارثتهم، ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ فيما يفكّرون، ونسوا الله فيما يشعرون، ونسوا الله فيما يعملون، وحسبوا فقط حساب أعداء الله، امتلأت قلوبهم بالمخافة من أعداء الله والميل إليهم، أمّا الله فلم يعودوا يحسبون حسابه. عندما يريد أن يعمل عملاً معيّنًا لا يحسب حساب الله، وأنّ الله يراقبه وعليم بما يفعل وسيجازيه على ما عمل، عندما يريد أن يتكلّم هو غافل عن الله، هو ناسٍ للمسؤوليّة أمام الله فيجازف بأيّ كلام وبأيّ قول.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ نسوا الله في ميدان العمل، نسوا الله في المواقف والمسؤوليّات، نسوا الله في المهام والأعمال، وأصبحوا يحسبون حساب الناس فوق كلّ شيء، ومن ينسى الله يلتقي بالشیطان من أقرب طريق، يعيش حالة أخوّة مع الشيطان.

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ ليس معنى هذا أنّهم لم يعودوا يتذكّرون أنّ الله موجود، هم يقولون ذلك دائمًا، المنافق يصلّي في اليوم والليلة خمس مرات،

(١) سورة التوبة، الآية ٦٧.

ربّما البعض فقط منهم لا يصلّون، وإلا أغلب المنافقين يصلّون، والبعض منهم قد يقرأ القرآن، والبعض من حفظة القرآن.

لكنّ مشكلتهم في واقع العمل وفي ميدان الحياة، أمام الأحداث أمام الوقائع في ميدان المسؤوليّة، لا يحسبون حساب الله، يغفلون عنه تعالى ويحسبون حساب الآخرين فيخذلهم الله ويحرمهم من هدايته ومن عفوه، ويبيدهم من لطفه، هذا حالهم والعياذ بالله حال خطير جداً^(١).

وبالمناسبة هناك حكاية^(٢) يروونها المؤرّخون عن أحد الخوارج الذين كانوا عبّادًا وكانوا أيضًا على درجة عالية في جانب العبادة إحياء الليل والركوع والسجود، يحكي [قنبر] مولى الإمام علي عليه السلام أنّ الإمام عليًا خرج ذات ليلة في ليلة حراسة يتفقد حالة الحراسة في الكوفة ومعه قنبر خادمه فمرّ بيت أحد أولئك الخوارج فإذا هو يتهجّد في الليل ويقرأ قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾^(٣) ويكي بكاءً شديدًا فتأثّر قنبر بهذا الشخص الذي يسمعه من خلف البيت وقال: أما والله إنّي لأضنك منهم، وهنا الإمام علي عليه السلام التفت إليه وقال له: «نوم على يقين خير من عبادة في شك»^(٤) ولمّح له أنّ ذلك الرجل قد لا يكون من أولئك المذكورين في الآية؛ لأنّه يفقد اليقين يفقد الوعي يفقد البصيرة، القضايا الأساسيّة ليس عنده وعيٌ بها، المبادئ الرئيسيّة ليس له ارتباطٌ بها، مهتمّ بالتفاصيل ومنصرفٌ عن المبادئ.

(١) من دروس الأنفال الدرس السادس.

(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل (لبنان- بيروت: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤٠٨/١٩٨٨م)، الجزء ١، الصفحة ١٦٨.

(٣) سورة الزمر، الآية ٩.

(٤) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمّد عبده (قم: دار الذخائر، الطبعة ١، ١٤١٢/٥١٣٧٠ش)، الجزء ٢، الصفحة ٢٢.

قال قنبر فوجدت ذلك الرجل قتيلاً بين أهل النهروان بين الخوارج الذين حاربوا الإمام علياً عليه السلام وقتلوا في المواجهة، فقلت: يا عدو الله غررتي من نفسك كان أمير المؤمنين أعلم بك مني.

و«يحكي لنا الله نهاية أمر المنافقين وعاقبتهم ومآلهم ومصيرهم وما وعدهم الله به: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَعَدَابٌ مُّقِيمٌ﴾^(١) نعوذ بالله من عذاب الله، ألا ترون إلى خطورة النفاق؟ ألا يدرك الإنسان خطورة النفاق وما يوصل إليه؟ ألا يستشعر الإنسان غضب الله الجبار على المنافقين والمنافقات؟ هذا الوعيد الشديد والتهديد من الله صادق الوعد والوعيد.

بدأ أولاً بالمنافقين والمنافقات ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾، ثم ذكر الكفار ﴿وَالْكُفَّارَ﴾؛ لأنّ المنافقين والمنافقات كانوا أميل إلى الكفار منهم إلى المؤمنين، بل إنهم كانوا يعادون المؤمنين ويكروهونهم ويوالون الكافرين، لذلك سيجمعهم الله كلهم في جهنم أجمعين. وقال الله في آية أخرى من سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(٢)، ولكن كما ذكر أيضاً في آية أخرى موطن المنافقين في جهنم ومآلهم وهو في أشدها سعيراً وعذاباً وألماً ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(٣).

﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يوجد خروج أبداً، خلود وعذاب دائم لا نهاية له ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ يكفيهم عذاب في مستوى نفاقهم، وشراً لهم، في مستوى جرمهم وإساءتهم ﴿وَلَعْنَةُ اللَّهِ﴾ والعياذ بالله، لعنهم الله فطردهم من رحمته، وهذه وصمة عار عليهم ودلالة خزي ﴿وَاللَّهُمَّ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ مثلما كانوا يحرصون على أن يكونوا في واقع الحياة مقيمين مرتاحين مستقرين، ولو

(١) سورة التوبة، الآية ٦٨.

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٠.

(٣) سورة النساء، الآية ١٤٥.

على حساب دينهم المهمّ عندهم أن ينافقوا، أن يعادوا الإسلام، أن يتآمروا على المؤمنين، أن يكونوا مع الكافرين، فأصبحوا في نهاية المطاف مقيمين في عذاب الله الدائم، وهذه سنّة الله مع المنافقين ومع الكافرين السابقين واللاحقين في كلّ زمن»^(١).

«فلا يتصوّر أحد أنّ منافقاً من أمة محمّد من المسلمين، ممّن يحسب نفسه من أمة محمّد أنّه سيدخل الجنّة سلاماً بسلام؟ لا، هذه سنّة الله مع المنافقين من كلّ عصر وزمن. من يسرون في طريق الفسق والنفاق والكفر مصيرهم سيّء، عاقبتهم السيّئة واحدة، جميعهم من كلّ زمن، والأسباب والدوافع عادة ما تكون واحدة، الأسباب والدوافع التي جرّت إلى النفاق، والتي جرّت إلى الكفر، والتي جرّت إلى الفسق لها منشأ واحد، اتجاه بالكامل إلى أطماع هذه الحياة والأهواء والرغبات، إنسان لا يريد أن يضبط نفسه وواقعه وحاله على أساس من دين وتعاليم الله، وأن يجعل واقعه محكوماً بأمر الله، يفسق، يخرج عن أمر الله، ويتجاوز حدوده تعالى، وينساق وراء رغبات نفسه، وكلّ همّه في الحياة أن يحقّق لنفسه ما تهوى. فإذا هويت المال أراد المال بأيّ سبيل، ولو باع دينه، أو عادى أولياء الله، أو حتّى نصر الباطل، من أجل المال يفعل أيّ شيء مقابل أن يستمتع ويحصل على رغبات نفسه. وإذا أراد وظيفة مثلاً أو منصباً معيّناً هو مستعدّ أن يفعل في سبيل الحصول على ذلك أيّ شيء مهما كان جرمًا وذنباً ومعصية وعدواناً وظلماً وطغياناً أيّ شيء ليس عنده في ذلك مشكلة، المهمّ أن يصبح موظّفاً الوظيفة المعيّنة ولو في سبيل أن يعادي المؤمنين أو يحاربهم أو يتآمر على الحقّ، ولو في سبيل نصرّة أمريكا أو نصرّة أولياء أمريكا.

هذا الواقع هو الذي أثر على المنافقين في كلّ زمن وعبر الأمم والأقوام، وهو الذي يؤثّر في زماننا وفيما بعد، وهذا ما يقوله الله، هذا ليس استنتاجاً صحفياً، هذا ما يقوله الله سبحانه وتعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ

(١) من دروس التوبة للسيد عبد الملك الحوثي الدرس الرابع.

مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَأَسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
 كَمَا أَسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاصُوا ﴿١﴾.
 الحال واحد، الاتجاه واحد، الذين كانوا من قبلكم نفس التوجّه والمؤثرات
 فتنوا بالقوّة فطلبوها بأيّ ثمن وبغرور ونسوا الله القويّ العزيز، وفتنوا بكثرة
 المال والولد فسعوا لتحقيق ذلك بأيّ ثمن فلم يلتزموا بأمر الله، ولم يتقيّدوا
 بحدود الله، واستمتعوا بنصيبهم ممّا حازوا عليه من متاع هذه الحياة الزائل
 الفاني المنتهي، وغرقوا فيه وفي سبيل أن يستمتعوا به، لم يتحرّجوا من فعل
 أيّ شيء أو تجاوز أيّ حد، أو مخالفة أيّ أمر من أوامر الله. وأنتم فعلتم كما
 فعلوا ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاصُوا﴾ خضتم في الباطل كيّداً، تأمراً، محاولة
 لنقض الحقائق والسخرية من الحقّ. ﴿كَالَّذِي خَاصُوا﴾ فالنتيجة ستكون
 واحدة نتيجة السابقين واللاحقين في طريق النفاق وكذلك في طريق الكفر.

﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْخَاسِرُونَ﴾^(٢) في نهاية أمرهم انتهى كلّ شيء، لم يبق لهم متاع هذه
 الحياة الذي يستمتعون به بأيّ ثمن ولو على حساب دينهم وإيمانهم وما
 شابه، وبقيت التبعات، بقي العذاب الذي لا نهاية له، خسروا كلّ شيء،
 هذا حال المنافق. المنافق في نهاية المطاف يخسر كلّ شيء فإن كان
 حصل على وظيفة، في نهاية المطاف سيخسرها. وإن كان حصل على مال
 في نهاية المطاف ينتهي ماله، وإن كان استمتع شيئاً في حياته انتهت تلك
 المتعة وانتهت تلك الحياة. في نهاية المطاف، يخسر ويبقى العذاب الذي لا
 نهاية له، والهوان الذي ليس له انقطاع، والخزي الذي لا مثل له. ﴿وَأُولَئِكَ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ والمنافقون كانوا يتوقّعون أنّهم ربحوا فيما يتحقّق لهم من
 مصالح ماديّة أو سياسيّة أو مكاسب معيّنة، كان يتخيّل نفسه عبقرياً وذكياً،

(١) سورة التوبة، الآية ٦٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ٦٩.

وفي نهاية المطاف سيكتشف أنه خسر كل شيء، وبقي له العذاب الذي لا نهاية له أبداً.

ألم نعرف في عصرنا وزمننا من كان لهم ارتباط وثيق وصلة كبيرة جداً بأمريكا صلة نفاق، صلة ولاء لأعداء الإسلام؟! وفي نهاية المطاف، خسروا كل شيء وكانوا يظنون أنّ علاقتهم بأمريكا وولاءهم لها الذي هو نفاق خالص ربح، وأنّ به كسبوا، وفازوا، وأن به قوّوا سلطانهم، وأنّ به تبتوا أركان هيمنتهم واستحكام قبضتهم، وفي نهاية المطاف خسروا سلطتهم ومالهم وهيمنتهم وأثرهم وفاعليّتهم.. إلى آخره، ليخسروا أيضاً آخرتهم»^(١).

إنّهم من يجلبون الشرّ والمعاناة لأمتهم، إنهم أحذية المستعمر عبر التاريخ. إنهم من يجلبون الذلّة للأمة الإسلاميّة اليوم خدمة لليهود والنصارى وهم في نهاية المطاف هم الخاسرون. لقد عبّر الله عن خسارتهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٢)، ثم ضرب مثلاً لهم بقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٣)،^(٤).

«لقد قدّم القرآن الكريم المنافقين فئة متذبذبة وخاسرة على أيّ حال، وفئة لا تهدأ ومن العجيب أنّهم يكونون أقرب إلى العدو الذي لو دخل بلدهم لاستباحه كلّه، لا يعرف أين هو بيت المنافق وبيت المؤمن يهتك الأعراس وينهب أموالهم ولا يفرّق بين المنافق وغيره. مع هذا، يكون عنده ميل للعدوّ،

(١) من دروس التوبة للسيد عبد الملك.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٧.

(٤) من خطاب السيد حفظه الله في جمعة رجب ١٤٣٩هـ.

هذا شيء سيء للغاية، وغريب جدًا من النفوس المنافقة، ﴿هُمَّ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾^(١) «(٢)».

«ولذلك نحن في هذا العصر أحوج ما نحتاج كمسلمين إلى أن نحمل هذا الوعي القرآني، أن نعي عن الله، أن نفهم من الله، أن نستبصر ببصائرهِ، أن نستنير بنوره؛ لأنه لم يحصل في أي زمن ولا في أي عصر أن يكثر المنافقون ويعظم فسادهم وتأثيرهم مثلما حصل في زماننا والله المستعان.

الآن أنت أمام حكومات منافقة، جيش منافق بيتني أمره على النفاق، أنظمة وحكومات وقوى وأحزاب تبني أمرها على النفاق وتتحرك. النفاق أصبح حالة جماهيرية كبيرة واسعة، عدد كثير وقوي، أصبح لديهم مقومات وأنشطة وإمكانيات كثيرة؛ لذلك أصبح المجتمع في هذا العصر أحوج من أي زمن مضى إلى أن يعي ويكتشف المنافقين، هذا شيء مهم.

أيضًا من المهم جدًا أن نعي كمسلمين كيف هو النفاق، ما هي خطورته، وآثاره ونتائجه، كم هو فظيع وسيء ويسبب غضب الله الشديد والعاقبة السيئة كي نحذر نحن؛ لأن الكثير من الناس مع الغفلة عن القرآن والابتعاد عن هدى الله وقصور الوعي لا يدري، لا يعرف أنّ ما يعمل هو نفاق، وأنّ ما وصل إليه هو نفاق، وأنّه قد أصبح في زمرة المنافقين، أو هو يعمل أعمالًا توصله إلى النفاق وإلى أن يكون من المنافقين.

لذلك من المهم معرفة ما وصف الله به المنافقين، وما ذكره في كتابه الكريم عن النفاق وآثاره السيئة وعواقبه الوخيمة، وأعمال المنافقين ومواصفاتهم، أن نحمل وعيًا كافيًا عنها لنحذر نحن من أن تكون أعمالنا هي من أعمال النفاق، أو أعمال توصله إلى النفاق. بعض الأعمال تسبب لأن يتحوّل الإنسان إلى منافق، ثم في نفس الوقت لنعمل على نشر هذا الوعي

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٧.

(٢) من الدرس ١٦ من دروس شهر رمضان للسيد حسين رضوان الله عليه.

في مجتمعاتنا وفي أمتنا، ثم لنشُرَّ حربًا إعلاميةً منطلقة من هدى الله سبحانه وتعالى تبيِّن سوء المنافقين وأساليبهم وأعمالهم وخطورتها بالشكل الذي يعطلُّ فاعليَّتهم وتأثيرهم، فما أضرَّ الأمة مثلهم؛ لأنَّهم يتحرَّكون من داخلها، ولربَّما الكثير مثلاً لو أتى إليهم اليهود أو النصارى أو فئات من الشرك والكفر وطلبوا العمل معهم لما قبل منهم، لكن يأتيه شخص مثله ينتمي إلى الإسلام، باسم الإسلام فيؤثِّر عليه فيتقبَّل وينخدع به، وهذه هي المشكلة»^(١).

كما أنَّ المنافقين يطوِّرون نفاقهم، لذا «يجب أن نعرف أهميَّة أن يسعى المؤمنون للارتقاء في إيمانهم وتطوير إيمانهم وأدائهم العملي في سبيل الله وفي الأعمال الجهادية والإيمانية، أن يكونوا راقين، فإذا كان المنافقون يطوِّرون أساليبهم النفاقية التي يعملون من خلالها في التأثير السلبي والسيء في واقع المسلمين من الداخل فمسؤولية المؤمنين أن يطوِّروا كذلك إيمانهم وأساليبهم العملية في مجال العمل في سبيل الله، سواء على المستوى الثقافي، أو على المستوى الإعلامي، أو على بقية المستويات وبقية المجالات، فيحرصون على الارتقاء في أدائهم العملي. فكلُّما كان أكثر دقة وأخلص لله سبحانه وتعالى وأكثر موافقة لرضى الله سبحانه وتعالى وأقرب إلى الحكمة والصواب كلُّما سيكون له تأثيره في الواقع.

ومثلما يحرص المنافقون على تطوير أساليبهم النفاقية حتَّى لا تكشف ولا تتضح للناس يجب على المؤمنين أن يطوِّروا أساليبهم الإيمانية في مجال العمل في سبيل الله حتَّى تكون مفيدة ونافعة وحكيمة وأكثر مطابقة لتوجيهات الله وتعليماته سبحانه وتعالى؛ لأنَّ هدف المنافقين من التطوير حرصهم على التأثير في واقع الناس من دون أن ينكشفوا. هم يحرصون على ذلك، أن يخذل، أن يؤثِّر، أن يفرِّق، أن يخلخل المجتمع المؤمن من الداخل ولكن من دون أن ينكشف، بل أحياناً يعمل وبطريقة النصح، وبطريقة يبدو فيها مخلصاً ومصلحاً وأنَّه من واقع حرصه على صلاح العمل أو على صلاح أمر ما

(١) من دروس التوبة للسيد عبد الملك.

يعمل بطريقة خطيرة، لكنّ الخلل والخطر يكون مع قصور الوعي، مع الابتعاد عن الله سبحانه وتعالى وعن هديه»^(١).

«ما يحدث اليوم على بلدنا من عدوان غادر وشامل ووحشي ومتكبر وإجرامي على نحو فظيع هو بالفعل مأساة حقيقية، وكارثة كبيرة في واقع الأمة، بلد مسلم هو اليمن، شعبٌ مؤمن شهد له الرسول بالإيمان، وشهد له بخصوصية فيما يتعلّق في الجانب الإيماني لأنّه حينما قال: «الإيمان يمان والحكمة يمانية»، هذه خصوصية لأهل اليمن إنهم شعبٌ على نحو راقٍ وعلى مستوى عظيم من الإيمان، وإنهم في طبيعة الأمة بكلّ ما يمثله إيمانها من مبادئ وقيم وأخلاق وروحية، وإنهم على نحو متميّز في واقع الأمة وبين أوساطها في انتمائهم الإيماني. وهذا البلد المسلم، هذا الشعب الذي ينتمي للإيمان، هذا الشعب الذي هو في واقعه السلوكي وواقعه في محيطه وبين أوساط الأمة، شعب يتّسم بالأخلاق، بمكارم الأخلاق ومحامد الصفات والخلال، هذا الشعب يُعتدى عليه»^(٢).

هويتنا الإيمانية اليوم تشكّل ضمانة رئيسية لتمامنا كيف سنبقى أحرارًا، وكيف سنبقى صامدين، كيف سنبقى دائمًا نأبى إلا أن نكون أعزّاء ونأبى العبودية لغير الله؛ بقدر ما تبقى لنا هذه الهوية بقدر عظمة تلك المبادئ وبقدر ما تبقى متجذّرة فينا. إذا فقدنا تلك المبادئ وخلت نفوسنا من تلك القيم قبلنا حينها بكلّ شيء؛ لأنّ هؤلاء المرتزقة والعملاء والمنافقين ما الذي حدث بالنسبة لهم؟ تفرّغت من مشاعره، من وجدانه، من تلك القيم فقبل، لم يبقَ عنده مشكلة في أن يكون عبدًا، أن يكون حذاءً للسعودي العميل وأمريكا، حذاء للإماراتي العميل وأمريكا، ففرغت منه تلك المبادئ العظيمة لم تبقى هي المؤثّرة في وجدانه، في مشاعره، في إحساسه فلم يُعَدُّ عنده مشكلة

(١) المصدر نفسه.

(٢) من لقاء السيّد عبد الملك بالأكاديميين.

في أن يكون في هذه الحياة خائناً ظالماً مجرماً قاتلاً للأطفال والنساء مرتكباً لأيّ جريمة.

هويّتنا الإيمانيّة تشكّل ضماناً لنا في الحفاظ على تماسكنا وثباتنا في مواجهة التحدّيات يجب أن نحرص دائماً على الحفاظ على هذه المبادئ والقيم وترسيخها وتنميتها ونربّي عليها أجيالنا جيلاً بعد جيل كما فعل معنا آبائنا وأجدادنا كيف وصلت إلينا هذه القيم، هذه الروح الحرّة المسؤولة العزيرة الكريمة الأبيّة عبر الأجيال إلا بالتربية، إلا بالمحافظة عليها، إلا بالعناية بالأسلوب التربوي فيها، ونمط الحياة الذي في كثير منه حتّى في العادات والتقاليد حفظ لنا هذه الموروثات الأخلاقيّة وهذا الموروث المبدئي والمسار الرئيسي الذي توارثه أبناء بلدنا جيلاً بعد جيل من هذه الروح الإيمانيّة والأخلاق التي جسّدوها في الواقع، في نمط الحياة وحتّى العادات والتقاليد، والتي حكمت أيضاً الممارسات والأعمال والسلوكيات»^(١).

«يسعى العدو بكلّ جهد إلى كسر الإرادة، وضرب الروح المعنويّة لهذا البلد، عمل كبير وجبهة كبيرة جدّاً، تعمل في الإرجاف والتهويل والتخويف، وإرعاب الناس وإرهابهم، وزرع حالة اليأس فيهم، والتحطيم المعنوي لدفع الناس إلى الاستسلام على أساس اليأس أنّه ليس باستطاعتنا أن نصمد، أو نواجه، وما علينا إلا أن نسلّم أنفسنا وأمرنا وبلدنا وثروتنا وكلّ شيء لعدوّنا وتترك له كلّ شيء.

هناك عمل كبير، عمل إعلامي واجتماعي وسياسي له أساليب مباشرة وأساليب غير مباشرة، هناك شغل كبير جدّاً في واقعنا الداخلي، يظهر بوضوح في وسائل الإعلام، وفي التجمّعات والمناسبات»^(٢).

«ما الذي يريده العدو من وراء كلّ هذا، حينما يستهدفنا في هويّتنا بنموذجه التكفيرى والقاعدي والداعشي، بنشاطه الإفسادي وإيقاع الناس

(١) من خطاب السيّد عبد الملك (حفظه الله) في جمعة رجب ١٤٣٩هـ

(٢) من خطاب السيّد حفظه الله في جمعة رجب ١٤٣٩هـ

في الرذيلة والجريمة، ونشر المخدرات وغير ذلك، حينما يستهدفنا بهذا الأسلوب الإرجافي والتهويلي، وأسلوب الإرعاب والإرهاب والتخويف إلى غير ذلك، حينما يعمل على النيل منّا في روحنا المعنوية، حينما يعمل على إلهائنا عنه، وعمّا يفعله بنا، وعن مؤامراته ومخططاته، وهو يشغل بعض أبواقه في الداخل، التي تبقى دائماً تصيح وتصيح بأعلى أصواتها لصالح الأعداء بقضايا أخرى، وكأنّه ليس لهذا البلد من هموم ولا مشاكل إلا بعض المشاكل والقضايا الداخليّة، فيبقى أولئك يصرخون بتلك القضايا في محاولة منهم لإلهاء هذا الشعب عمّا هو أكبر وأخطر وأهمّ بكثير، عمّا يشكّل تهديداً وجودياً ومصيرياً على وجودنا ككيان حرّ، وكبلد مستقلّ، وكشعب مسلم حافظ على هويّته وقيمه ومبادئه وأخلاقه.

لا بأس أن يكون هناك اهتمام بأيّ شأن داخلي، ولكن ليس بأسلوب يحاول أن ينسى هذا الشعب ما هو أكبر وما هو أهمّ، وأن يطغى على القضايا الرئيسيّة والمصريّة لهذا الشعب فيلهيه عنها، ولا بأسلوب يهدف إلى إضعاف الجبهة الداخليّة، حينئذ يكون هذا أسلوب نفاقي يرفع عناوين أو قضايا، إمّا مشاكل أو خلافات داخليّة، وإمّا مشاكل واقعيّة، ولكن هي في مستواها وفي حجمها، يمكن التعاطي معها بروح مسؤولة، وليس بروح منافقة، وليس بأسلوب نفاقي يخدم العدو بشكل واضح ومفصّل»^(١).

فما هو الموقف القرآني من المنافقين؟ «هنا يوجّه الله أمره إلى نبيه ﷺ قائلاً: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾^(٢) جاهد والجهاد حركة واسعة، حركة في مواجهة العدو بكلّ الوسائل والأساليب المشروعة والإمكانات. القتال هو واحد من أنواع الجهاد. كلّ وسيلة، كلّ عمل مضادّ نعمل من خلاله على إقامة دين الله سبحانه وتعالى وإعلاء كلمة الله في مواجهة أعدائه هو جهاد، جاهدكم

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة مرور عامين على العدوان.

(٢) سورة التوبة، الآية ٧٣.

بالكلمة، جاهدهم بالسلاح، جاهدهم بالإعلام، جاهدهم بالفكر، كل وسائل
المواجهة التي تبطل باطلهم وتحط مساعدهم وكلمتهم وتعلي كلمة الله. الكفار
بكفرهم معروفون، والمنافقون بنفاقهم ومنكرهم وسعيهم ضد المعروف.

﴿وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني واجههم بقسوة، بحزم، لا يمكن أن تسكت وأن
تصمت وأن تترك المجال مفتوحاً لهم بمنكرهم وفسادهم وشركهم ﴿وَمَا أَوْلَاهُمْ
جَهَنَّمَ﴾ عاقبتهم التي يصلون إليها جهنم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ما أسوأه من
مصير والعياذ بالله، ما أسوأه من مصير وعاقبة»^(١).

الشعب اليمني مدعو للتحرك الجاد في مواجهة المنافقين؛ «البعض
اليوم يشتغل بفلوس ولهم مرتبات من الإمارات ومن السعودية؛ هذا الشغل
القدر، إما في الوسط الإعلامي، أو في الوسط الشعبي.

والشعب مدعو اليوم بأن يخوض معركته مع قوى النفاق والعمالة في
الداخل بكل حزم؛ لأنهم خونة لقضيته، ولدمايته، ولأنهم لا يلتفتون إلى حجم
المأساة التي يفتعلها العدو، وحجم الجريمة التي يرتكبها بهذا الشعب.

جريمة لا أكبر منها حتى في الدنيا كلها، ومأساة لا يساويها مأساة، مع
ذلك يتجاهلون كل هذا، ويبقون يصيحون ويشبطون في الوسط الداخلي
لغرض خدمة العدو، بؤساً لهم، ولعنة عليهم، هم رجس، والقرآن الكريم ماذا
يقول: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي
الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا
تُفْقَرُوا﴾^(٢)، إن الله لعنهم قبل أن نلعنهم نحن وقبل أن يلعنهم شعبنا الذي
سيعلنهم ويتصدى لهم وينظف ساحته الداخلية منهم.

(١) من الدرس الرابع سورة التوبة للسيد عبد الملك.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان ٦٠ و٦١.

الفصل الثامن: المنافقون أقدر أدوات العدو لضرب الأمة ■

ثمّ يقول السيّد عبد الملك (حفظه الله): وأنا أتوجّه إلى شعبنا بالجهوزيّة لتنقية الصفّ والوضع الداخلي من هذا الطابور من هذا الرجس الذي يشتغل هذا الشغل الخطير لصالح العدو»^(١).

ولذلك، فإنّ على شعبنا الحرّ الأبّي العزيز الصامد الثابت الوفيّ المضحيّ أن يكون في حالة جهوزيّة عالية لمواجهة أعداء الداخل من المنافقين الذين يمثّلون أقدر أدوات الأعداء لضرب الأمة من الداخل.

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بمناسبة جمعة رجب ١٤٣٨ هـ.

الفصل التاسع:

فريضة الحجّ الأهداف والاستهداف



يحاول هذا الفصل الإضاءة عبر محاضرات السيّد حسين والسيّد عبد الملك (رضوان الله عليهما) لتبيان أهميّة فريضة الحجّ وما تتعرّض له من المؤامرات وما يتعرّض له البيت الحرام كذلك من مؤامرات من اليهود وأيديهم القذرة المتحكّمة بالبيت الحرام المتمثّلة في النظام السعودي العميل والخائن والتيّار الوهابي التكفيري الذين يعملون جاهدين على محاربة هذه الفريضة العظيمة من خلال عدّة أمور:

- تفرغ هذه الفريضة المقدّسة من محتواها حتّى لا تؤدّي الهدف الذي فرضت من أجله.
- وأكثر من هذا، إنهم يعملون على منع بعض المسلمين من الحجّ بطرق مختلفة: بارتكاب مجازر بحقّ الحجّاج تارة وباختلاق الأمراض تارة أخرى ووضع العراقيل الكثيرة أمام الحجّاج واستخدام الحجّ في حساباتهم السياسيّة ومؤامراتهم على شعوب أمّتنا. فمن نصبوا له العدا منعه من الحجّ، ومن وقف في وجه مؤامراتهم ورفض هيمنتهم منعه من الحجّ، ومن سخطت عليه أمريكا وإسرائيل منعه من الحجّ، وهكذا، ولكن نحن على يقين بأنّ هذه التصرفات ومنع الحجّاج من أداء هذه الفريضة يبشّر بزوالهم قريباً إن شاء الله وما ذلك على الله بعزيز.

أولاً- الدور المحوري للبيت الحرام

يقول السيّد عبد الملك (حفظه الله):

«المسألة أساسية بالنسبة للدين الإسلامي، المشروع الديني كلّ، حتى يمكن إقامته في الواقع والنهوض به في الحياة له ركائز ومعالم أساسية، وهي: المنهج أولاً، القادة والرموز ثانياً، المقدّسات التي تُمثّل معالم في الأرض ثالثاً»^(١).

ويقول السيّد حسين (رضوان الله عليه) في الدرس السابع من دروس

رمضان:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾^(٢) هنا يقدّم الله إبراهيم وإسماعيل شخصيتين عندهما حيوية، واهتمام عالٍ، ومشاعرهم كلّها مليئة بالتوجّه إلى الله، والإخلاص له، والتقرب إليه بكلّ عمل يمكن أن ينالوه متجهين لبناء البيت فيرفعان قواعده وبإخلاص لله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾...

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ هم يعرفون أهميّة البيت الحرام كمعلم من معالم توحيد الله يتوجّه إليها عباد الله الموحّدون كقبرة واحدة تجمعهم.

(١) من كلمة في ذكرى استشهاد الإمام علي ١٤٣٤هـ.

(٢) سورة البقرة، الآيات ١٢٦-١٢٨.

وفي الدرس الرابع عشر من دروس شهر رمضان يقول السيّد حسين (رضوان الله عليه):

١٦٢

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)... يبيّن أنّ أوّل بيت وضع للناس ليكون قبلة لهم، وليتخذ كدور أراد الله أن يكون له كما ذكره في أكثر من آية هو ذلك البيت الذي ببكة أي الموقع الذي فيه البيت الحرام، الذي فيه الكعبة، مكة، أو بكة ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) فيه بركة، ومن بركته أنّه يترك أثرًا في النفس عندما تشاهد البيت الحرام، عندما يصل أحدنا إلى داخل المسجد ويطلّ على الكعبة تجد حالة أخرى بالنسبة لنفسيتك ومشاعرك، أجواء دينية تلمس وكأنك في وضعية قرب من الله، لا يستطيع الإنسان أن يعبر عن الحالة التي تعثره أثناء مشاهدته للكعبة ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) من خلال المهام التي لهذا البيت التي ذكرها في أكثر من آية.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا بُرَّهِيْمُ وَمَنْ دَخَلَهُوَ كَانَ عَامِنًا﴾^(٤)

لاحظ هنا الانسجام الكامل بين دور البيت الحرام ودور القرآن الكريم ودور الرسول ﷺ هذه كلها ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ وفي القرآن يقول أيضًا إنه للناس، والناس تعني: للعالمين جميعًا، البشر، كذلك يقول عن الرسول ﷺ إنه أرسله رحمة للعالمين.

ربّما قد يكون هناك أشياء أخرى من الناحية العلميّة لا نعرفها ممّا يمكن أن يكون للبيت أثر فيه، تعطي هدىً فيه سواء فيما يتعلّق بأشياء جغرافيّة أو ما يتعلّق بأشياء علميّة أخرى قد يكون للبيت أثر فيها. ممّا يقال إنّ موضع البيت الحرام يمثّل نصف المعمورة تمامًا، النقطة التي تعتبر قلب المعمورة،

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٩٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٩٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

قلب الكرة الأرضية. ربّما لو كانت المسألة فيما يتعلّق بما يسمّى: (بخطوط الطول والعرض) بالنسبة للكرة الأرضية لو كانت تمت على أيدي المسلمين لرّبما كان موقع الكعبة، موقع البيت الحرام، هو نقطة البداية بدل خطّ (غرينتش) في المنطقة التي حول لندن، قد تكون الكعبة نفسها كانت هي المكان الذي يصلح أن يكون بداية لرسم خطوط الطول والعرض، لكنّ الآخرين هم الذين تولوا كلّ شيء في الأخير.

قد تكون كلمة ﴿وَهَدَىٰ لِلْعَلَمِينَ﴾^(١) كما يقول الله عن القرآن الكريم هدى تهدي لأشياء كثيرة ممّا قد تجلّى للناس وممّا يمكن أن يتجلّى ولو لم يكن إلّا مثل ما يذكر البعض من المؤرّخين بأنّه ملحوظ بالنسبة لموقع البيت الحرام ومكّة بشكل عامّ على الرغم من أنّه يبدو مكاناً ضيقاً ومكاناً تحيط به الجبال، وإد ضيق لكن يستوعب كلّ من يفدون إليه فليكونوا كما كانوا. إذّا أليست آية من آيات الله؟ حتّى على الرغم من تضيق السعوديين لمساحات مكّة بناء مبانٍ شاهقة ويؤجّرونها بأعلى الأثمان ما تزال تتسع للملايين؛ ملايين الناس تتسع لهم مكّة وتتسع لهم تلك المشاعر وما تزال ترى أنّه يوجد مجال!. وهي واسعة بقدر أنّها يمكن أن تتجاوز عالم البشر إلى عوالم أخرى.

ومن أغرب ما ذكره صاحب (تاريخ الحرمين) (دحلان) يحكي قصّة بأنّ أناساً شاهدوا في وقت لم يكن يوجد عند الكعبة أناس في زمان قديم شاهدوا جملاً يتّجه إلى الكعبة حاولوا أن يمنعوه لم يرض، اقترب من الكعبة طاف أربعة عشر شوّطاً حولها ثمّ وقف عند مقام إبراهيم ورأوا دموعه تسيل يبكي ثمّ سقط ومات.

وكانوا يشاهدون أيضاً (ضبّا) من تلك الغزلان في وقت يكون الناس قليلاً جدّاً تدخل إلى هناك إلى عند الكعبة وتحاول أن تتحقّن الفرصة للدخول إلى ذلك المكان.

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٦.

﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾^(١) مقام إبراهيم ما يزال واضحًا وعندما يقول: {فيه} أي يبدو: كان المكان اللائق بالنسبة لمقام إبراهيم أن يكون ملتصقًا بالكعبة؛ لأنّ تلك الحجر التي فيها أثر لأقدامه كانت مثل حجر (سقالة) - وهو الحجر الذي يصعد عليها الذي أراد إعمار أي بيت يساعده في العلوّ - يصعد عليها وهو يبني، فظهر فيها آثار أقدامه.

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۗ ﴾^(٢) بمعنى من يلوذ بالبيت، من يكون بجواره يعتبر آمنًا لا يعتدي عليه أحد على الإطلاق مهما كان بينهما عداوة. تجد هذه القضية تتجلى فيها رحمة الله سبحانه وتعالى أن يكون هناك أماكن آمنة للناس وفي نفس الوقت يمكن أن تكون مواقع تجارية يقصدها الناس لأغراضهم وحاجياتهم.

يجعل الله أماكن آمنة ويجعل أزمان آمنة كالأشهر الحرم التي لا يجوز القتال فيها إلا في ظروف يحصل فيها اعتداء من طرف ممّن لا يراعون أي شيء من حرّات الله. إذًا، هناك أزمان آمنة وأماكن يكون فيها أمن؛ لأنّ البشر بحاجة إلى هذا بحيث لا يكون هناك صراع بينهم لا ينتهي لا بحدّ، ولا باعتبار زمن ولا باعتبار موقع.

يضيف السيّد حسين (رضوان الله عليه) في الدرس السابع من دروس رمضان:

﴿ وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^(٣)، أراد الله من نبيّه إبراهيم وابنه إسماعيل أن يكونا خادمين لهذا البيت، مهمّتهم رعاية هذا البيت، وتسهيل مهمّة الطواف،

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

والراكعين والساجدين، أي أن يكون هذا البيت بالشكل الذي يستطيع الناس أن ينالوه وبخدمات تتوفر لهم حتى يتوبوا إلى الله، ويقوموا بتفاصيل عبادية تؤدّي نحوه.

وهو تعالى الذي قال لإبراهيم عليه السلام في آية أخرى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾^(١)، أي ادعُ الناس وهم يتجهون إلى البيت الحرام، ويطوفون حوله، ويصلون، وخدمهم حتى تسهل عمليّة العبادة عند هذا البيت، وأن يحجّ إليه الناس، ويتوبوا.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾^(٢) لأنه يعرف الجانب الأمني مهمّ للناس، سواء من الجهة التي تعتبر نفسها قائمة على البلد الذي فيه الكعبة، أو فيما بين الناس أنفسهم، عندما تلقى من اعتدى عليك، قاتل ابنك، أو قاتل أبيك، أو أيّ شخص فهو ليس محلاً أبداً أن تنتقم فيه من أحد.

﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣) يدعو إبراهيم ربّه بأن يوفرّ للشخص الذي يرد على الكعبة حاجاً فيأمن حينها على نفسه من الجوع ومن السطو على ممتلكات، ويأمن كذلك من استغلاله قوته، وفي توفير المسكن والطعام والشراب لهم، لكن عنده كراهة شديدة بالنسبة للكافرين بالنسبة للظالمين ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٤).

لاحظ من الناحية الأمنيّة أنه حتى ولو كان في ذلك المحيط أناس عاصون قد يهيب الله أرزاقهم رعاية لمن؟ رعاية لمن يفدون إلى هذا البيت؛ ليكون فيما يتعلّق بالجانب الأمني مرتاح، ولكن تركهم يعتبر

(١) سورة الحجّ، الآية ٢٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٦.

متاعٌ بالنسبة لهم قليل. انظر كيف مدَّ الله قريش ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١) وهم مشركون لكن على هذه القاعدة: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَتَّعُهُ قَلِيلًا﴾^(٢) يتوفَّر لهم أرزاقهم لكن وسيؤاخذهم مؤاخذة شديدة.

لماذا يوفر لهم الرزق؟ لأنَّه عسى أن يكون في توفير الرزق مأمّن من أن يسطوا على الآخرين، ويستغلوا الذين يثوبون إلى هذا البيت، ويتجهون إلى العبادة التي هي مرتبطة بأدائها على نحو معيّن عند ذلك البيت، ليس معناه أنَّه عندما أعطاهم أنهم أهل الحقِّ، وأنَّه قد اعتبرهم كذلك لأنَّه تعالى قد أعطاهم، وأعطاهم! لا، ستكون هذه مسؤوليّة كبيرة جدًّا، وخطورة بالغة عليهم عندما يتوفَّر لهم الرزق؛ ومن الاعتبارات الهامّة في توفيره من أجل الآخرين.

ويقول السيّد حسين (رضوان الله عليه) في الدرس الواحد والعشرين من دروس رمضان:

«وبالنسبة للصيد لا يصحّ والإنسان مُحرّم إطلاقًا حتّى بالنسبة للحيوانات التي عادة هي حلال في غير وقت الإحرام. هذا يوحي بأهميّة كبرى لحرمة البيت الحرام، وما جاور البيت الحرام، نفس تلك المنطقة، وحرمة الفريضة التي تدخل فيها، سواء حجّ أو عمرة بدءًا من إحرامك.

ثم ربّما نفس هذه المخلوقات قد يكون لها دور معيّن فيما يتعلّق بالبيت الحرام، وكما يجد الإنسان أثناء الحجّ أنواعًا منها، كالحمام مثلاً تنتقل بين الحجّاج ولا تنفر منهم. قد يكون عند هذه الطيور فهم وتعرف أنَّه لن يؤذيها الإنسان في ذلك المكان. وقد يكون لعوالم كثيرة غير الإنسان، غير الإنس، وغير الجنّ، قد يكون لمخلوقات أخرى، منها هذه المخلوقات، فإذا وجدنا بأنَّه لا يصحّ أن تصطاد صيدًا ولو أرنبية أو حمامة، فما أعظم حرمة الإنسان المسلم في ذلك الوقت، وقت العمرة، ووقت الحجّ وأنت محرّم ولو من الميقات،

(١) سورة قريش، الآية ٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٦.

ثمّ في تلك المساحة كلّها، البيت الحرام وما جاورها، عندما تجد أنّه لم يبح للناس أن يسفك دم حمامة، فكيف بدم إنسان»^(١).

يتحدّث السيّد عبد الملك بدر الدين الحوثي بمناسبة رأس السنة الهجرية عن بركات البيت الحرام حتّى على المشركين فيقول:

«مجتمع قريش الذي كان يعيش وضعًا مريحًا ومختلفًا من بعض النواحي عن بعض المجتمعات في المنطقة العربيّة وغيرها بفضل شرف البيت الحرام وكرامة وجود الكعبة، الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۖ إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٢). مجتمع قريش كان يحظى باستقرار أمني أكثر من غيره من المجتمعات الأخرى، وباستقرار اقتصادي خصّه به الله سبحانه وتعالى استجابة لدعوة نبيّه إبراهيم. ولحكمة منه سبحانه وتعالى أراد لمكّة أن يكون فيها الخير ورغد العيش وسعد المعيشة حتّى يساعد ذلك على استقرار الحجيج الذين يؤمّون البيت الحرام ويسعون لعمارة هذا المسجد الحرام بالطاعة والعبادة والذكر لله سبحانه وتعالى في أجواء آمنة ومستقرّة على المستوى الأمني وعلى المستوى الاقتصادي والمعيشي.

وكما نشاهد اليوم من بعض أولئك الكفّار في مكة ومشركيها، كانوا آنذاك يعتبرون أنفسهم أصحاب الفضل في هذا النعيم وليس لله ولوجود بيته الحرام، كما نشاهد اليوم النظام السعودي الذي يستغلّ البيت الحرام ويستغلّ فريضة الحجّ ويستغلّ العمرة أيضًا في الحصول على أموال هائلة جدًّا باعتباره أكبر معلم سياحي ديني في العالم ولا يمثّله معلم آخر ربّما في التوافد إليه، وفي الحرص على الوصول إليه في الحجّ والعمرة، يستفيد منه الأموال الكثيرة يستفيد منه على مستويات أخرى يحاول أن يستغلّ سيطرته

(١) الدرس الواحد والعشرون من دروس شهر رمضان للشهيد القائد

(٢) سورة قريش، الآيات ١-٤.

وهيمنته عليه حتّى على المستوى السياسي وعلى سائر المستويات مع كلّ ذلك يتمنّن وكأنّ له المنّة في وجود البيت الحرام في مكّة وكأنّه هو الذي يخدم هذا البيت ولا يستغلّه ويكسب منه، والذي يعطيه لا يساوي شيئاً أبداً بقدر ما يأخذُه ويكسبه ويستفيده، وهذا معلوم.

والعكس هو الصحيح، فإنّ وجود البيت الحرام في تلك البقعة من الأرض هي التي أكسبتها هذه القدسيّة ويجب على الجميع أن يعي ذلك.

ثانيًا- من أبرز أهداف الحجّ

١- وحدة الكلمة وتأهيل الأمة في مواجهة أعدائها

في محاضرة (لا عذر للجميع أمام الله) يقول السيّد حسين (رضوان الله عليه): «الحج عبادة مهمّة لها علاقتها الكبيرة بوحدة الأمة، لها علاقتها الكبيرة بتأهيل الأمة لمواجهة أعدائها من اليهود والنصارى.

فما أكثر من يحجّون ولا يفهمون قيمة الحجّ!. الحجّ له أثره المهمّ، له أثره الكبير في خدمة وحدة الأمة الإسلاميّة، ألم يجزّئوا البلاد الإسلاميّة إلى دويلات خمسين دولة أو أكثر؟ وجزّؤوا البلاد العربيّة إلى عدّة دويلات، لكن بقي الحجّ الذي يلتقي فيه المسلمون من كلّ منطقة في العالم هو المشكلة. إذا ما زال الحجّ رمزاً لوحدة المسلمين، يلتقون حوله ويحملون معانٍ كثيرة لو جاء من يذكّر المسلمين بها ستشكّل خطورة بالغة عليهم؛ على الغربيّين، على اليهود والنصارى، ولهم نصوص نحن نقرأها من وزراء، ومفكرين يتحدثون عن خطورة الحجّ وأنّه يجب أن يستولوا عليه ويحصروه، وبهيمنوا على هذه البقعة.... اليهود يريدون أن يسيطروا على الحجّ. لماذا؟ ليحولوا دون أن يستخدم الحجّ من قبل أيّ فئة من المسلمين لديها وعي إسلامي صحيح فيعمّم في أوساط المسلمين في هذا المؤتمر الإسلامي الهامّ - الحج - الذي يحضره المسلمون من كلّ بقعة....

ولأنّ الحج مهمّ في مجال مواجهة اليهود والنصارى، جاءت الآيات القرآنيّة في الحديث عن الحجّ متوسّطة لآيات الحديث عن اليهود والنصارى في كلّ

من سورة البقرة **وَأَلِ عَمْرَانَ وَالنَّسَاءَ** ثلاث سور أذكرها من السور الطوال. كما جاء الحديث عن ولاية الإمام علي عليه السلام داخل الآيات التي تحدّث عن بني إسرائيل، كما جاء الحديث عن الوحدة والاعتصام بحبل الله جميعاً ضمن الحديث عن بني إسرائيل؛ لأنّ بني إسرائيل هم المشكلة الكبرى في هذا العالم ضدّ هذه الأمة وضدّ هذا الدين، هم العدوّ التاريخي للمسلمين من ذلك اليوم إلى آخر أيّام الدنيا^(١).

٢- الحجّ وسيلة من وسائل الهداية والوعي والبصيرة

يقول السيّد حسين (رضوان الله عليه) في الدرس السابع من دروس شهر رمضان:

«وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا^(١) يثوبون إليها، يلتقون فيها، هي بيت سمّيت بيت الله، معلماً من معالم دينه، من معالم توحيده، من معالم ربوبيّته، وألوهيّته، نفس الكعبة يثوب إليها الناس بطريقة مستمرة، يعودون إليها، لأنّ ثاب إلى الشيء بمعنى: رجع، فكانّ الناس يعودون دائماً إلى الكعبة باستمرار، هذا معنى يثوبون إليها.

لها قيمة هامة جدّاً فيما تعطيه من معاني، فيما تعطيه من مشاعر، فيما يتعلّق بالله سبحانه وتعالى. الإنسان عندما يكون قريباً من الكعبة يشعر وكأنّه قريب في أجواء تجعله قريباً من الله، في أجواء تراها دينيّة؛ المشاعر دينيّة، مشاعر توجّه إلى الله، كلّ واحد يشعر بذلك وكأنّه قد وصل إلى المكان الذي هو قريب من الله جدّاً. يثوبون إليها التقاؤهم المتكرّر هو وسيلة من وسائل بثّ الهدى والوعي فيما بينهم بطريقة مستمرة.

لهذا كان الحجّ مهمّاً جدّاً، وما يزال الأعداء من اليهود والنصارى ينظرون إليه كفضيّة خطيرة جدّاً أي: إنّ هذه الأمة ما تزال تمتلك نقطة تمثّل قوّة

(١) من محاضرة للشهيد القائد لا عذر للجميع أمام الله.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

بالنسبة لها، وإيجابيّة كبيرة بالنسبة لها، وعامل من عوامل إمكانيّة توّحدها، إمكانيّة نقل المفهوم الواحد فيما بينها، تعميم المفهوم الواحد، والرؤية الواحدة فيما بينها، اطلاع البعض منهم على ما يعاني البعض الآخر، من خلال لقاءاتهم، لهذا حاولوا منذ زمن تفريغ الحجّ عن محتواه، عمّا يمكن أن يعطيه من إيجابيات بالنسبة للأمة. وبعدهما ظهر (الإمام الخميني) وحاول أن يستغلّ الحجّ لتذكير المسلمين، وكان يصدر بياناً في الحجّ، ويورّعه لأنّه من هنا تنطلق الأشياء إلى مختلف بقاع الأرض. فالحجّ يمثل مؤتمراً هاماً جدّاً لا يستطيع أيّ طرف أن يمؤّل كمثلته كلّ سنة؛ لأنّها جاءت قضية عباديّة ينطلق فيها الناس لوحدهم، كلّ إنسان يذهب بتمويل من نفسه فيلتقي الملايين هناك، أيّ دولة تستطيع أن تمؤّل ولو مليون كلّ سنة ليجتمعوا هناك؟ لا تستطيع أيّ دولة^(١).

٣- الحجّ له علاقة بموضوع التسليم والصراع مع أهل الكتاب

يقول السيّد حسين (رضوان الله عليه) في الدرس الثامن من دروس شهر رمضان:

«كما ذكر سابقاً البيت الحرام وعمارة إبراهيم له ذكر هنا أيضاً: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٢). هنا تأتي قضية الحديث عن البيت والحديث عن هذه المشاعر في إطار الأشياء هذه فيما يتعلّق بموضوع الهداية وموضوع الصراع مع الآخرين والتسليم لله، تجد أنّها قضية لها إيجابيتها في ماذا؟ في تعزيز هذه الأشياء، في تعزيز أن تهتدي بهدى الله، بأن تسلّم نفسك لله بأن تكون قويّاً في مواجهة أعداء الله.

(١) الدرس السابع من دروس رمضان للشهيد القائد

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٨.

وتجد أنّ لها علاقة أيضًا فيما يتعلّق بالطرف الآخر فعندما تكون هذه لها أثر إيجابي بالنسبة للمسلمين: البيت الحرام، وهذه المشاعر المقدّسة وتشريع الطواف بين الصفا والمروة وغيرها تمثّل قضيّة قوّة بالنسبة للمسلمين لها إيجابيّة كبيرة في موضوع الصراع مع الآخرين؛ لهذا تجد الآخرين يتوجّهون بجديّة ضدّ الحجّ والسعي للسيطرة عليه، وأن يعملوا بأيّ طريقة للحيلولة بين المسلمين بأن يتوقّفوا عن الحجّ أو أن يأتوا بأعداد قليلة جدًّا وبدأوا فيما يتعلّق بماذا؟ بالتقصيد أعني كلّ بلد لا يحجّ منه إلّا ما يساوي واحد في الألف مع أنّ الله سبحانه وتعالى جعل مكّة بالشكل الذي يتّسع لأيّ عدد يحجّ من الناس.

ويقول السيّد حسين (رضوان الله) في ملزمة (لا عذر للجميع أمام الله): «وهكذا أراد الله للحجّ أن يكون ملتقى إسلاميًّا، يذكّر الناس فيه بعضهم بعضًا بما يجب عليهم أن يعملوه من أجل دينهم في سبيل مواجهة أعدائهم.

الإمام الخميني الذي عرف الحجّ بمعناه القرآني الكامل، هو من عرف كيف يتعامل مع الحجّ فوجّه الإيرانيين إلى أن يرفعوا شعار البراءة من أمريكا، البراءة من المشركين، البراءة من إسرائيل، ونحن هنا كتنا نقول: لماذا يعمل هؤلاء، ولم ندر بأنّ أوّل عمَلٍ لتحويل الحجّ إلى حجّ إسلامي تصدّر براءة قرأها الإمام علي - إمامنا - العشر الآيات الأولى من سورة البراءة هي بداية تحويل الحجّ إلى حجّ إسلامي ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(١).

ونحن كتنا هنا نقول ونحن شيعة الإمام علي: ما بال هؤلاء يرفعون (الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل) البراءة من المشركين هذا حجّ؟ (حج يا حاج). حجّنا نحن اليمينيّين: (حج يا حاج حج يا حاج) على عجل، نطوف ونسعى ونرمي الجمرات على عجل دون إدراك للمعاني.

(١) سورة التوبة، الآية ٣.

فالإمام الخميني عندما أمرهم أن يرفعوا البراءة من المشركين في الحجّ كان يدرك تمامًا أنّ بداية التحوّل تبدأ من هناك؛ من الحجّ فحين يصطبغ بالصبغة الإسلاميّة بإعلان البراءة من المشركين التي قرأها الإمام علي، يكون هذا هو الحجّ.

حتّى البراءة التي يعلنها الإيرانيون أو يعلنها أيّ أحد من الناس هي ما تزال أقلّ من البراءة التي قرأها الإمام علي عليه السلام كانت براءة صريحة وإعلان حرب، ألم تكن إعلان حرب على الشرك وأتفه لا يجوز أن يحضروا بعد هذا العام إطلاقاً إلى هذه الأماكن المقدّسة؟ الإمام علي قرأ براءة من نوع أكثر ممّا يرفعه الإيرانيون في الحجّ، براءة من المشركين وإعلان الحرب عليهم. ونحن كنّا نقول: لا.. نحجّ فقط، هذه عبادة لله ما هو وقت أمريكا وإسرائيل.

هكذا نقول؛ لأنّنا لا نفهم شيئاً، هذه مشكلتنا لا نفهم إلاّ السطحيات، الحجّ عبادة مهمّة، الحجّ عبادة لها علاقتها الكبيرة بوحدة الأمة، لها علاقتها الكبيرة بتأهيل الأمة لمواجهة أعدائها من اليهود والنصارى.

ثالثًا- استهداف شعيرة الحجّ

١- الاستهداف اليهودي للحجّ

الحجّ هو واحد من أبرز المبادئ الدينيّة التي سعى اليهود من خلال تأمرهم على الإسلام والمسلمين وعبر عملائهم في المنطقة وبالذات النظام السعودي بشقّيه الديني والسياسي إلى تفرّيقها من مضمونها ولم يكتفوا بذلك فحسب بل إنهم، بكلّ ما يمتلكون من مكر وكيد، يسعون إلى منع هذه الشعيرة المقدّسة نهائيًّا لمعرفةهم بأهميّة الحجّ وعلاقته بعرة الأمة وسيادتها وقوّتها واستقلالها.

في الدرس (السابع من دروس شهر رمضان) وفي محاضرة (لا عذر للجميع أمام الله) وغيرهما من المحاضرات تحدّث السيّد حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه) عن استهداف اليهود والنصارى للحجّ ومعرفةهم لأهميّة هذه الفريضة العظيمة في وحدة المسلمين والنهوض بهم إذا أدّيت بالشكل المطلوب، فهم يفهمون أهميّة هذه الفريضة وبالشكل الذي لم يفهمه أغلب المسلمين.

يقول السيّد حسين رضوان الله عليه في محاضرة (لا عذر للجميع أمام الله):

«لو نقول لكم الآن إنّ إسرائيل واليهود والنصارى يخطّطون للاستيلاء على الحجّ فقد تقولون: مستحيل؛ لأنّ هذا الحجّ الذي لا نفهمه نحن، عندما نجح من اليمن ومن السعودية ومن مصر، نحن العرب الأغبياء عندما نجح،

اليهود يفهمون قيمة الحجّ أكثر ممّا نفهمه، اليهود يعرفون خطورة الحجّ وأهميّته أكثر ممّا نفهمه نحن. ما أكثر من يحجّون ولا يفهمون قيمة الحجّ! الحجّ له أثره المهمّ، له أثره الكبير في خدمة وحدة الأُمّة الإسلاميّة...

فهم . فعلاً . يخطّطون للاستيلاء عليه، وإذا ما استولوا عليه عرفوا أنّنا أصبحنا نصدّق كلّ شيء من عندهم، وأنّنا أصبحنا أبواقاً للإعلام، نردّد أيّ تبرير يأتي من قبلهم... وأصبحت وسائل إعلامنا تردّدها، وأصبحنا نحن نستسيغها ونقبلها ونغمض أعيننا عن الواقع الملموس، نوّمن بالخدعة ولا نلتفت إلى الواقع الملموس الذي باستطاعتك أن تلمس من خلاله شرّهم وخطرهم، تغمض عينيك وتكفّ يديك وتصدّق التبرير الذي يعلنونه.

إذا كانوا يعملون هذه الأعمال ثمّ أنت لم تؤمن بعد ولم تستيقظ بعد، ولم تصدق بعد بأنّ هناك ما يجب أن يحرك مشاعرك ولو درجة واحدة، ماذا يعني هذا؟ غفلة شديدة، تيه رهيب، ذلّة إلهيّة رهيبية. هل يستشيرنا هذا عندما نقول إنّنا فعلاً نلمس أنّهم بدأوا يتحرّكون من أجل الهيمنة على الحرمين الشريفين وليس فقط القدس؟

العرب يردّدون الآن ضمن أقوالهم: (من أجل إقامة دولة فلسطينيّة عاصمتها القدس). هل إسرائيل تلتفت إلى هذا الكلام؟ هي ليست تحاول أن تستلم القدس هي تبحث عن الحرمين الآخرين. إنّ الحرمين الآخرين هما اللذان يشكّلان خطورة عليها وليس القدس. ارتباطهم بالقدس هو ارتباط تاريخي فقط، ليس لأنّ القدس منطقة ذات أهميّة عند المسلمين أو تشكّل خطورة بالغة عليهم. لا، وإنّما باعتبارها مدينة يقولون كان فيها هيكل سليمان، وإنّها هي المدينة التي كتب الله لهم أن يدخلوها، وعبارات من هذه، ارتباط هويّة دينيّة وتاريخيّة. أمّا الحرمين فهم الذين يشكّلون خطورة بالغة عليهم وعلى مستقبلهم، وأكّد لهم ذلك تأمّلهم للقرآن. القرآن الذي لا نفهمه نحن. وأكّد لهم ذلك أنّهم وجدوا في الحجّ يمكن استخدام أيّ حركة إسلاميّة لتوعية الآخرين. وهكذا أراد الله للحجّ أن يكون ملتقى إسلاميّاً، يذكر الناس فيه

بعضهم بعضاً بما يجب عليهم أن يعملوه من أجل دينهم وفي سبيل مواجهة أعدائهم.

فلماذا يحقد اليهود على البيت الحرام؟ في الدرس الرابع عشر من دروس شهر رمضان، يتحدّث السيّد حسين (رضوان الله عليه) عن بعض الاعتبارات التي جعلت اليهود حاقدين على البيت الحرام فيقول:

«إنّ موقع هذا البيت، الحجّ والبيت هما محطّ مؤامرة من قبل بني إسرائيل منذ زمن حين كانوا ضعفاء، فما بالك الآن وهم في زمن قوّة وممّا صرفهم عن البيت عداوتهم لإسماعيل وبني إسماعيل، كارهين لذلك الموقع لعدّة اعتبارات، وبالطبع عندما يرون أنفسهم أقوياء ونافذين يتآمرون ومؤامرة بني إسرائيل قائمة فعلاً لا تكون بشكل تدمير موقع فقط، بل أيضاً يحاولون أن يكون بالشكل الذي يصرف الناس عن ذلك الشيء. في موضوع البيت الحرام، هناك توثيق للزمن وتوثيق للمكان. وفريضة أن يحجّ الناس إليه في أيّ ظرف كان وأنّ هذا البيت والحجّ إليه واجتماع المسلمين حوله يمثّل قوّة بالنسبة لهم، يمثّل معلم من معالم القوّة بالنسبة للمسلمين.

فعندما يتّجه بنو إسرائيل إلى المؤامرة على الحجّ، على البيت فلعدّة اعتبارات لديهم: كراهية لهذا البيت، كراهية لمن هم مرتبطين بهذا البيت من بني إسماعيل وإسماعيل، كراهية لأثره الهامّ بالنسبة للمسلمين أنّه يعتبر معلماً يبرهن أنّ هذه لا تزال أمة واحدة.

يتّجه اليهود إلى تغيير المعالم الإسلاميّة، فمقام إبراهيم} مثلاً يبيّن أهميّة ما يسمّى بمعالم تاريخيّة، أو تراث معيّن، أليس مقام إبراهيم يعني حجراً كان إبراهيم يصعد من فوقها وهو بيني الكعبة؟ هذا أثر تاريخي هامّ من الناحية التوثيقية، ومن الناحية النفسيّة، وعندما تعرف بأنّه لا يزال هناك أثر من آثار إبراهيم الذي رفع قواعد هذا البيت العظيم، وأثر لوحدة الدين؛

﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(١) يحاول أن يصلّي الناس عنده فيتذكّرون.

هنا تلاحظ أنّ الآخرين من اليهود وغيرهم يحاولون أن يضربوا كلّ الآثار، والمعالم الإسلاميّة، ويغيروها، في نفس الوقت الذي يحاولون فيه أن يبقوا آثارهم على ما هي عليه! تمامًا كما يبغون من فكرة تهويد القدس في فلسطين، وهي فكرة نابعة من تهويد النفوس بل تهويد المنطقة، إبراز معالم معيّنة يهوديّة، ويطمس معالم إسلاميّة أو عربيّة. فهي آية من آيات الله التي يعرفها بنوا إسرائيل لكنهم يكفرون بآيات الله.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) مقام إبراهيم بمعناه الإسلامي التوحيدي، هذه النظرة العدائيّة لليهودي بالنسبة للبيت الحرام والآيات البيّنات التي في الحجّ، فمن الطبيعي أن يتأمروا لأنّ في اتحاد المسلمين خطر عليهم وعلى دولتهم لكنّ الله ﴿شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣) هذه فيها تهديد لهم أن مهما تأمروا سيجعل الله دائرة السوء عليهم، يجعل مكرهم عليهم كما قال في آية أخرى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٤).

٢- دور آل سعود في تعطيل فريضة الحجّ

أشار السيّد حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه) إلى بعض تلك المؤامرات ومنها:

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٩٨.

(٤) سورة فاطر، الآية ٤٣.

أ- المؤامرة الأولى: (تعطيل وتفريغ الحجّ من محتواه)

يقول السيّد حسين في (لا عذر للجميع أمام الله): «الحجّ عبادة مهمّة إنّما أراد آل سعود تعطيلها، وعطلها اليهود والنصارى ولم يكتفوا بما يعمله آل سعود، القضية عندهم خطيرة جدًّا لذا هم لا يثقون بعملائهم ولا بأصدقائهم، ومهما كنت صديقًا لهم ربّما يظهر أحد فيحصل كما حصل في إيران، يسيطر على المنطقة هذه ثمّ تفلت من أيدينا، يريدون هم أن يسيطروا مباشرة. لم يعودوا يثقون بعملائهم أبدًا، هم يتنكّرون لهم ويضربونهم في الأخير متى ما اقتضت سياستهم أن يتخذوا موقفًا منهم، هم يقدمون تبريرات كثيرة، وكلامًا كثيرًا ضدّك وأنت كنت صديقهم، حتّى تصبح إنسانًا يستعجل الناس أن تُضرب»^(١).

ب- المؤامرة الثانية: (القضاء على المعالم والآثار الإسلامية)

في الدرس السابع من دروس شهر رمضان يقول: ﴿وَأُخَذُوا مِنْ مَقَامٍ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(٢) أمر من الله لما لهذا من أثر نفسي، ولما لهذا من ربط تاريخي، وروحي. هذه قضية هامة، استشعار وحدة المسيرة الإلهية، وأن تبقى آثار من آثار إبراهيم، مقام إبراهيم لا يزال باقياّ تصليّ بالقرب من ذلك المكان، يربط مشاعرك بإبراهيم، هذا يلهم فيما يتعلّق بماذا؟ بالاعتداء، فيما يتعلّق بالسلوك؛ لأنّ قضية الآثار، الآثار الدنيّة التي تمثّل معلّمًا من معالم مسيرة الدين يكون لها أثرها الروحي في الناس.

هذا يبيّن أهمية الآثار، والمعالم الدنيّة فيما تركه من أثر في النفوس، والأعداء يفهمون هذا. لهذا حاولوا في كثير من الآثار الدنيّة، في مكّة والمدينة أن يجرّدوها تمامًا من أيّ شكلية يجعلها توحى تحافظ على هذه القيمة. مسجد معيّن يحولونه، ويغيّرونه إلى نمط جديد من البناء فلا تعد

(١) من محاضرة للسيّد حسين (رضوان الله عليه) بعنوان (لا عذر للجميع أمام الله).

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

ترى فيه أي أثر إلا أنه بُني في عام ألف وأربعمئة وكذا! أعني قبل عشر سنين،
ثمانين سنين لم تعد الآثار الإسلامية باقية فيه.

كان المفروض حتى مسجد رسول الله ﷺ أن يحافظوا عليه بشكليته،
يحافظون على نمط المدينة بشكليتها، بينون عمراً خارج محيط هذه المدينة،
ويجعلونها منطقة غير قابلة إلا فقط للترميم على نفس النمط، من مصلحة
من تغيير المعالم وإبقاء معالمهم الخاصة بهم؟ بأثارهم هم: آل سعود، قصر
(الديرة) في الرياض تراه (يملجونه بطين) ويتركون بابه على ما هو عليه، بنفس
النمط الذي هو عليه من يوم اقتحمه (عبد العزيز)، لأنه اقتحمه وقتل الأمير
الذي كان فيه.

تلاحظ كيف كانت فعلاً القضية تؤكد: بأن الأشياء التي تعتبر من
الأساسيات في معتقدات الوهابية: نفس الالتفاتة الدينية لآثار إسلامية، أو
معالم دينية، يقولون: (شرك!) عندما تقرأ كتب محمد بن عبد الوهاب، وتظن
فعلاً إلى رؤية المستعمرين، رؤية المحتلين، رؤية الأعداء الذين يحاولون أن
يزيلوا الأشياء التي هي آثار تشد الناس إلى تاريخهم الديني، إلى بداية حركتهم
في الإسلام تجد أنها واحدة كلها.

يحاولون أن يغيروا معالمها مهما أمكن، ولا يتركونك ترى الكثير منها
ليخلقوا فراغاً روحياً عند الناس ينسف ذلك التأثير الذي ماذا؟ له قيمة
إيجابية، وتربطك بتاريخك الديني.

عندما تدخل المدينة وكأنك عدت إلى القرن الأول ترى مسجد رسول
الله ﷺ، ترى الأشياء وكأنك سافرت إلى ما وراء ألف وأربعمئة سنة، أليس
الأثر سيكون كبيراً في النفس؟ هم يعرفون أهمية التراث الذي يشكل قضية
هامة. لكن يهتمون بالتراث الجاهلي، أما التراث الديني فيحاربونه، كلهم
يحاربونه، الأعداء، ومذهب من داخل الأمة تقوم عقائده على نفس معالم
الدين، وآثاره! حتى أنهم حاولوا في مرحلة من مراحل حركة الوهابيين أن
يدمروا قبة رسول الله ﷺ!

يحاولون في ترتيبات بناء المسجد، وزيارة قبر رسول الله ﷺ أن تكون بالشكل الذي لا تتمكّن أن تراه، أو تستحضر في ذهنيّتك أنّ هناك داخل هذا المبنى رسول الله ﷺ فقط ممّر واحد، وممّر ضيق، ومجموعة من المطاوعة، والجنود يدفعونك: (هيا، تحرك!) باب واحد تدخل من باب، وتخرج من باب بسرعة (هيا بسرعة) لا يتركوك تلتفت لشيء، أو أن تستحضر في ذهنيّتك، وتعود إلى ما قبل ألف وأربعمئة سنة أبداً!.

ألم يكن بالإمكان أن تكون الزيارة ممّرين؟ لكن لا، ممّر واحد فقط وبسرعة هيا! محراب النبيّ ﷺ يضعون فيه مجموعة كراسي، يملأونه بالكراسي لا يتركوك تجلس فيه، أو تصلّي فيه كلّ هذه الأشياء (بدعة، شرك، لا تلمس شيئاً) عندما تلمس شيئاً يبدو وكأنك تلمس شيئاً يعود بذهنيّتك إلى قرون من تاريخ الأمة هذه يقول لك: ممنوع! وبطريقة وقحة، بعض المطاوعة يركلون الناس بأقدامهم، يركلونهم فعلاً، يدفعونهم، ويركلون بعضهم، ويضربونهم، والبعض يقودونه إلى السجن؛ لأنّه حاول أن يلمس قبّة رسول الله ﷺ ويقبلها! لكن اذهب لتقبّل جنب الأمير لا يوجد مانع، قبّل جنبه، قبّل يده وهو حتّى لا يبادلك التقبيل يبقى واقفاً وهم يقومون بتقبيله في جنبه، أو يقبلون يده فقط، وهو لا يبادلهم، ويتبركون بهذا، وتراهم يذهبون لهذا! لكن رسول الله، لا، ممنوع!.

ج- المؤامرة الثالثة (ترهيب الحجاج ومضايقتهم والاعتداء عليهم بالضرب وبالقتل إن لزم الأمر)

يقول السيّد حسين (رضوان الله عليه) حول هذه المؤامرة في (الدرس السابع من دروس شهر رمضان): ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(١) في نفس الوقت أمناً لا يجوز لأحد أن يعمل أيّ شرّ بالآخرين في محيط ذلك البيت نهائياً؛ لهذا كان دخول رسول الله ﷺ إلى مكة بطريقة حكيمة يتفادى

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

معها أيّ إضرار بشخص حتّى من الكافرين داخل مكة حتّى من أعدائهم وهم لا يزالون أعداء كافرين داخل مكة. فتح مكة ما أظن أنّه حصل فيه أيّ حادث على الإطلاق نهائيّاً، ترتيبات دقيقة جدّاً حقّق من خلالها فتحاً لمكة، وانكسار شوكة الكفر نهائيّاً مع الحفاظ على حرمة البيت الحرام، وعلى هذه القاعدة الإلهيّة: أنّه جعله مثابة للناس وأمّاً.

ولهذا كانت جريمة كبيرة جدّاً: عندما قتلوا العشرات من المسلمين في (عام ١٤٠٧هـ). لقد افتعل السعوديون تلك المجرزة الرهيبة جدّاً قتل فيها أكثر من أربعمئة شخص والله قد حرّم قتل صيد حمامة جعل لها حرمة، حرم صيدها، وهؤلاء قتلوا أربعمئة؛ ولهذا تراهم من بعد لم تقم لهم قائمة، الدولة السعوديّة لم يقدّم لها من بعد فعلاً؛ لأنّ الله قال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١) تدهورت دولتهم من ذلك اليوم إلى الآن، ولا تتوقّع لها أن تنهض على الإطلاق إلى الأفضل، إنّما انحطاط إلى أن تتلاشى، وتنتهي بخزي، وعذاب أليم، عذاب نفسي والله أعلم ماذا سيكون من أنواع العذاب.

هذه قضية ليست محطّ اجتهادات، ولا تأويلات على الإطلاق عندما انطلق مجموعة من جمعيّة العلماء، أو لجنة كبار العلماء، وقالوا بعد تلك الجريمة الكبيرة: إنّ الدولة السعوديّة لم تقم إلّا بما وجب عليها! لاحظ الآن كيف هم أخزوا، تراهم الآن أصبحوا في وضعيّة تقريّباً. سيطر على مشاعرهم: أن يتأقلموا مع الكافرين، أن يتأقلموا مع اليهود والنصارى وما تمليه أمريكا عليهم.

د- المؤامرة الرابعة: (وضع العراقيل التي تجعل هذه الغريضة صعبة وبعيدة المنال)

يقول السيّد حسين حول هذه المؤامرة في (الدرس السابع من دروس شهر رمضان): «البيت جعله الله مثابة للناس، لا يجوز لأيّ طرف أن يتحكّم فيه بما

(١) سورة الحج، الآية ٢٥.

يحول دون أن يصلوا إليه، بل واجبه أن يقدم خدمات لتسهيل ورود الحجيج سواء في موسم الحجّ أو العمرة، لا تتوقّف لا على (جوازات)، ولا على أيّ ترتيبات من هذه الأشياء التي يعملونها، إلا فقط الجوانب الأمنيّة التي تعني: خدمة تفتيش، مراقبة الحجّاج يعني هؤلاء من منطقة كذا، وهؤلاء الحجّاج من منطقة كذا، إحصائيّة من أجل ماذا؟ لتقديم خدمة أميّة.

عندما يكون هناك مبالغ تؤخذ سواء في البلد الذي أنت تحجّ منه، أو من نفس الدولة التي تهيمن على هذا البيت الحرام، وعلى المشاعر المقدّسة، تطلع لك تكلفة الحجّ في الأخير بحوالي (٥٠٠٠ ريال) هنا وأنت في أقرب منطقة إلى البيت الحرام، كيف ستكون التكاليف بالنسبة لمسلمين آخرين من بلدان أخرى من الهند من الصين من بلدان أخرى؟

إذاً، فهذه جريمة، لأنّ الله جعل البيت مثابة للناس، لا يجوز لأيّ جهة أن تهيمن عليه، وإنّما تعتبر خادمة له، ولمن يحجّ إليه، وكان المشركون فيما قبل يتنافسون على خدمة الحجّاج، وكان البعض منهم يعدّون الشراب، وأناس منهم يعدّون الطعام كانوا يفتّون للحجّاج الخبز مع اللحم، يطعمونهم، يتنافسون على خدمتهم، وهؤلاء يقولون: ضيوف الرحمن. أمّا الآن يختلسونك وأنت ما زلت تقطع جوازاً هنا محسوب حوالي (٥٠٠ ريال) محوّل هناك لمكتب الوكلاء السعوديين، وتدخل والأشياء ترتفع أسعارها: أسعار الشقق السكنيّة، أسعار المواصلات، السيارات، أسعار المأكولات المواد الغذائيّة، أسعار كلّ شيء ترتفع وتضاعف بنسبة هائلة، لا يتركون الوضعيّة طبيعيّة على أقلّ تقدير.

إحدى المرّات في مكّة استأجرنا (شقة) بأربعة آلاف تقريباً وخمسمئة سته أيام، نسأل واحد مستأجر قال هو مستأجر الشهر بسبعمئة ريال! لماذا تستغلّون حجّاج بيت الله بهذا الشكل؟ بينما الشهر بسبعمئة ريال في الأوضاع العاديّة!. عندما يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً

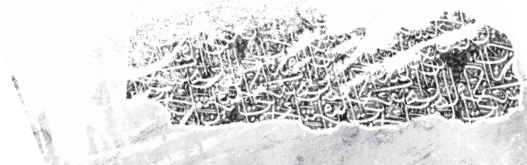
لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴿١﴾ يجب أن تكون حركة التجار ومن يرون لأنفسهم أن هناك حقوقًا معينة، أو اعتبارات معينة قائمة على ما يتعلّق بالمشاعر المقدّسة وأن يكون كلّ عملهم في هذا الإطار، أي: فيما يسهّل أن يكون مثابة للناس وأمنًا فيثوبون إليه، فيما يسهّل عمليّة أن يثوبوا إليه، أن يتردّدوا عليه ليحبّوا ويعتصموا أليست تقتضي أشياء كثيرة وتسهيلات؟

يترك طريقًا سالكة (خط) لمكّة والمشاعر المقدّسة إذا أراد أن يقفل مدنًا أخرى حتّى لا يدخلها أحد، حتّى لو كان يريد أن يصنع على بلاده (شبكة)، فليصنع، وحتّى لو أراد أن تسقفه فليفعل. لكن اترك خطأ سالكا ولا يكون مرتبطًا بأيّ رسميّات على الإطلاق: جوازات معينة، أشياء معينة. لم يكن بهذا الشكل في مئات القرون سابقًا، في تاريخ الأمة، كان يحجّ من حجّ بتكاليف بسيطة جدًّا...

يجب على من يرون أنفسهم قائمين بشؤون البيت الحرام أن تكون كلّ أعمالهم بالشكل الذي تسهّل عمليّة أن يثوب الناس إلى هذا البيت، وأن يكون مكانًا آمنًا تأمن فيه على أموالك، وتأمن فيه على نفسك، ليس كما هو الآن، يستغلّون المكان الذي هو للناس جميعًا وبينون فيه مباني شاهقة، وفيها مئات الغرف، ويؤجّرونها بأعلى الأثمان، أليس هذا استغلالًا لما قد جعله الله للناس جميعًا. هذه المهمّة قال الله عنها: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١) أن يكونا خادمين لهذا البيت، نبيّ الله إبراهيم وابنه إسماعيل أنبياء من أعظم أنبياء الله، مهمّتهم رعاية هذا البيت، وتسهيل مهمّة الطواف، والركوع والسجود، أي أن يكون هذا البيت بالشكل الذي يستطيع الناس أن ينالوه وبخدمات تتوفّر لهم حتّى يثوبوا إليه، ويقوموا بتفاصيل عباديّة تؤدّي نحوه سبحانه.

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٥.



إلى أن يقول: ثمّ مع هذا تراهم يستغلّون الآخرين، أي: يتوفّر لهم الرزق هناك بالشكل الذي يستطيعون أن يقدّموا تسهيلات كبيرة جدًّا للحجّاج على صعيد الحجوزات والخطوط الجويّة أو المأكّل والإقامة وغير ذلك. لكن ما الذي يحصل؟ هل هناك أشياء تأخذها مجانًا؟ لا يوجد، بل تأخذ بأعلى الأثمان، أحيانًا يصل نقل الحجّاج من منى إلى مكّة خمسين ريال سعودي فوق شبك الباصات، وهي بريالين في الوضعيّة العاديّة في غير الحجّ»^(١).

هـ المؤامرة الخامسة: (ترويض الناس على عدم الاهتمام بالحجّ ليتمّ منعه في المستقبل)

وحول هذه المؤامرة، يقول السيّد حسين (رضوان الله عليه) في الدرس الثامن من دروس شهر رمضان: «كما ذكر سابقًا البيت الحرام وعمارة إبراهيم له ذكر هنا أيضًا: ﴿إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾»^(٢). هنا تأتي قضيّة الحديث عن البيت والحديث عن هذه المشاعر في إطار الأشياء هذه فيما يتعلّق بموضوع الهداية، وفيما يتعلّق بموضوع الصراع مع الآخرين، وموضوع التسليم لله، تجد أنّها قضيّة لها إيجابيّتها في ماذا؟ في تعزيز هذه الأشياء: في تعزيز أن تهتدي بهدى الله بأن تسلّم نفسك لله، بأن تكون قويًّا في مواجهة أعداء الله.

أمّا فيما له علاقة يتعلّق بالطرف الآخر، فتشريع الطواف بين الصفا والمروة وغيرها من المشاعر المقدّسة حول البيت الحرام تمثّل نقطة قوّة بالنسبة للمسلمين لها إيجابيّة كبيرة في موضوع الصراع مع الآخرين؛ لهذا تجد الآخرين يتوجّهون بجديّة ضدّ الحجّ والسيطرة عليه، وأن يعملوا بأيّ طريقة للحيلولة بين المسلمين بأن يتوقّفوا عن الحجّ أو أن يأتوا بأعداد قليلة جدًّا وبدأوا فيما يتعلّق بماذا؟ بالتقصيد أي: كلّ بلد لا يحجّ منه إلّا ما يساوي واحد

(١) من الدرس السابع من دروس شهر رمضان للسيّد حسين (رضوان الله عليه).

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٨.

في الألف مع أنّ الله سبحانه وتعالى جعل مكة بالشكل الذي يتسع لأيّ عدد يحجّ من الناس.

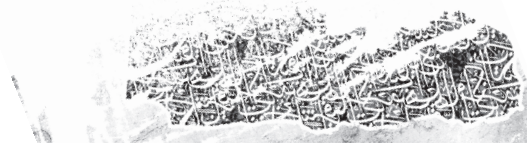
يذكر أحد المؤرّخين (دحلان) في كتاب (تاريخ الحرمين) عن قضية كانوا يشاهدونها هم بالنسبة لمكة، فعندما ننظر إلى مكة مع عدم وجود الحجّاج، نجدّه وادياً ضيقاً والجبال محيطة به من هنا وهنا، لكن وقت الحجّ قال: يدخل من كلّ بلد إسلامي، وكانوا يسافرون على الإبل، على الدواب، ليس هناك وسائل مثل هذا الزمن، يجتمعون من كلّ بلد في ذلك الوادي، في ذلك المكان فلا يمتلئ نهائياً، وهم يأتون بأعداد كبيرة جداً. هذه آية من آيات الله: أن يكون ذلك المكان بالشكل الذي يستوعب الناس مهما تكاثروا فيه.

إنّ قضية أنّ البيت الحرام لا يتسع لعدد كبير وهائل من الناس غير صحيحة، وعندما يقولون: يقصّدون الناس على أساس ألا يكون هناك زحمة! هذا غير صحيح. الله عندما يقول لنبيه إبراهيم: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾^(١) أذنّ في الناس بالحجّ، والله يعلم بالنسبة للناس إذا فليحجّ من الناس من يحجّ هو يعلم بالمكان أنّه يستوعب؛ لأنّه هو الذي جعل الحجّ في وادٍ مليء بالجبال، لم يذهب يبحث لصعيد صحراء سيناء أو صعيد مصر أو صحراء أفريقيا أو أيّ منطقة أخرى، ويعلم كم يمكنه أن يستوعب من الأعداد.

الأماكن التي تبدو أمامنا فيها زحمة قد تكون نتيجة قلة وعي لدى بعض الحجّاج ولقلة الخدمات فيما يتعلّق بتنظيم الحجّاج، وهي أماكن محدّدة، هي أماكن سيحصل فيها زحمة لو لم يحجّ إلا مئة ألف، وهي عند الجمرات، عند الجمرة الأولى (جمرة العقبة) يوم النحر، يوم العيد؛ ليس لأنّه حجّ ثلاثة ملايين شخص بل سيزدحمون حتّى لو كانوا خمسة آلاف.

إذاً ليست المشكلة في العدد بقدر ما هو نتيجة عدم الوعي، وقلة الرحمة بين المسلمين أنفسهم، يأتي أناس يتجمّعون ويتكثّرون، قد يصلون إلى

(١) سورة الحجّ، الآية ٢٧.



حدود خمسين شخصًا ويشكلون زحمة، ويضرون بغيرهم، وليس هو من أصله، الإشكالية تكمن في التنظيم لا في كثرة العدد. حتّى تقول: يجب أن نقلل عدد الحجّاج، ثمّ يرفعون تكاليف الحجّ.

هذه خطة يبدو أمريكيّة؛ ترويض الناس ليتقبّلوا تقليص وتقليل عدد الحجّاج من كلّ بلد ويكون عددًا قابلاً للانخفاض كلّ سنة أكثر، وكلّ سنة يفتعلون شيئًا فيما يتعلّق بالكعبة يقولون: قد حصل وباء أو حصل كذا من كثرة الازدحام، إذا قلّلوا العدد! حتّى يصبح الحجّ قضية بعيدة عن اهتمام المسلمين أو في الأخير يوقفوه»^(١).

و- المؤامرة السادسة: (استخدام هذه الفريضة في صراعاتهم)

يمنعون من الحجّ من يدخلون معه في خصومة أو يرفضون هيمنتهم كمنعهم للسوريين والعراقيين واليمنيين وغيرهم.

يقول السيّد عبد الملك (حفظه الله): «وآخر ما فعله النظام السعودي في هذا المسلسل الفظيع من التدبّي والانحطاط والسقوط والتجرّد من القيم والمبادئ تجاه الحجّاج اليمنيين، حينما منع معظم الحجّاج اليمنيين باستثناء القليل القليل من الحجّ بغير وجه حقّ، هذه جريمة كبيرة، هذه ورطة، أولئك الأغبياء يتورّطون في المزيد والمزيد من الجرائم الكبيرة التي يتحمّم بها في سنّة الله تعالى نهايتهم، هذه قضية خطيرة جدًّا جدًّا وليست سهلة.

الصدّ عن المسجد الحرام، منع الناس من أداء الحجّ عن أداء فريضة الحجّ حتّى وفق نظمهم وقوانينهم، والأساليب المعتمدة عندهم في كفيّة الترتيبات للحجّ، وما يأخذونه من أموال على الناس بغير وجه حقّ في سبيل أن يتركوا الناس ليحجّوا بالرغم من أنّ الآلاف من الحجّاج اليمنيين التزموا بكلّ هذه الترتيبات، والمقدّمات الطويلة العريضة التي وضعوها كعراقيل أمام الناس، وجعلوا من الحجّ متجرًا كبيرًا يجمعون من خلاله الكثير من الأموال

(١) الدرس الثامن من دروس شهر رمضان للشهيد القائد.

ويبتزون عباد الله، حتى مع كل ذلك لم ينفع، منعوا الكثير من الحجاج من الحج، وهذه جريمة على المستوى الديني؛ لأن الحج ليس لهم، الحرم ليس لهم، ليس لآل سعود، هو بيت الله الحرام، ليس للملك، ولا لوزرائه، ولا لحكومته، وليس لشعب دون شعب، ولا لبلد دون بلد، ولا فئة دون فئة، هذا بيت الله لكل عباده، الله يقول: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾^(١)، ولذلك أبشروا بالخزي، أبشروا بعذاب الله الذي لن تفلتوا منه.

لم يفلت منه أبو جهل ولا أبو سفيان، ولا من كان معهم حينما كانوا يصدون عن المسجد الحرام، ويمنعون النبي والمسلمين من المسجد الحرام، وأنتم اليوم وأنتم تمنعون الآلاف من المسلمين اليمنيين والحجاج اليمنيين من الحج، أنتم لن تفلتوا من هذا خزي هذا الصدد: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾^(٢).

كما وإدخال أداء فريضة الحج، ومسألة الحج في الحسابات السياسية والمشاكل والقضايا هذه جريمة، هذا خطأ كبير، لا يجوز السكوت عنه، يفترض من كل العقلاء والشرفاء من كل فئات العالم الإسلامي أن تتقدمهم في ذلك، وأن تحتج، وإلا فهي سابقة خطيرة جداً، ويمكن أن يكون لها تداعيات كبيرة مستقبلاً في غير اليمن حتى، وأن يتعاملوا بنفس الطريقة مع شعوب أخرى كلما كان لهم مشكلة سياسية، أو مشكلة مع بلد يريدون أن يحتلوه، أو لهم أطماع فيه، أو غضبت عليه إسرائيل أو أمريكا قاموا أيضاً باتخاذ إجراءات حتى على مستوى الحج.

وللأسف الشديد هم هناك قاطعو طريق، صادون عن المسجد الحرام، والكيان الإسرائيلي هناك في ذلك الاتجاه يستهدف المسجد الأقصى! وهذه مسألة مؤلمة جداً، ونحن نقول ما كان العدوان الإسرائيلي ليجرؤ على أن

(١) سورة الحج، الآية ٢٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٤.

يدخل في خطوات خطرة جدًّا بمثل ما هو الآن لولا هذا العدوان والتحالف السعودي مع إسرائيل.

من أهمّ ما يشجّع الإسرائيلي على كلّ ما يفعل تجاه المقدّسات، وتجاه شعب فلسطين، وتجاه الأُمّة هو التحالف السعودي معه. اليوم يرى في التحالف السعودي معه عاملاً مهمًّا يطمئنّه ليفعل أشياء كثيرة ما كان ليجرؤ على فعلها فيما سبق؛ لأنّ النظام السعودي من داخل الأُمّة، يساعد الإسرائيلي على أشياء كثيرة، باعتبارات كثيرة منها: إغراق الأُمّة وإغراق هذه الشعوب في فتن وحروب كثيرة ونزاعات تحول دون أن تتفرّغ، أو أن تتّجه حتّى للدفاع عن الأقصى، وعن الشعب الفلسطيني وعن المقدّسات»^(١).

(١) سورة الذكرى السنويّة لثورة ٢١ سبتمبر.

الفصل العاشر:

الشهادة عطاء قابله الله بعطاء



إنّا في الذكرى السنويّة للشهيد؛ هذه المحطّة المهمّة التي نستذكر فيها الشهداء ونستذكر مآثرهم ونستذكر منهم ما يزيد في عزمنا وثباتنا وصدورنا لنكون أقدر في مواجهة التحدّيات والأخطار التي لا تنفكّ عامًّا إثر عام في ظلّ الواقع المؤسف لأمتنا عمومًا وفي بلدنا على وجه الخصوص.

هذه الذكرى هي أيضًا إحياء للروحية المعطاءة والصامدة للشهداء في وجدان الأمة. هي أيضًا تأكيد على مواصلة السير في درب الشهداء طريق الحرية والكرامة والعزّة والاستقلال. هي أيضًا احتفاء وتقدير لأسر الشهداء وتذكير للأمة بمسؤوليتها تجاههم.

فلهذه المناسبة كلّ هذه الأهميّة خصوصًا في ظرف كالظرف الذي نعيشه والشهادة لها دلالات واسعة. والشهداء بشهادتهم يقدّمون دلالة مهمّة تعبّر بأجلى ما يمكن أن يعبّر به عن المظلوميّة.

فالشهداء في ميدان القتال، وهم يواجهون المعتدين في المناطق والقرى من الأطفال والنساء وسائر المستضعفين، يقتلون بغير حقّ وبنالهم هذا الظلم الذي يصل إلى حدّ الاستهداف لحياتهم وهذا هو من أشدّ أنواع الظلم وأقساها حينما يعمد الأشرار والطغاة والمجرمون والمستكبرون من بني الإنسان على إزهاق أرواح الآخرين وسفك دمائهم واستباحة حياتهم والعمل على إبادتهم بغير حقّ.

وهو في الوقت نفسه أيضًا يدلُّ على مدى الإجرام والسوء والظغيان والإفلاس الأخلاقي والإنساني لدى قوى الشرِّ والإجرام التي تصل في وحشيَّتها إلى هذا المستوى من العدوانيَّة والظغيان فتستبيح حياة بني الإنسان التي جعلها الله غالية؛ هذا الإنسان الذي كَرَّمه الله وأراد له أن يعيش كريمًا عزيزًا في هذه الحياة وأن يسمو في هذه الحياة يُظلم إلى هذا المستوى فَيُسْتَهْدَف في حياته.

فجريمة قتل الشهداء بهذه الوحشيَّة والمظلوميَّة بتلك المشاهد المأساويَّة والأليمة التي تعرض على شاشة التلفاز هي لعنة على الظالمين والمجرمين الذين سَوَّدوا وجه الحياة الذين ملؤوا الحياة بؤسًا وحولوا واقع البشريَّة إلى واقع بئيس ملؤه المعاناة والإحساس بالظلم.

والشهادة بقدر ما تعبَّر عن المظلوميَّة هي أيضًا أحلى تعبير عن القيم وعن الأخلاق؛ فشهداء الموقف الحقِّ الذين يقفون في وجه الظغيان والظلم والمجرمين الذين يسعون لإقامة الحقِّ والعدل الذين يدافعون عن المستضعفين. هؤلاء الشهداء إنَّما قدَّموا حياتهم وهم منشُدون نحو الله سبحانه أوَّلًا وهم يدركون مسؤوليَّتهم تجاه الآخرين.

الشهداء إنَّما انطلقوا بقيم عظيمة وعزيرة، إنسانيَّة عالية، لديهم من المشاعر والأحاسيس الإنسانيَّة ما جعلتهم يتألَّمون حينما يرون الظلم والظغيان فلا يقفون مكتوفي الأيدي يتفرَّجون على الواقع من حولهم فيشاهدون الظلم والجريمة والاستباحة لحياة الناس كذلك الطغاة والمجرمين والظالمين والمفسدين يرتكبون أبشع الجرائم.

لا، فهم ذوو عرٍّ وإباء وشهامة وهم في الوقت نفسه لديهم حسُّ المسؤوليَّة الدينيَّة ما بينهم وبين الله بحكم اتِّمائهم إلى هذا الدين الإسلامي العظيم الذي يفرض على منتسبيه والمنتمين إليه أن يكونوا قَوَّامين بالقسط أن يكونوا عونًا للمظلومين وأن يقفوا خصومًا للظالمين وللمستكبرين.

لقد اختزن الشهداء روح العطاء والإيثار والتضحية والصمود والشجاعة والثبات كل هذه المعاني والقيم وتحركوا وهم يحملونها وعبروا من خلال مواقفهم وثباتهم وصمودهم، وفي النهاية شهادتهم عن ذلك كله، عن هذه القيم وجسدها في أرض الواقع موقفاً وعملاً وتضحياً وعطاءً لا يساويه عطاء في واقع الإنسان.

وهذه المناسبة وهذه الذكرى هي أيضاً لإحياء روح الجهاد والاستشهاد في مشاعرنا وقلوبنا وأنفسنا جميعاً كمؤمنين، والشهداء الأعرء الذين ببركة تضحياتهم، وتفانيهم في سبيل الله، وصدقهم مع الله، وعطائهم العظيم بكل شيء حتى النفس، تحقق النصر والعزة، ودفع الله عن عباده المستضعفين خطر الإبادة والاستعباد. لهؤلاء الشهداء عظيم الفضل ورفيع المكانة والحق الكبير علينا تجاههم وتجاه أسرهم، وهم مدرسة متكاملة نعرف من خلالها الإيمان وقيم الإسلام، من عزة وإباء وصمود وثبات وتضحية وصبر وبذل وعطاء وسخاء وشجاعة، ونعرف من خلالها أثر الثقة بالله سبحانه وتعالى.

إن كل أسرة قدّمت شهيداً في سبيل الله بنتت لينة في صرح الإسلام العالِي وتُنبأه العظيم، ووهبت لأمتها عزاً وكرامة.

وبهذه المناسبة العزيرة جمعنا ما تيسر من دروس السيّد حسين (رضوان الله عليه) ومن محاضرات السيّد عبد الملك (حفظه الله) بعنوان (الشهادة عطاء قابله الله بعطاء) لنعرف أهميّة ثقافة الشهادة في سبيل الله وضرورة أن تحمل الأمة هذه الثقافة العظيمة وخصوصاً هذه المرحلة.

أولاً- الصراع في واقع البشر وضرورة مواجهة قوى الشرّ

١- صراع الخير والشرّ

«المؤسف في واقع البشريّة أنّ حالة الصراع بين الخير والشرّ هي حالة واقعيّة استمرّت منذ وقت مبكر وليست حالة جديدة وإن كانت تتعاظم من حين لآخر نتيجة هيمنة قوى الشرّ والاستكبار والظلم.

يتجسّد الصراع بين الخير والشرّ في الصراع ما ينتمي للخير وما ينتمي للشرّ؛ وهذه حالة مبكرة في واقع البشر الله سبحانه وتعالى وثّقها لنا في القرآن الكريم منذ المرحلة المبكرة والأولى للوجود البشري على الأرض. هيئاً الله سبحانه للإنسان ومنحه من القابليّات والعناصر والإمكانات والقدرات ما يمكن أن يستفيد به في الحقّ والخير ويتحرّك على أساسه، وما يمكن أن يحركه في اتجاه الشرّ ولديه القابليّة لأن يتّجه اتجاه الخير أو يتّجه اتجاه الشرّ ولذلك قال الله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(١). هذا الإنسان ملهم للفجور وملهم للتقوى ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٢) يعرفهما في وجدانه وضميره، يميّز ويدرك ولديه القابليّة لأن يتّجه هذا الاتجاه أو ذاك الاتجاه.

(١) سورة الشمس، الآيتان ٦ و٧.

(٢) سورة البلد، الآية ١٠.

ثم في واقع الحياة مكنه، هيأ له ما في السموات والأرض، سخر له ما في السموات والأرض، حمّله مسؤوليّة كبيرة في واقع الحياة، قال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٢﴾﴾.

«منذ الوجود البشري الأوّل والقرآن الكريم يحكي لنا بداية هذا الصراع وبواعثه وكيف أنّ نزعة الشرّ والطغيان والفجور كانت سبباً كبيراً للمشاكل في واقع الحياة فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ أَبِي عَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾^(٢) لاحظوا هذه المشاكل بدأت منذ بداية الوجود البشري، كلّ منهما قرّب قربانه فالله سبحانه تقبّل من أحدهما ولم يتقبّل قربان الآخر لسبب من الآخر نفسه.

﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ فوراً اتجه بعدائيّة وبنزعة شرّ وحقد وحسد لمن؟ إلى أخيه ووجه له هذا التهديد وهذا الوعيد. هو لم يفعل به شيئاً ولم يعتد عليه ولم يظلمه ولم يستفزه ولم يصدر من جانبه أيّ شيء ضده لكنّه حمل تجاه أخيه وهو أخوه كلّ هذا الحقد وكلّ هذه الحالة العدائيّة الشديدة وتوجه إليه بالوعيد بالقتل.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ليست مشكلتك عندي، مشكلتك عند نفسك في خلل التقوى، أنت لست متقياً لله؛ فلذلك لم يتقبل الله منك قربانك فلست أنا مشكلتك حتّى تسعى إلى قتلي وإلى التخلص مني.

هذا الآخر الذي تقبّل الله قربانه هو من المتقين يحمل إرادة الخير ويحمل نفسيّة زكيّة سليمة ملؤها المحبة وملؤها الخير ﴿لَيْنٌ بَسَطَتْ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾^(٤). أنا لا أحمل تجاهك

(١) سورة الشمس، الآيتان ٩ و ١٠.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٢٧هـ.

(٣) سورة المائدة، الآية ٢٧.

(٤) سورة المائدة، الآية ٢٨.

إرادة الشرِّ ولا إرادة العداة ولا أريد أن أعتدي عليك ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ لآنه هكذا الإيمان الحقيقي الصادق يجعل عند الإنسان في حالة من الانضباط والتقوى فلا يحمل روح العداية تجاه الآخرين بغير حق ﴿إِنِّي أريدُ أن تَبُوأَ بِأَيْمِي وَإِيمِكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾^(١). لاحظوا في كل ما يحمله هذا من إرادة الخير وفي كل ما يقدمه من الموعدة الحسنة من التذكير لأخيه بخطورة أن يقدم على مثل هذا الفعل، هو لم يستفز فيواجه كلام أخيه بكلام قاسٍ ويقابله أيضًا بالتهديد والوعيد ويقول: كلا ما دمت وجهت إليّ هذا الكلام تفضل فيبادر إلى مهاجمته والاعتداء عليه. لا، بل قال: لا أحمل تجاهك نزعة الشرِّ ولا العداة ولا أريد أن أقتلك وأنا أخاف الله رب العالمين ومشكلتك في نفسك ليست عندي أنا وإذا أقدمت على فعل كهذا فهو خطر عليك سيضيف لك آثامًا إلى آثامك الماضية التي حالت بينك وبين أن يتقبل الله منك قربانك، آثامًا إضافية، آثام قتلي والاعتداء عليّ كجرم كبير خطير عاقبته النار.

لاحظوا موعدة مهمةً بليغةً تبَّهه على خطورة هذا الفعل أنه ظلم جزاؤه جهنم وعقاب الله سبحانه وتعالى فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)

مع كل ما يتسم به أخوه ويتَّصف به من إرادة الخير من طيب الكلام من نصح القول من التعامل الإيجابي من هذه الروحية الإيجابية لم ينفع ذلك فيه وما قدَّمه إليه من التذكير والتحذير من عاقبة ما يمكن ما سيرتب على جريمته إن هو قتله مع كل ذلك سهلت ويسرت وهونت له نفسه الإقدام على هذه الجريمة فقتله فأصبح من الخاسرين»^(٣).

(١) سورة المائدة، الآية ٢٩.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٠.

(٣) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٧هـ.

«وهكذا استمرّ هذا المسار في واقع البشر؛ لأنّ في واقع البشر من يحملون هكذا نزعة عدائيّة، كلّ هذا الشرّ وكلّ هذا الحقد وكلّ هذه الأنانية وكلّ هذا الاستهتار بالإقدام على جريمة كهذه الجريمة على استهداف حياة الناس والاستهتار بحياة الناس واللامبالاة تجاه ما يفعلون وما يقدمون عليه مهما كان بشعاً وإجرامياً ومن دون حقّ أو مبرر ولذلك قال الله سبحانه وتعالى عقب ذلك مباشرة ﴿مَنْ أَجَلٍ ذَلِكُمْ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١) يعني ليست مسألة سهلة.

بنو إسرائيل كانوا نموذجاً من النماذج البشريّة الكثيرة في حالة الإجمام والاستهتار بحياة الناس، الاستبساط في قتل الناس وسفك دماهم وإزهاق أرواحهم فوجّه الله لهم هذا التحذير وغلظ عليهم هذه الجريمة فجعلها بهذا المستوى ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ تصحح جريمته بهذا المستوى وكأنّه قتل البشريّة جميعاً وتصوروا عندما ننظر إلى قاتل إلى أنّه مثلاً قتل ألف شخص بغير حقّ أو أكثر من ذلك من النساء والأطفال كيف ستكون نظرنا إليه؟ إنّ غايه في الإجمام والحقد والتوحّش والتجرّد من الإنسانيّة ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ الناس جميعاً مع إضافة (ال) التعريف للناس لبيان التعميم.

ولهذا، نلاحظ في توجيهات الله سبحانه وتعالى في هديه وكتبه ورسله وأنبيائه سعي كبير في تذكير الإنسان وترشيده ليدرك خطورة جريمة القتل والاستهتار بحياة الناس والتعدّي عليهم وسوء ذلك وما يترتّب على ذلك وآثار ذلك في واقع الحياة ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ جعلت مساعي الحفاظ على حياة الناس بشكل صحيح بحقّ، لها هذا الفضل والأجر وهذا القدر والمستوى من القيمة.

(١) سورة المائدة، الآية ٣٢.



﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْمِثْنِ ثُمَّ إِنَّا كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمْسْرِفُونَ﴾^(١) لم ينفع ذلك في بني إسرائيل. فمع الجهد الكبير من تغليظ الجريمة، من التنبيه على خطورتها، من الوعيد عليها بالنار وبعباد الله وبسخطه ومقته لم ينفع ذلك في كثير من البشر من لا ينفع معهم أن تتعاطى بإيجابية ابن آدم الذي واجه وعيد أخيه وتهديده وقسوته بطيب الكلام بالإيجابية التامة باللطف من القول بالنصح والتذكير، ومن لا ينفع معهم الوعيد الإلهي بجهنم حتى وبالنار والعذاب العظيم ومن لا ينفع معهم تغليظ الجريمة وتقييحها فكأنما قتل الناس جميعًا. من لا ينفع معهم كل ذلك لا عظة ولا موعظة ولا أن تتعاطى بإيجابية أو أن تتودد إليه وتكون على أرقى مستوى من الإنصاف والتفاهم، من لا ينفع معهم كل ذلك مهما كنت إيجابيًا، مهما كنت منصفًا، مهما كنت وديًا، مهما كنت طيبًا، مهما كنت محسنًا، مهما كنت ناصحًا، مهما كنت عادلاً إنما يزداد قسوة وجراً على استهدافك^(٢).

٢- مواجهة من يحملون الشرّ والحقد والإجرام

لا يمكن مواجهة من يحملون الشرّ والحقد والإجرام والتوحش إلا بلغة التصدي والمواجهة، ولذلك شرع الله الجهاد في سبيله، يقول السيد عبد الملك (حفظه الله): «ولذلك بعد ذلك مباشرة ماذا يقول الله سبحانه وتعالى؟ ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) تقول له: يا أخي أنا شريكك في الإنسانيّة وأنا أخوك في الإسلام تعال لتفاهم، لتحاوّر لنحلّ أيّة مشاكل بيننا بالحوار والتفاهم على أساس من العدل والإنصاف يجب

(١) سورة المائدة، الآية ٣٢.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٧هـ.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣٣.

عليك بأفتك أنواع الأسلحة ليقتل قدر ما استطاع من أطفال ونساء وكبار وصغار أيّ وحشيّة هذه أيّ إجرام؟! هذه النزعة الشريرة، هذا الحقد الفظيع، هذا الإجرام والتوحّش لا يمكن أبداً في واقع البشر أن يواجه إلاّ بهذه اللغة لغة التصديّ، لغة المواجهة هي التي يمكن أن تحدّ منه، هي التي يمكن أن تقي البشريّة منه قدر الإمكان إلى حدّ كبير إلى حدّ بعيد وإلاّ هناك من لو يتاح له أن يقتل بدون أن يؤاخذ بدون أن يمنع بدون أن يحال بينه وبين ذلك لقتل يومياً بدون تردّد ولقتل بدون حدود طول حياته لبقى يقتل الناس بكلّ استهتار ولا مبالاة لبقى يدوس على حياة الناس ويرتكب بحقهم أبشع الجرائم دون مبالاة هذا هو الواقع الذي تعيشه البشريّة هي الحالة الواقعيّة.

ولذلك شرّع الله سبحانه وتعالى الجهاد في سبيله وهو الغنيّ، الجهاد في سبيل الله ليس معناه حالة دفاع عن الله أنّ هناك من يشكّل خطورة على الله فيطلب الله من عباده أن يدافعوا عنه أو أنّ هناك من يشكّل خطورة على ملك الله أو على سلطانه، الله ليس مستضعفاً وليس بحاجة من أحد أن يدافع عنه، هو المحيي والمميت وهو الخالق وهو المبدئ وهو المعيد وهو القاهر فوق العباد وحياة البشر بيده وتحت سلطانه وقهره حينما يقول هنا ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ماذا يعني؟

نرى في هذا دلالة عجيبة وعظيمة على عظيم قداسة دين الله وعلى مدى العناية الكبيرة بالبشر في الدين الإسلامي ومكانتهم فيه. إنّ الله يجعل العدوان على عباده، الظلم لهم، التعديّ عليهم، التخريب لحياتهم، يجعل الله الحرب معه هو؛ ليعبّر بذلك عن مكانة عباده لديه. نحن نقول مثلاً في حواراتنا من كان لديه مكانة عزيزة عندي فأقول من حاربك فهو يحاربي، من اعتدى عليك فهو يعمل ضديّ، بهذه المكانة الكبيرة للبشر عند ربهم يعبّر لمن كان نزعة الشرّ تجاههم من حقد وكبر وتجبّر واستهتار بحياة الناس يعتقدون يتجاوزون الحرمات والحقوق يفسدون، يقتلون، يبطشون، يتجبرون؛ هذه الحالة يصفها الله سبحانه وتعالى بأنّها حرب معه ثمّ يحرك الأُمَّة لمواجهتها ويعد من يتحرّك هذا التحرك بالنصر، ولذلك عبّ ذلك مباشرة ﴿يَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَابْتَعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ جاهدوا من؟ جاهدوا أولئك الأشرار الذين إن تركتموهم لن يتركوكم، إن سكتم عنهم لن يسكتوا عنكم، الذين هم معتدون حتى لو لم تتكلموا معهم، حتى لو لم تشكلوا عليهم أي خطورة، حتى لو لم يصدر منكم تجاههم أي شر، أي خطر، أي ضرر لن يتركوكم، هم خطر على الناس على حياتهم على أمنهم على استقرارهم، هم يسعون دائمًا إلى استعباد الناس والتحكّم فيهم. ثم ليس للإنسان في حياته ولا في ممتلكاته ولا في وجوده أي قيمة لديهم، بكل بساطة يستهدف لك قرية أهلة بالسكان فيعمل على إبادة كل سكانها ولا يبالي، المسألة لديه طبيعياً كما تشرب أنت شربة ماء، أي حقد؟! أي إجرام؟! أي طغيان؟! ولذلك تأتي هذه اللهجة القويّة والشديدة في القرآن للتصدّي لكل الأشرار والطغاة والفاستدين وهذه النزعة التي هي نزعة الشرّ والعدوان والإجرام لدى فريق من البشر على مرّ التاريخ»^(١).

«ولاحظوا عندما نجد في القرآن الكريم والتاريخ ما يحكيه الله عن معاناة الأنبياء الذين هم أرقى الناس أخلاقاً وأعظم الناس إيماناً وكرامة وحرصاً على مصلحة البشريّة؛ هم أركى الناس وأهداهم يجسّدون الكمال الإنساني والقيم الفطريّة والإلهيّة في واقع الحياة، ومع كلّ عظمتهم وكرامتهم وما يتّصفون به من الخير والهدى كان لهم أعداء وكثير منهم قُتل؛ فعاب الله سبحانه على بني إسرائيل ما فعلوه في أنبيائهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٢)، وفي آية أخرى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾^(٤) كثير من الأنبياء قُتلوا، لم يتحاشوا عن ذلك فما بالك بقتل أي شخص آخر؟

(١) سورة المائدة، الآية ٣٥.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٣٧هـ.

(٣) سورة البقرة، الآية ٦١.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١١٢.

الآن لو نهض محمد بن عبد الله رسول الله وخاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله إلى الحياة مجددًا وأتى إلى واقعنا في العالم الإسلامي والله لتحرك الكثير ممن ينتمون إلى الإسلام لقتاله خدمة لمصالح أعدائهم وفيما يرونه مصلحة وهمية وزائفة لهم؛ لأنه بالتأكيد في منهج الحق وفي الدعوة إلى العدل والسعي لإقامة الحق والخير سيرونه معارضًا لمصالحهم ومساغيهم لاستعباد الناس»^(١).

«يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾^(١)، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾^(٢) هكذا هو واقع الحياة صراع بين المنتمين إلى الخير وبين المنتمين للشرك؛ صراع حتى الأنبياء لم يسلموا كانوا في صراع في مشاكل كان لهم أعداء والكثير من الأنبياء استشهدوا وهم في عداد الشهداء.

يقول أيضًا عن بني إسرائيل: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾^(٤)، وعن قوى الكفر والشرك والنفاق والطغيان ممن تفرغوا من القيم الإنسانية والفطرية: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً﴾^(٥) لا يراعون لا عهود ولا موثيق ولا قرابات ولا أي اعتبار أبدًا ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾^(٦). يعني لديهم النزعة العدوانية. إذا كنت في واقع يسهل عليه أن يعتدي عليك، يرى أمامه فرصة أو أملاً في قهرك والتغلب عليك لن يتردد وسيبادر بالعدوان»^(٧).

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٢٧هـ.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٣١.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١١٢.

(٤) سورة المائدة، الآية ٦٢.

(٥) سورة التوبة، الآية ١٠.

(٦) سورة التوبة، الآية ١٠.

(٧) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٢٧هـ.

«ولذلك كان الحلّ لواقع المؤمنين والمستضعفين والأحرار أن يسعوا لأن يكونوا قوّة في مواجهة هذا التحدّي. فوجود الأشرار والطغاة والمفسدين والمستكبرين ومَن لديهم نزعة عداويّة وشريرة في استعباد الناس بغير حقّ وقهرهم وإذلالهم والاستهتار بحياتهم، وجود من لا يمتلكون الرشد في الحياة وخصوصًا حينما يمتلكون القوّة والإمكانات بدون رشد يمثّل خطورة وتحدّيًا يستدعي أن يكون في مقابل هذا التحدّي قوّة وتحركٌ تقف بوجهه هذا التحدّي.

ولذلك نجد من عجيب الحال أنّ قوى الشرّ والطغيان على المستوى العالمي تأتي اليوم إلى أمريكا مثلًا وإسرائيل يحاولون أن تنحصر فيهم القدرات والإمكانات العسكريّة وأن يسلبوا المستضعفين كلّ مقوّمات وقدرات الدفاع عن النفس، والحياة، والحرية، والكرامة، والاستقلال؛ فيسعون لاضطهاد كلّ الشعوب وخصوصًا حينما يشاهدونها تنشُد الحرية والاستقلال والعزّة والكرامة، هذه مشكلة لديهم لا يمكن السكوت عليها. إذا كنت تريد أن تكون حرًّا عندهم كارثة وأمر غير مقبول بتأناً فتعتبر حينئذ متمرّدًا ويمكن أن يسوّقوا الكثير من الصفات والتبريرات لاستهدافك. يحاولون أن يكونوا هم وحدهم من يمتلك القدرات التي يتمكّنون بها من الهيمنة والاستبداد والظلم والقهر والطغيان؛ وحينئذٍ يفعلون بالمستضعفين ما يشاؤون دون أن يجعل المستضعفون من أنفسهم قوّة مقتدرة تدافع عن النفس والحرية والاستقلال والكرامة.

والمشكلة عجيبة جدًّا؛ لأنّهم هم قوى الشرّ والطغيان والإجرام التي من الخطر أن تمتلك هي قدرات كبيرة تضرّ بالناس وتؤذي البشريّة وتسبّب في واقع البشر المشاكل الكثيرة فتسلبها أمنها واستقرارها هذا ما هو حاصل اليوم»^(١).

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٣٧هـ.

«هؤلاء الذين لا رشد عندهم ولديهم نزعة الشرّ والعدوان والطغيان، يدهم الآن الإمكانيات والمقدّرات نتيجة حكاية طويلة من التقصير والتفريط عبر التاريخ أوصل الواقع إلى ما وصل إليه فنرى اليوم كم جلبوا بتلك الإمكانيات والقدرات الشرّ والويلات والمعاناة الكبيرة في واقع البشريّة! هل أمريكا، ومعها الإمكانيات والهيمنة والنفوذ ومن معها على المستوى العالمي والإقليمي وصولاً إلى النظام السعودي، كان فيهم خيراً في نتاج نفوذهم وإمكاناتهم وهيمنتهم وقدراتهم وسلامة للبشريّة واستقرار في الواقع العالمي، أم أنّهم جلبوا الشرّ والويلات والمصائب والنكد والنكبات إلى واقع البشريّة بشكل كبير؟

حينما نشاهد على الدواء مثلاً توجيهه أو تنبيهه على أن يوضع الدواء بعيداً عن متناول الأطفال. دواء علاج من الأمراض، مسكن من الآلام، يكتب عليه أن يوضع بعيداً عن متناول الأطفال، لماذا؟ لأنّ الأطفال لا يزالون ناقصي الرشد، أمّا حينما تجد أولئك الذين لا رشد لديهم ولا حكمة ولا إنسانيّة ولا ضمير يمثلون، بما لديهم من إمكانيات وقدرات كبيرة توظّف بالشرّ والسوء على البشريّة، نكبة ومعاناة للإنسانيّة. هذه فعلاً مشكلة كبيرة يقول الله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾^(١)؛ ما مكنكم الله في الحياة فيه من إمكانيات وأموال وثروات هو لخيركم ولمصلحتكم ولاحتياجاتكم، لتبنوا بها حضارة تلبّي حاجة الإنسانيّة وتسعدها بها. فهل قدّم هؤلاء السفهاء الذين لا رشد لديهم أنفسهم على أنّهم قادة العالم والبشريّة والمتحكّمون في الواقع البشري على هذا النحو؟ بل ماذا نتج عنهم؟ ماذا الذي يحصل؟ كلّ الذي نراه ونشاهده قد ملأ العالم ظلماً وجوراً وطغياناً»^(٢).

(١) سورة النساء، الآية ٥.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٢٧هـ.

٣- صدق الانتماء للمشروع القرآني من عناوين التحرك الواجب

عندما يتحرك الإنسان في سبيل الله كمؤمن، أول عنوان لتحركه هو الصدق مع الله ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(١). أن يكون صادقًا مع الله هذا يعني أن يكون صادقًا في انتمائه لهذا الدين، صادقًا في انتمائه للقرآن الكريم، صادقًا في استجابته لله سبحانه وتعالى، صادقًا في الموقف، وبهذا هم رجال عطاء ورجال مواقف. الإنسان عندما يتحرك بهذه الروحية يكون في مستوى المسؤولية ويبقى ثابتًا على مبدئه، ثابتًا على موقفه، ثابتًا على عطائه وبذله، لا يتغير ولا يختلف ولا يبدل ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٢)، ويلقى الله بهذه الروحية: صادقًا، ثابتًا على مبدئه وعلى موقفه بإيمانه مُصْحِيًا، بادلًا، مُقَدِّمًا.

لذا كان عنوان الصدق في الانتماء لهذا الدين تحت عنوان الصدق مع الله سبحانه وتعالى الذي يفرض على الإنسان أن يكون في واقعه ناصرًا لهذا الدين، وعاملًا على إقامة هذا الدين، ومواجهًا لأعداء هذا الدين، وأن يعمل على الحفاظ على قيم هذا الدين وأخلاق هذا الدين.

يتحركون أيضًا بمكارم الأخلاق، بنفوس زكية وروحية عالية، فهذا المستوى من الاستعداد للبذل والتضحية وللإيثار ورائه الكثير من القيم الإيمانية، فهم ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾^(٣) (٤).

«ما يهيب الإنسان أن يكون على هذا المستوى من البذل والتضحية والعطاء، وأن يكون مستعدًا للرحيل من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى، إلى لقاء الله سبحانه وتعالى، ومستشعرًا قرب لقاء الله في كل وقت هو الكثير

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ١١٢.

(٤) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢ هـ.

من القيم: زكاء في النفس، طهارة في القلب، استقامة في السلوك، أمل في الله، رجاء فيما عند الله، رغبة فيما عند الله، تطلع إلى ما عند الله، وتحرر من توجه النفس بشهوات هذه الحياة ورغباتها، وإيثار لما عند الله فوق كل ذلك، وهذه القيم والتي منها أيضاً: الإياء والشجاعة، والشهامة، والمعروف.

هذه القيم العظيمة يجب أن نتذكرها، وأن نعرف أنها هيأت الشهداء لأن يكونوا على ذلك المستوى من العطاء والبذل والتضحية؛ فاختارهم الله ومنحهم هذا الوسام العظيم، وسام الشرف الكبير، وبتضحياتهم وبتفانيهم وباستبسالهم وبصمودهم وبصبرهم تحقّق لأمتنا ما تحقّق من نصر وعرّة وقوّة، وتغيّرت المعادلة من مجتمع مؤمن يكون خائفاً إلى أن يكون هناك من جانب الأعداء خوف منه، يحسبون لهذا المجتمع ألف حساب؛ لأنّ فيه هكذا رجال، رجال حاضرون للشهادة، رجال مواقف، رجال صامدون، ثابتون، رجال شجاعة، شجاعة الإيمان، وعرّة الإيمان، وثبات الإيمان^(١).

«ولو فقد مجتمعنا هذه النوعيّة من الرجال الذين لديهم الاستعداد أن يبذلوا أنفسهم، وأن يواجهوا العدوّ مهما كان جبروته، مهما كانت قوّته، مهما كانت إمكانيّاته، لديهم الاستعداد أن يقدّموا أنفسهم في سبيل الله، لو لم يكن في مجتمعنا هذه النوعيّة من الرجال لكان مجتمعاً هيئاً وذليلاً ومستعبداً، ولتضاعفت وتنامت وتزايدت حالة الاستعباد، وحالة الإذلال، وحالة الهيمنة والسيطرة، ولاستحكم الشرّ من جانب الأعداء بظلمهم، بجبروتهم، بخسّتهم، بلؤمهم، بخبثهم، بإجرامهم، بحقدهم، بالنزعة العدوانيّة التي يعيشونها؛ لأنّهم عادة - وهذا هو ما قدّمه القرآن الكريم عن الأشرار - ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾^(٢) معتدون يعيشون النزعة العدوانيّة، يرغبون في العدوان، ويسارعون فيه، ويبادرون

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٣٢هـ.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠.

إليه، ويجعلون منه ومن الظلم والطغيان والاستعباد والتسلط وسيلة للتحكم بالناس، وسيلة للتغلب والسيطرة عليهم.

فلذلك يجب أن نعرف جميعاً أنّ هذه النوعية من الرجال، من الشهداء، ومن الحاضرين والجاهزين والقائمين الذين هم في كل لحظة، في كل وقت على استعداد تامّ أن يقدموا أنفسهم ليلحقوا بركب وبقافلة الشهداء. هذه النوعية من الرجال هي دُخر للأمة، وهي عزّ للمستضعفين، وبها يدفع الله عن عباده المستضعفين استعباد الطغاة، وهيمنتهم، والكثير من الظلم والهوان والإذلال، فيجب أن ننظر إليهم هذه النظرة: فهم الصادقون، وهم الثابتون، وهم المدافعون عن المستضعفين، وهم السلاح القويّ في مواجهة الأعداء، والذخر للأمة، وهذا ما يجب أن نعرفه عنهم، وأن تكون نظرتنا إليهم من خلال هذا الشيء، ثم نعرف أنّ علينا مسؤولية تجاه الشهداء وتجاه أسرهم^(١).

«الشهداء قد وفَّقهم الله وتقبَّلهم الله عنده، تقبَّلهم وجعل من تضحياتهم سبباً للنصر وسبباً للعزة، وسبباً لقوّة المستضعفين وتحزّره من هيمنة الطغاة، فتلك التضحيات أثمرت نصراً وعزّاً وقوّة، وهذا هو جزاء من تقبَّل الله تضحياته؛ أن يجعل لها ثمرة في الدنيا قبل الآخرة، لأنّ الشهادة عطاء يقابل عطاء، عطاء من شهيد بذل نفسه وقدم حياته في سبيل الله، وعطاء من الله العظيم الكريم يقابل ذلك العطاء، هذا العطاء من الله أن يجعل للشهادة أثراً عظيماً في واقع الحياة هنا في الدنيا، أثراً فيما كان الشهيد يسعى لتحقيقه من أهداف عظيمة في نصرة المستضعفين، في دفع الظلم، في مواجهة الظالمين والمستكبرين.

فالله سبحانه وتعالى يقابل عطاء الشهيد بعطاء عظيم، عاجل هنا وهناك وآجل في الآخرة، عاجل هنا في واقع الحياة، في واقع أمته، فعطاؤه وتضحياته واستبساله، وما قدّمه في سبيل الله يثمر نصراً، ويبنى أمة قويّة عزيزة، ويهب للأمة عزّة ورفعة ومكانة وقوّة، فيهاؤها الأعداء ويحسبون لها ألف

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢هـ.

حساب، وأثرًا له هناك عند الله فيما صار إليه، فيما تحقق لنفسه، فهو لم يخسر مع الله أبدًا، وهذه الحياة التي بذلها والتي قدّمها في سبيل الله أبده الله عنها حياة هي خير منها عند الله؛ ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾^(١) لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات، لا يكون لديكم هذه النظرة الخاطئة تجاه الشهداء فتقولون مثل هذا الكلام، تعتبرونهم أنّهم أموات وأنهم ساروا إلى الفناء وانتهى كل شيء بالنسبة لهم. لا، المسألة ليست كذلك، فلا تعتبروهم كذلك أمواتًا ولا تقولوا كذلك؛ لأنّ هناك حالة مختلفة بالنسبة لهم، رحيلهم ليس رحيلًا إلى الموت والفناء إلى يوم القيامة، لهم امتياز خاص، لهم وضع خاص بهم، تكريمًا من الله لهم، وهو يدلّ على عظيم مكانتهم، على رفيع منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى؛ ﴿بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ وهبهم الله حياة خيرًا من هذه الحياة، وفي مقرّ خير لهم من الدنيا وما فيها. لا يشعر الإنسان بحياتهم، أين وكيف؟ لكن الله أكّد هذا ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٢)، ومن أحسن من الله حديثًا»^(٣).

«يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا﴾^(٤) لا تكن النظرة إلى الشهداء على أنّ حياتهم انتهت ولم يعودوا موجودين، لا، هم موجودون وهم أحياء، المسألة أنّهم انتقلوا من حياتنا هذه، من دارنا هذه، من هذه الدنيا إلى حياة أخرى هي أسعد، وإلى مقام هو أعظم.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾^(٥) وكلمة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ تعني الشيء الكثير، الشيء العظيم،

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٤.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٧.

(٣) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢هـ.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

تعني: أنهم في ضيافة الله، يُكرم الله نُزلهم، وضيوف الله سيحظون من الكرامة بما لا يساويه شيء، لا يرتقي إلى مستواه شيء، هل هناك من هو أكرم من الله؟ هل هناك من هو أغنى من الله؟

إنَّ الله غنيٌّ مقتدر كريم، ولديه ما يقدِّم لهم من عطائه، من فضله، من مَنه، من نعمه الشيء العظيم، بقدر منزلتهم عند الله وأكثر زيادة من فضله، وزيادة من نعمه، لهم الحسنَى وزيادة، فالله سبحانه وتعالى عندما يقول: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي في ضيافة الله سبحانه وتعالى، هذا هو الشرف الكبير، هذا هو الفضل العظيم ﴿لِيُثَلِّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^(١) هل هناك من خسارة؟ هل هناك من نقص؟ هل أنهم فقدوا كلَّ شيء وانتهى بالنسبة لهم؟ كلا؛ ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ هم في ضيافة الله، يمنحهم الله من نعمه ومن عطائه ومن رزقه ما يجعلهم في سعادة، وهم في حالة نفسيَّة مختلفة عمَّا نحن عليه هنا.

نحن في واقعنا، في حياتنا هذه، تعترضنا الآفات والهموم والمحن والآلام والمنعصتات، وإن عرض للإنسان سرورٌ أو راحةٌ أو فرحٌ فهي حالات مؤقتة تنتهي، كلُّ فرح يعقبه حُزن، مشاكل الحياة، تغيُّرات الحياة، هموم الحياة لا تفارق الإنسان، ويكون السرور والراحة، راحة النفس وراحة البال والفرح والاستبشار حالات عارضة تزول كلَّ وقت ثم تعود لتزول وهكذا في حالة تقلُّب وتغيُّر، هذا هو شأن حياتنا»^(٢).

(١) سورة الصافات، الآية ٦١.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويَّة للشهيد ١٤٣٢ هـ.

ثانياً- طريق الشهادة

لقد أراد الله لعباده الكرامة والعزة والحرية وألا يكونوا عبيداً إلا له لأنه خالقهم وربهم الحقيقي؛ «هنا في مواجهة واقع كهذا يأتي التوجيه الإلهي بالجهاد في سبيل الله والله غني. الجهاد في سبيل الله ليس معناه دفاع عن الله إنما قتال وتحرك عام في مواجهة أولئك الذين يمثلون شراً على الحياة وعلى البشرية وعلى الناس المعتدين المفسدين الأشرار الطغاة لمواجهة شرهم وطغيانهم ووفق الطريقة التي رسمها الله سبحانه وتعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١). الله لا يقبل بالعدوان بغير حق على أحد مهما كان ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٢)؛ ﴿فَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٣)، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾^(٤).

هكذا يأتي الأمر من الله سبحانه وتعالى للمستضعفين أن اجعلوا من أنفسكم قوة تواجه هذا التحدي والشر، تواجه العدوان، تتصدى للظالمين

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٤.

(٤) سورة النساء، الآية ٧٥.

والجائرين والمستكبرين، لا تقفوا مكتوفي الأيدي ليقتلوكم، ليدلوكم، ليقهروكم، ليتكبروا عليكم، ويستبيحوا حياتكم، لا تستسلموا لهم ولا تهنوا ولا تخضعوا ولا تسمحوا باستعبادكم؛ لأنَّ الله أراد لكم الكرامة والعزة والحرية، أراد لكم ألا تكونوا عبيداً إلا له لأنَّه خالقكم؛ هو ربكم الحقيقي فلا تقبلوا بأحد آخر أن يجعل من نفسه رباً لكم وهو عبدٌ حقيرٌ سيئٌ شريئٌ حتى لو استعبدكم؛ إنما يستعبدكم بالطغيان والقهر والإذلال والظلم. هكذا تأتي التوجيهات الإلهية.

ثم ليس على المستضعفين أيّ لائمة حينما يقاتلون الأشرار ويتصدون للطغاة والمجرمين، حينما يقفون في وجه المعتدين والجائرين والمستكبرين ليس عليهم لائمة، بل لهم في ذلك الشرف والمجد والعزة، هذه هي الكرامة بذاتها؛ ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾^(١)؛ أي المظلوم الذي اعتدى عليه بغير حق فتحرك منتصراً مواجهاً من ظلمه واعتدى وبغى وتكبر وتجبر عليه»^(٢).

ومن الـ«معلوم أنَّ خطَّ وطريق الشهادة سار على دربه الكثير من الأنبياء، ومن أولياء الله الصالحين. فلو لم يكن هناك إلا مرافقتهم والعيش معهم، كان ذلك وحده تشریف عظيم، وهذا ما تحقّق للشهداء بفضل الله سبحانه وتعالى، وهنا نعرف كيف هي الشهادة وأنها كرامة، وهي منحة إلهية عظيمة وعزٌّ أبديٌّ خالد يعيше الإنسان ويهبه الله له ويحقّق له من خلالها الشيء الكثير الكثير»^(٣).

«وعندما نتحدّث عن الشهادة في سبيل الله وعن الشهداء فإنّ لإحياء روح الجهاد والاستشهاد في نفوسنا كأمة مؤمنة وكمجتمع مؤمن أهميته الكبيرة

(١) سورة الشورى، الآية ٤١.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٧هـ.

(٣) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢هـ.

وخاصة في هذا العصر، فالأعداء في هذا العصر يستخدمون سلاحين من خلالهما يهيمنون على المجتمع، ويتغلبون على الناس، ويستعبدون عباد الله:

السلاح الأول: هو سلاح الخوف، التخويف والرهبة، فهم يعملون على إثارة الخوف في نفوس الناس بكل الوسائل، والأساليب ليتهيأ لهم من خلال ذلك السيطرة على الناس، والتحكّم بهم في توجّههم وفرض ما يريدونه، وباختصار: ليتهيأ لهم استعبادهم من دون الله والتحكّم في كلّ شؤونهم.

والسلاح الآخر: هو سلاح الترغيب، وإثارة الأطماع، وشراء المواقف والذمم.

السلاح الأول هو السلاح الأعمّ الذي يستخدمونه على نحو واسع، فما وسائلهم وما بطشهم، وسائل كيدهم وبطشهم وجبروتهم، ما يعملونه بالناس من قتل وسجن وتدمير وشنّ الحروب تلو الحروب، والعمل بكلّ الوسائل على زرع حالة اليأس والإحباط والذلّ، وحتّى الترويج لثقافة الإذلال والشعور بالذلة وانعدام الأمل والثقة بالله سبحانه وتعالى، والعمل عبر المُرجفين، وعبر وسائل الإعلام، وعبر كلّ الوسائل على تضخيم حالة الخوف منهم، وعلى أن يعمّقوا في نفوس الناس وفي مشاعرهم الرهبة منهم بما يهيئهم للاستسلام والانقياد والطاعة والخضوع والخنوع والذلّ، كلّ هذه الوسائل والأساليب يجعلون منها سلاحًا.

لكنّ ثقافة الجهاد والاستشهاد، وثقافة الشهادة في سبيل الله، وبناء أمة مؤمنة تُحبّ الشهادة في سبيل الله، بل وتتمنّاها وتتشرّف بها، وتكون بالنسبة لها أملاً، وعاقبة حسنة تأملها وترجوها من الله؛ يبطل هذا الكيد كلّهُ، ويسقط هذا الرهان، ويفشل هذا الخيار، ويحبط هذه المؤامرة، ويجعل من هذا الأسلوب أسلوباً فاشلاً، ومن هذا السلاح سلاحاً ضعيفاً وبائراً، لا يحقّق أثره ولا يهيئ لهم ما أرادوه منه»^(١).

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢هـ.

«إنَّ من يتأمل واقع أُمَّتنا الإسلاميَّة، واقع شعوب أُمَّتنا الإسلاميَّة فإنَّ أكثر ما أذلَّها وما أهانها وما هيَّأها لأن تكون تحت هيمنة الأعداء وخاضعة لهم ومستسلمة لإرادتهم، أغلب وأكثر وأهمَّ عامل أثر هذا التأثير هو فعلاً حالة الخوف التي تبعث على الاستسلام، واليأس والقنوط من رحمة الله ونصره، واليأس من أن يتدخَّل الله لصالح عباده المستضعفين، وهذه الحالة العامَّة في مجتمعنا الإسلامي لها هذا الدواء.

إنَّ بإمكان مجتمعاتنا الإسلاميَّة ومن خلال التثقف بثقافة القرآن الكريم، ومن خلال التربية الإيمانيَّة، أن تصبح أُمَّة لا تخاف إلا الله. أُمَّة تعتبر القتل في سبيل الله شهادة، وتعتبر الشهادة كرامة، وعزةً وخيراً وفضلاً وأجرًا عظيمًا وشرفًا كبيرًا، هذا ما يخشاه الأعداء؛ ولهذا يغيَّبون عن أُمَّتنا الإسلاميَّة - سواءً في وسائل الإعلام أو المدارس أو الجامعات أو عبر الخطاب الديني في المساجد وغيرها - هذا الجانب بشكل كبير؛ لأنهم لا يريدون لأُمَّتنا أن تكون على هذا النحو، أُمَّة تحطم قيود هذه المؤامرة، تكسر أغلال الخوف الذي يكبلها ويجعلها مستسلمة وخائفة وخاضعة.

يجب أن نذكر أنفسنا وأمتنا من حولنا بأهميَّة هذه الثقافة، بحاجة أُمَّتنا إلى ذلك، ثقافة الجهاد والاستشهاد، وأن تكون النظرة إلى الشهادة في سبيل الله هي النظرة الحقيقيَّة، النظرة التي قدَّماها القرآن الكريم، وبذلك لا يبقى هناك شيء يخيف الأُمَّة، لا يبقى هناك بيد العدو وسيلة للهيمنة على المجتمع، وعلى الناس، لإذلال الناس؛ لأنَّه فقد وسيلة من أهمِّ وسائل السيطرة والتحكُّم وهي: سلاح التخويف.

الذي يُحبُّ الشهادة في سبيل الله، ويرغب بها، وتكون الشهادة في سبيل الله بالنسبة له أمنيَّة يتمتَّى أن تكون هي عاقبته، وختام حياته، أي شيء يمكن أن يخيفه من وسائل جبروت الأعداء، من وسائل الخوف، هل يبقى بأيديهم شيء يخيفونه به؟ كلا.

وإذا تجاوزت أمتنا هذه الحالة، حالة الخوف، حالة الرعب، وفشلت أمامها كل محاولات الأعداء، كل الوسائل، كل الأساليب التي تزرع هذه الحالة فإن أمتنا ستتحرر حتماً من هيمنة الأعداء»^(١).

«في واقعنا كأمة مجاهدة، ومجتمع مجاهد قدّم الشهداء في سبيل الله، المئات من الشهداء، نجد أنفسنا في حالة توافق وانسجام مع القرآن الكريم، مع حقيقة الإسلام، مع حقيقة الدين، مع ما كان عليه الرسول ﷺ، وهذا يعتبر شرفاً وفضلاً كبيرين، ويبعث على الاطمئنان والسعادة والسرور، عندما نجد أنفسنا في الطريق نفسها، في المسار نفسه، مسار الإسلام، الطريق نفسها التي كان عليها الرسول ﷺ؛ لأنّ من يريدون إسلاماً ودينًا لا يكون فيه جهاد، لا يكون فيه شهادة، لا يُقدّم فيه شهداء، لا يكون فيه تضحيات، لا يكون فيه مواقف، لا يكون فيه مسؤوليّة، لا يكون فيه بذل وعطاء لن يجده، سوف يكونون بعيدين عن القرآن الكريم لو رجعوا إليه، بعيدين عمّا كان عليه الرسول ﷺ في حركته الجهاديّة طوال بعثته، وحركته وهو يبلغ رسالة الله ويقيم دين الله، سيجدون أنفسهم بعيدين عمّا كان عليه لو رجعوا إلى سيرته.

لكن في واقعنا نحن اليوم وما نحن عليه نجد أنفسنا متوافقين مع القرآن الكريم، ومع الرسول العظيم ﷺ وهذا يزيدنا اطمئناناً، وثقة بما نحن عليه من الحق، يزيدنا تصميمًا؛ لأنّ المهمّ بالنسبة للإنسان المؤمن، أن يكون على الحقّ وتمسكًا به، وأن يكون على الصراط المستقيم؛ ولذلك لا نجد أنفسنا نعيش حالة غرابة عندما نرجع إلى القرآن الكريم ونقرأ آيات الله عن الجهاد في سبيله، وعن الشهداء، وعن التضحية، وعن البذل في سبيل الله سبحانه وتعالى، وهذا ما يفقده الآخرون المتخاذلون والمتثاقلون والمتثبّطون الذين يحرصون على ألاّ يبذلوا شيئًا في سبيل الله؛ بل يرون ما قد يقدمونه في

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢هـ.

سبيل الله أنه مرغماً وأنه خسارة، ويرون التضحية في سبيل الله خسارة، هؤلاء يفقدون هذه الحالة التي فيها انسجام مع القرآن الكريم»^(١).

«عندما نتحدث عن الشهداء، فإنَّ بداية حديثنا عنهم هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ حُبَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٢). الشهداء تحركوا من واقعهم كمؤمنين؛ لأنَّ الإيمان يخلق في نفس الإنسان حالة من الاستعداد، وحالة من البذل والعطاء ترقى إلى استعداده أن يبذل نفسه في سبيل الله، أن يقدم حياته من أجل الله، فيما هو رضا لله، في مواجهة أعداء الله. هذه الحالة هي حالة ملازمة للإيمان؛ بل هي من أبرز سمات الإيمان، من أهمِّ علاماته: أن تكون في إيمانك بالله محبًّا لله، ومطيعًا له تعالى إلى مستوى الاستعداد أن تبذل نفسك في سبيل الله، وهذا يتلازم مع الإيمان ومع المؤمنين، هم أصلًا باعوا أنفسهم وأموالهم لله سبحانه وتعالى؛ ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْحَيَاةَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٣).

هذا هو واقع المؤمنين باعوا أنفسهم إلى الله وهم يتحركون في سبيل الله؛ حاضرون في أي وقت، في أي لحظة لتقديم هذه النفوس التي هي ملك لله بالأساس إلى الله سبحانه وتعالى، روحية عالية، روحية عظيمة، استعداد على مستوى عظيم من البذل والعطاء والوجود حتى بالنفس وهي أعلى شيء بالنسبة للإنسان، هذا هو أثر الإيمان الحقيقي الصادق.

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢هـ.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ١١١.

أما الإيمان الضعيف، الهزيل، الإيمان الناقص لا يترك هذا الأثر في نفس الإنسان، يبقى الإنسان فيه يعيش روحية أشبه بالروحية اليهودية، روحية الحرص الشديد على الحياة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أُشْرِكُوا يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١).

لكن الروحية المؤمنة المتطلعة إلى ما عند الله لا ترى في الرحيل من هذه الحياة خسارة، ولا ترى في الرحيل من هذه الحياة نهاية؛ بل على العكس تتطلع أكثر ما تأمل وترجو إلى ما هناك، إلى ما عند الله، إلى ما وراء هذه الحياة، في حياة أرقى، في حياة أعظم، في حياة أسعد.

﴿يَأْنُ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٢)، ليس هناك من خسارة، أو نهاية؛ بل خلود، بل مستقبل فيه كل السعادة، كل الخير، ليس هناك ما يُخيف، ما يُقلق، ما يجعل الإنسان يشعر بأنه فقد كل شيء؛ بل على العكس فقد شيئاً لكته سيحصل على ما هو أعظم، على ما هو خير، على ما هو أسعد بالنسبة له ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٣).

فالإنسان المؤمن هو هكذا: يتحرك في حياته، في واقعه، في مسؤولياته الجهادية بهذه الروحية، باع نفسه من الله وهو يتحرك بنفسه وماله وكل مكائباته وكل ما يمكن أن يُقدمه، يتحرك في سبيل الله بروحية عالية وبرغبة، وهو يستشعر أن هذه الصفة مع الله سبحانه وتعالى، بيع النفس من الله وبيع المال من الله: هي صفة رابحة ليس فيها خسرًا.

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٤) ينطلق مستبشراً بهذا البيع ﴿فَاسْتَبَشِرُوا ببيعِكُمْ الَّذِي بَايعْتُمْ بِهِ﴾^(٥) وهو يرى نفسه أنه من فاز

(١) سورة البقرة، الآية ٩٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩٨.

(٤) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٥) سورة التوبة، الآية ١١١.

والآخرون هم من خسروا، من يرون أنفسهم الراحين؛ لأنهم تناقلوا وتخاذلوا؛ وابتعدوا عن سبيل الله؛ ولأنهم لا يقدمون شيئاً في سبيل الله؛ ويخونون بما آتاهم الله من فضله، هم الخاسرون»^(١).

مقام الشهداء عند الله

«أما واقع الشهداء فهو واقع مختلف عما نحن عليه، رزق من الله وعطاء عظيم ومستمر، لم يعد لديهم لا همّ المعيشة، ولا همّ توفير متطلبات الحياة أصلاً؛ لأنهم في ضيافة مستمرة دائمة إلى يوم القيامة، ومن هناك مصيرهم إلى جنّة المأوى يُرزقون فيها بغير حساب، في أثناء هذه الضيافة هم في حالة فرح دائم ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢) وما آتاهم الله من فضله أعظم من خيالنا، فوق تصوّرنّا، عطاء عظيم متجدّد، يستمرّ أمد هذه الضيافة والتي هي إلى يوم القيامة، فرحين فلا هم يشعرون بخزن، ولا بخسارة، ولا حتى الفقد لما فقدوه؛ لأنهم ربّحوا ما هو أعظم وما هو خير. وهم كذلك بانتظار أن يعقب الله تلك الضيافة بما هو أعظم أيضاً: جنّة المأوى عند الله سبحانه وتعالى»^(٣).

«وهم مع ذلك يستذكرون إخوانهم المجاهدين معهم، السائرين معهم في الطريق نفسها، وهم يترقبون مجيئهم إليهم، ويستبشرون أنهم سيصيرون إلى ما صاروا إليه هم من نعيم ومن سعادة ومن ضيافة عند الله سبحانه وتعالى، ومن مصير عظيم، مصير السلام والأمن والسعادة والخير كلّهُ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢هـ.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٧٠.

(٣) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢هـ.

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٧﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

فهذا الواقع الذي صاروا إليه، ما حَقَّقوه لأنفسهم، وما وصلوا إليه من نعيم عظيم، ومكانة عظيمة عند الله، وما هَيَّأَ اللهُ لهم من وضع خاص هناك في هذا العالم، في ذلك العالم الذي ينتقلون إليه، في ذلك المقام العظيم حيث يعيشون في ضيافة الله سعداء في كرامة وعزَّة وخير ونعيم عظيم وفرح دائم واستبشار بمن تبقى خلفهم من مجاهدين ومؤمنين هناك.

الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٧﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾، هكذا هم شهداء الحق وهذه هي منزلتهم ومكانتهم عند الله قبل أن تكون مكانتهم عظيمة عند خلقه. إنَّ الله سبحانه وتعالى يكرمهم هذا التكريم العظيم اللائق، فبقدر ما قدَّموا وأسهموا وبقدر عطاؤهم العظيم الذي لا يساويه عطاء، بقدر ما بادلهم الله سبحانه تعالى بعطاءهم العظيم، بفضله، بتكريمه العظيم، فهم ليس مصيرهم الفناء ولا الزوال ولا الانتهاء، إنَّما مصيرهم الارتقاء في درجات الكرامة حيث يهَيَّئُ اللهُ سبحانه وتعالى لهم في ظِلِّ استضافته وتكريمه النعيم العظيم والتكريم المتميز، فإلله لم يرد لهم أن يذهبوا إلى الفناء والموت، بل أراد لهم أن يكونوا أحياء في الوقت الذي حاول أعداؤهم المجرمون أن يحيلوهم إلى الموت وأن يذهبوا بهم في متاهات الفناء، أراد الله لهم أن يكونوا أحياء، وأحياء في جواره، في استضافته مكرمين ﴿بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾ وهذا لا يساويه مقام ولا يصل إلى مثله رتبة.

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٧١ و١٧٢.

(٢) سورة آل عمران، الآيات ١٦٩ - ١٧١.

هم ضيوف الله يتولّى سبحانه وتعالى بكرمه العظيم وغناه وقدرته استضافتهم وتكريمهم وهم ﴿يُرَزَّقُونَ﴾ لأنها حياة حقيقية، حياة مؤكدة فرزقهم وافر ونعيمهم عظيم، وهم في واقعهم لا يعيشون حالة الندم ولا الأسى على ما حدث ولا على ما قدموا وعلى مستوى العطاء الذي بذلوا. كلا، هم راضون عمّا قدموا وبذلوا، وفي الوقت نفسه هم راضون عن الله فيما وصلوا إليه من نعيمه، وفيما أكرمهم به ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وما يؤتبه الله من فضله هو عظيم فوق مستوى أن يصل إليه تفكير بشر أو خاطرة إنسان أو خيال من متخيّل، هو عطاء أسمى وأعظم وأكرم، وهم في الوقت الذي هم ﴿فَرِحِينَ﴾ مبتهجين سعداء بما نالوا من فضل الله وبما وصلوا إليه من المكانة عند الله والمنزلة الرفيعة، ومن التكريم الذي حباهم الله به، هم أيضًا ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يستبشرون بإخوتهم الناهجين في النهج نفسه، السائرين في الطريق نفسها، الحاملين للواء ذاته، الحاملين للقضية نفسها، هم يستبشرون لهم، بأنهم سيصيرون إلى ما صاروا إليه من النعيم والتكريم، وأنه لا قلق على من يسرون في نهج كهذا، ويحملون قضية عادلة كهذه ومنهجًا عظيمًا محقًا. هذا المنهج الذي ضحوا في سبيله وبذلوا، وقدّموا أنفسهم من أجله، لا قلق عليه، لا خوف، لا حزن؛ لأنه مستقبل واعد ومصير عظيم يستحقّ من الإنسان البذل والعطاء وعاقبة محمودة ومستقبل واعد بكلّ ما تعنيه الكلمة.

هم في حالة الاستبشار وليس في حالة الندم، في حالة السعادة وليس في حالة الشقاء، في حالة الارتياح والنعيم بما قدّموا، يعيشون حالة الاستبشار دائمًا ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ﴾ فالجهود لا تضيع والبذل والعطاء يثمر ويثمر والله سبحانه وتعالى هو الذي ينمّيه، هو الذي ينمّي آثاره، هو الذي يحقّق له النتائج الإيجابية والعظيمة في مقاصدهم التي ضحوا من

أجلها في الحياة وفي مآلهم ومستقبلهم وفي حاضرهم في ظلّ ضيافة الله سبحانه وتعالى»^(١).

«هؤلاء هم الشهداء وهذه هي مكانتهم، وهذه هي الشهادة، هي الشهادة في طريق الحقّ، في منهج الحقّ، في القضية العادلة بقدر القضية التي حملها الشهيد، والمنهج الذي حمله وجسّد مبادئه وقيمه، والأخلاق التي حملها وجسّدها سلوكاً وعملاً في واقع الحياة، بقدر ما يكون للشهادة قيمتها، أهمّيّتها، آثارها، نتائجها، عواقبها المحمودة. والشهيد حينما لقي الله شهيداً هو توجّح واستكمل وتّم مشواره في الحياة الذي كان مشوار عطاء، مشوار بذل، مشوار سخاء، الشهيد عادة ما يكون في مساره في الحياة في ظلّ المنهج والمبدأ والقضية كان رجل عطاء.. عطاء متميّز في كلّ ما منحه الله وفي كلّ ما أعطاه الله من المؤهّلات، يسخر مواهبه، يبذل كلّ جهده، ويوظف كفاءته في سبيل الله أولاً وفي سبيل المستضعفين ثانياً، ثم يوفقه الله هذا التوفيق لأن يتوجّح ويتمّ مشواره في العطاء والبذل والعمل والجهد، والموقف المتميّز بعطاء هو الأسمى وعطاء هو الأعظم وعطاء هو الأكبر، وهو عطاء الشهادة حينما يضحي بنفسه.

والشهيد يقدّم الشهادة على عظمة المبدأ، على عظمة المنهج، على أحقيّة وعدالة القضية التي ضحى من أجلها وفي سبيلها والتي استهدف لأجلها وبسببها، ويقدم الشهادة التي تكشف فعلاً وتثبت مدى إجرام وطغيان وسوء أعداء الحقّ وأعداء العدل وأعداء الإنسانية أولئك الأشرار المجرمين الظالمين، السفاكين للدم بغير ذنب، المزهقين للأرواح بغير حقّ، الذين دورهم في الحياة دور سلبى يعادي الخير والحقّ والعدل، يسعى لأن يكون واقع الحياة دائماً مطبوعاً بسواد الإجرام وبشاعة الجريمة والعياذ بالله، فالشهادة بقدر ما تقدّم الدليل على أحقيّة القضية والمنهج والمبدأ تكشف

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢هـ.

واقع المجرمين وطغيانهم وبشاعة إجرامهم، هذه هي الشهادة وهذه هي أهميتها»^(١).

و«إذا جئنا لنحسب شهداءنا على مدى كلِّ السنوات الماضية عددهم أكثر من أربعة آلاف شهيد، وعدد الذين ماتوا رَغْمَ أنوفهم على فراشهم في هذه السنوات، الملايين.

هل أن الإنسان لا يرحل من هذه الحياة ولا يفارقها إلاَّ الشهيد، ومن انتبه لنفسه فلم يجاهد ولم يستشهد فسيبقى خالدًا في هذه الحياة، ويبقى في حياة أبدية لا يفارقها هنا في الدنيا؟! لا.

إذا كُنَّا قدَّمنا أربعة آلاف شهيد فالملايين ماتوا على فراشهم. مكتوب ومحتموم الرحيل من هذه الحياة الدنيا.

الإنسان خُلِقَ لحياتين: الأولى والآخرة، بينهما فاصل هو الموت، والحياة الدنيا: هي حياة قصيرة مؤقتة محدودة ينتقل عنها الإنسان، هي: حياة للمسؤولية والاستعداد للحياة الأبدية التي لا نهاية لها.

لذلك مغرور، مخدوع، ضائع، هالك من لم يكن عنده اهتمام إلاَّ بهذه الحياة وينسى حياته الأبدية. هذه الحياة حياة مؤقتة، وحياة ممزوجة بالخير والشرِّ، بالسراء والضراء، ليس فيها سعادة صافية أبدًا، ولا يسلم أحد فيها من المنغصات، حياة قليلة محدودة، فيها من الخير والشرِّ، وفيها مع السراء والضراء، وفيها مع الغنى الفقر، وفيها مع الصحة والعافية البؤس والمرض، وفيها مع السعادة والراحة الضجر والشقاء والعناء، هي حياة بهذا المستوى.

أما تلك الحياة فحياة أبدية لا نهاية لها أبدًا، ولا انقطاع لها أصلًا، وحياة مهمة، الخير فيها والنعيم فيها على أرقى مستوى، خير خالص، سعادة خالصة، نعيم خالص، لا همَّ ولا مرض ولا ضجر ولا ألم ولا حزن ولا عناء ولا شقاء ولا أيَّ منغصات، هذا إن فاز الإنسان. أو شرَّ خالص وهلاك وشقاء

(١) من كلمة السيّد عبد الملك بدر الدين الحوثي في أربعينية الشهيد الدكتور أحمد شرف الدين.

وعذاب وألم وبؤس وشقاء ونكد لا خير فيه أبدًا، ولا لحظة واحدة يمكن أن يرتاح الإنسان فيها في جهنم، ولا ثانية ولا دقيقة واحدة، إمّا النعيم الخالص على أرقى مستوى، أو شرّ خالص على أقسى وأشدّ ما يكون.

لذلك؛ الشهيد يدرك أنّه ما دامت هذه الحياة حياة مؤقتة محدودة وهي ممزوجة بالخير والشرّ والمنعّصات فما قيمة أن أتشبّث بها في مقابل أن أخسر السعادة في الحياة الأبدية التي فيها أرقى نعيم، وأعظم سعادة، سعادة حقيقية؟!

يدرك الشهيد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١) يدرك أهميّة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٢) إلا قليل. فالشاهد واع فاهم موفق لم يبع الكثير ويضع الكثير الدائم بالقليل الفاني الزائل، لا. ربح التجارة.

وهكذا هو الشهيد بنظرته الواقعية إلى هذه الحياة يدرك أنّ ما يُميّز الشهادة في سبيل الله هو ميزة عظيمة ومهمّة جدًّا فيما يتعلّق بهذا الجانب؛ لأنّ الشهيد ينتقل إلى حياة سعيدة، حياة عظيمة حتّى إلى يوم القيامة. الموت عند الشهادة هو لحظات قليلة، لحظات الانتقال من هذه الحياة إلى مقام الشهداء حيث هم في ضيافة الله سبحانه وتعالى، في حياة حقيقية مؤكّدة أكّدها الله في كتابه، وأكّد أنّهم في حياة صحيحة حقيقية في فرح واستبشار وورق، في ضيافة الله سبحانه وتعالى.

يدرك الشهيد هذه الحقيقة وهذه الميزة العظيمة وأنّه كسب مستقبله الدائم مع الله سبحانه وتعالى، ثمّ نحن في هذا الواقع، في هذه المرحلة، في

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٨.

الظرف الذي تعيشه أُمَّتُنَا ندرِك قيمة الشهادة، وعظمتها، وأهميّتها، وأنَّ فيها النجاة»^(١).

لقد رحل الشهداء إلى ضيافة الله، رحلوا عنَّا ولكن إلى أين؟ سافروا إلى مقامهم العظيم، إلى ضيافة الله، لقد استضافهم الله، ضيوفًا عند الكريم العظيم، عند أكرم الأكرمين، استضافهم وجعلهم أحياء، وكتب لهم الخلود ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٢). إنهم في ضيافته يكرمهم، يَمُنُّ عليهم من عظيم فضله وواسع رحمته ما يليق بمقامهم فمقامهم عظيم، ما يليق بمكانتهم فمكانتهم عند الله عظيمة، ما يليق بشرفهم وشرفهم كبير، عطاؤهم في هذه الحياة وبذلهم، منحهم الله الكريم العظيم بدلًا منه الخلود والحياة الدائمة ﴿بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾^(٣) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»^(٤).

فهنيئًا لهم هذه الضيافة عند الله، هنيئًا لهم ذلك المقام وذلك المستقرّ، ولتطب لهم تلك الحياة الهنيئة، هو الشرف الكبير الذي ترنو إليه نفس كل مؤمن، ويتمنّاه ويشتاق له ويتلهّف له كل وليّ لله.

﴿فَرِحِينَ﴾ لا هم ولا حزن، وليسوا نادمين على ما قدّموا ولا آسفين على ما خلفوا وتركوا، ولا ما عنه رحلوا، كلاً؛ فهم في حالة فرح واستبشار وسرور مرتاحين ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. ما آتاهم من فضله العظيم وبرّه وكرمه وجوده وإنعامه الشيء العظيم الذي سمّته التكريم ﴿قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾^(٥) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ»^(٤) من المكرمين.

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٣٤هـ.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ١٦٩ و ١٧٠.

(٤) سورة يس، الآيتان ٢٦ و ٢٧.

فهم ﴿أَحْيَاءُ﴾ وهم ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما بقي لهم من ذكريات فيما تركوا، وفيما عنه رحلوا هو أنهم يتذكرون رفقاءهم، رفقاءهم السائرين في دربهم من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله، فهم في انتظار لمن تبقّى متى يأتي، متى يسافر ويصل إليهم لينال ذلك الشرف العظيم وتلك الضيافة الإلهية والكرامة الكبيرة التي أعدّها الله سبحانه وتعالى.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) لأنه الفوز العظيم؛ لأنها التجارة الربحة، لأنه النعيم الدائم، والكرامة التي لا تساويها كرامة، في ضيافة الله سبحانه وتعالى، يتذكرون من خلفهم من المؤمنين السائرين في دربهم الحاملين الراية والقضية، والقائمين بالمسؤولية، ينتظرونهم وهم يفرحون لهم، يستبشرون لهم بأنهم سيصيرون إلى ما قد وصلوا هم إليه. هذا هو الشرف الكبير، وهذا حالهم وهذا مقامهم»^(٢).

فإذا كنت تكره الموت فحاول أن تجاهد في سبيل الله ﴿قُلْ إِنْ أَلْحَسِرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْحَسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٣) لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ﴿١٥﴾ أليست هذه هي الخسارة، أم خسارة المؤمن في هذه الدنيا التي يفرح بها الآخرون، وأنهم أوقعوه فيها، بتقاريرهم، بوشايتهم، بنفاقهم، بكدبهم؟

ما هي الخسارة التي سيوقعونه فيها؟ قد تكون لو هلك هو في نفسه فهي فترة محدودة لا يحس بعدها بشيء من الآلام بل سيكون شهيداً يفرح يعيش حياً يرزق، ويستبشر ويفرح بتلك الحالة التي قد وصل إليها فيما بعد، أو يرى نفسه فوقه ظلل من الإسمنت، وتحتة أرض مبلطة، يرى نفسه يُقاد

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٠.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٣ هـ.

(٣) سورة الزمر، الآيتان ١٥ و١٦.

إلى السجن في سيّارة، هل هذه هي الخسارة أم خسارة من يُقاد إلى جهنّم في السلاسل والأغلال ويُسحب على وجهه، ومن سيكون في سجن جهنّم من فوّهة ظلل من النار ومن تحته ظلل؟ أليست هذه هي الخسارة؟ ولهذا جاء في الآية الأخرى: ﴿قُلْ﴾ قل يا محمّد للناس، لأولئك الذين يسخرون من المؤمنين ويعدّونهم خاسرين عندما ينالهم شيء وهم ينطلقون في سبيل الله: ليست هذه خسارة ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ الحقيقيين هم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وليس هنا في الدنيا ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الخسران الحقيقي والواضح ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.

هكذا يقول الله لنا سبحانه وتعالى؛ يعلمنا كيف تكون مشاعرنا، وما هي المشاعر التي نحملها ونحن في أيّ مرحلة صعبة، وأنت في مواجهة أيّ خطر ينالك أو يحدق بك، لا تعدّ شيئاً في هذه الدنيا ينالك في سبيل الله خسارة، وهذه هي قاعدة عامّة وثابتة، وسُنّة من سُنن الله سبحانه وتعالى: أنّ من يعمل لدينه وفي سبيله، وينطلق في رضاه ليس هناك أمامه أيّ خسارة على الإطلاق، لا خسارة ماديّة، ولا خسارة معنويّة أبداً.

لاحظوا، عندما يدعو الله الناس للإنفاق في سبيله ألم يعدّهم بأنّه سيخلف عليهم ما أنفقوا؟ ليفهمنا أنّ العمل في دينه ليس فيه خسارة أبداً، والنظرة المغلوطة لدينا هي هذه: أنّ كلّ من يفكر أن ينطلق في الأعمال في سبيل الله بنفسه وماله يُخيّل إليه أنّه سيقع في الكثير من الخسارة، سيحتاج أن يعطي كذا، سيحتاج أن يناله كذا فيرى نفسه يتعرّض للخسارة. إنّ الله في القرآن الكريم أوضح لنا بأنّه ليس في العمل في سبيله أيّ خسارة أبداً.

فأنت إن أنفقت يخلّف عليك أضعاف ما أنفقت، وأنت عندما تعمل في سبيله فينالك شيء من الأكم كلّهُ سيكتب لك عمل صالح؛ ذلك الأكم الذي قد ينالك على أيدي أعدائك الذين لم تعمل في سبيل ضربهم قد ينالك الكثير من الأكم ثم لا يُكتب لك شيء. أمّا إذا كنت في سبيل الله فإنّ كلّ حركة من حركاتك، وأيّ مصيبة تنالك، وأيّ مشقة مهما كانت بسيطة

تُكتب لك عملاً صالحاً، وأن يكتب لك عملاً صالحاً مضاعف الأجر حينها ستجد بأن كل ما ينالك ليس وراءه خسارة.

إنَّ الخسارة هي أن يُكسَّر عظام الإنسان على أيدي اليهود وهو بعد لم يعمل ضدَّهم شيئاً. إنَّ الخسارة هي أن يُدمَّر بيتك على أيدي أعداء الله وتقف أنت موقف المتفرِّج، هذه هي الخسارة. حينها سيكون كلُّ ما نالك عقوبة، والعقوبة لا أجر عليها، ولا معها. أليست هذه هي الخسارة الحقيقيَّة؟ لكن إن حصل مثل هذا، أو أكثر منه، أو أقلَّ منه في سبيل الله لن يكون خسارة؛ لأنَّه سيُكتب لك عمل صالح، مضاعف الأجر عند الله، ثمَّ وبناءً على هذه القاعدة الإلهيَّة أنه لو وصل الأمر إلى أن تضحي بنفسك ألا تنفق نفسك حينئذٍ في سبيل الله؟ يقول لك: لن تخسر أبداً حتَّى روحك وستعود حيًّا، ألن يقض بهذا للشهداء؟ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١)، ﴿وَلَا تُحْسِنِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾^(٢) لأنك من بذلت نفسك في سبيله، وعلى أنه لا خسارة في التعامل معه سيعيد لك روحك، وتعيش حيًّا تُرزق بكامل مشاعرك، وتفرح، وتستبشر بما أنت عليه، وبمسيرة الآخرين ممَّن يسيرون على نهجك، على طريق الحق، وعلى الصراط المستقيم، وأن من سيلحق بعدك من إخوانك سينال ما نلته أنت من التعظيم، ومن الحياة في ذلك العالم، حياة مليئة بالفرح والسرور، هل هناك خسارة؟

ألا يموت الناس؟ هذه هي الخسارة أن تموت ثم لا يكون في موتك إيجابيَّة بالنسبة لك، أو أيُّ استثمار، وهذه هي الخسارة الحقيقيَّة. هكذا يعلمنا الله: بأن كل من ينطلق في سبيله لن يخسر أبداً، وأنَّ الخسارة هي خسارة أولئك الذين يودِّي بهم واقعهم إلى أن يخسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة. ومن يهربون من الموت في الدنيا، هم من يموتون حقيقة، هم من

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

يضيعون في التربة حقيقة، أمّا الشهداء فإنّهم لا يموتون أليس كذلك؟ فكُلّ من يخاف من الموت هو الخاسر، هو من يريد أن يموت، هو من سيكون موته لا قيمة له، إذا كنت تكره الموت فحاول أن تجاهد في سبيل الله، وأن تُقتل شهيداً في سبيله لتعيش حيّاً»^(١).

إنّ القتال في سبيل الله هو خير بكلّ المقاييس ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾^(٢) لكم باعتبار رؤيتكم، ونفسياتكم، وفهمكم للأشياء، وإلا فالواقع، لو أنّ الإنسان يتأمّل يتذكّر بشكل جيّد لرأى بأنّه ليس القتال بالشكل الذي تكرهه. عندما تنظر إلى قضية أنّ كلّ إنسان سوف يموت، أليست هذه قضية معروفة؟ وكلّ إنسان يلاقي في هذه الحياة أشياء تتعبه، ويعاني منها. أليست هذه قضية معروفة أيضاً؟ إذا فالقتال ما هو؟ غاية ما هناك أن تُقتل، ألن تموت وإن لم تُقتل؟ أليس من الأفضل لك أن تستثمر موتك فتُقتل في سبيل الله؟

إذا كنت مثلاً تخاف من الموت كموت، فالله جعل من يقتل في سبيله حيّاً أي: إنّ الشهداء لا يموتون فعلاً. فلتتأمّل في القضية المطروحة عقلاً؛ الإنسان سوف يموت بكلّ الحالات حتّى وإن كان ضعيف نفس، ويتخوّف من الموت، فإذا كنت تخاف من الموت حاول أن تُقتل في سبيل الله شهيداً؛ لأنك تكون بهذه العملية قهرت الموت فعلاً، ولم يكن الموت بالنسبة لك إلاّ نقلة قد تكون ربّما (ثوانٍ) أو (دقائق) وتنتقل إلى حياة أبدية في نعيم، وفرح، واستبشار، ورزق كما ذكر الله في آية أخرى: ﴿وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٣) لأنّ الإنسان لا يعلم الغيب وكثير من الناس تكون نظرتهم محدودة قاصرة، وكلّ تشريعات الله ليس فيها كره فإذا عزمت عليها بهدي من الله تتجاوز كلّ المشاعر الخوف والكره لها فتراها خيراً،

(١) السيّد حسين بدر الدين الحوثي معرفة الله - وعده ووعيده - الدرس الخامس عشر.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

وهو معلوم أنّ الإنسان نفسه في حياته يعمل أشياء فيها كره له عندما يكون فاهمًا أنّ وراءها خيرًا^(١).

الشهادة ليست مجرد لقب فخري يُطلق على هذا أو ذاك وإن كان البعض يستخدمونها هكذا وكأنّها مجرد لقب يمكن أن يطلق على أيّ قتيل أو أيّ ضحية.

فكلّ من أصبح لهم قتلى قالوا شهداء يقتل بعض المنافقين من منتسبي حزب (الإصلاح) والمنتسبين إلى (الدواعش) وغيرهم من المرتزقة المنافقين يقتلون جنبًا إلى جنب مع المقاتلين من (بلاك ووتر) الأمريكيّة عن يمينه أمريكي، عن يساره إسرائيلي، بجانبه الآخر أيضًا شخص من هنا أو هناك من سُذّاذ الآفاق في الموقف الخطأ والباطل تحت راية أمريكا في موقف تدعمه إسرائيل، ثمّ يقولون عنه الشهيد فلان بن فلان.

لا، المسألة مختلفة تمامًا؛ الشهداء عند الله يقضون في سبيل الله سبحانه وتعالى؛ هم قوم باعوا أنفسهم لله، انطلقوا في موقفهم وجهادهم وتضحياتهم على أساس الاستجابة لله سبحانه وتعالى في نهج الله، لهم دافعهم الإيماني العظيم، ولهم هدفهم المُقدّس، ولهم موقفهم وقضيتهم العادلة.

عندما نسمع في واقع الحياة أنّ الكثير من القوى، الكثير من الجهات التي عادة ما تطلق على قتلها، في أيّ موقف كانوا، معتدين، ظالمين، متجبرين، خادمين للطاغوت أو عاملين أيّ شيء، عادة ما يطلقون عليهم شهداء، إمّا شهداء الوطن أو أيّ عبارات من هذه.

(١) دروس السيّد حسين بدر الدين الحوثي، من سورة البقرة، الدرس العاشر.

الشهادة لها قداستها، لها أهميتها، لها امتيازها، وهي عطاء من الله سبحانه وتعالى، وتكريم من الله جلّ شأنه ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾^(١)»^(٢).

«الشهيد هو الذي يقف موقف الحقّ له شرعيةً الموقف، سلامة المقصد والنية ليس في موقع الظالم والمتجبر والمعتدي، هذا هو الشهيد نيته نية سليمة، موقفه موقف مشروع ومحقّ.

وهكذا نجد أنّ الشهادة في سبيل الله هي كرامة، لكن في موقف الحقّ. تكون شهيداً حينما تلقى الله وأنت في هذا النهج وهذا الطريق؛ نهج الخضوع والاستسلام لله وحده، ألاّ يستعبدك أحد من دون الله أن تقف في وجه من يريدون استعبادك وقهرك وظلمك والطغيان عليك والتجبر عليك والاستكبار عليك أنت ومن معك من المستضعفين هنا ترتقي شهيداً، لك مجد وخلود وشرف دائم، لك هذه المكانة العالية عند الله فلا يقال عنك إنّك في عداد الأموات؛ لأنّ الله أراد لك الكرامة التي اخترتها أنت هنا في هذه الدنيا؛ فحينما تُقتل في خطّ الكرامة يأبى الله لك إلاّ الكرامة فتنتقل إلى دار الكرامة»^(٣).

لقد سقط شهداؤنا في خطّ الشهادة الحقيقي بكلّ الاعتبارات «إننا - بحمد الله وشكره - عندما نعود إلى مسيرتنا نرى أنّ واقعا واقّع مختلف عن أولئك أصحاب الألقاب الفخرية. نحن عندما نطلق على شهدائنا هذا الوصف الإلهي ونحتسبهم عند الله راجين منه أن يتقبّلهم؛ فلأنهم فعلاً كانوا في خطّ الشهادة، الخطّ الحقيقي من كلّ الاعتبارات. عندما نأتي إلى الدافع نقول إنهم انطلقوا في سبيل الله سبحانه وتعالى بدافع إيماني، استجابة لله، طاعة لله، رغبة فيما عند الله، امتثالاً لأمر الله، لم يكن هناك أيّ حافز أو دافع غير إلهي، لم يكن هناك دافع آخر أبداً؛ لأنّه في واقعا العملي ليس هناك أمور أو

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٧هـ.

(٣) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٧هـ.

اعتبارات أخرى يمكن أن تشكّل حافزاً منذ بداية انطلاقة هذا المشروع القرآني العظيم.

لم يكن هناك إغراءات مادية أو مادية حتى يكونوا منطلقين، مندفعين، متحرّكين، مقاتلين من أجلها، وابتغاءً لها، وأملًا فيها، وسعيًا وراءها، لم يكن هناك شيء من هذا القبيل.

الفرد ينطلق ليبدّل نفسه وماله ويصبر على البأساء والضراء والمعاناة والحاجة والفقير، لم يكن حالهم كحال تلك الآلاف التي انطلقت لتقاتل وتعادي وتواجه هذا المشروع القرآني العظيم؛ لأنهم قدّموا لها الأموال؛ لأنها ستحصل على مرتّبات أو معاشات أو مال سعودي أو أي شيء من هنا أو هناك، كان الحال لدينا مختلفاً، الدافع كان دافعاً إيمانياً خالصاً، وواقعنا العملي كان سليماً، لم يبتنّ أبداً على أيّ إغراءات أو دوافع مادية، الأمر معروف»^(١).

إنّ سبيل الله ليس مجرد عنوان إنّما هو الطريق التي رسمها الله للمجاهدين من أجله؛ يقول السيّد حسين (رضوان الله عليه) حول هذا الموضوع: «ليست القضية فقط مجرد عنوان، نحن في زمن يمكن أن تسمع عناوين أخرى في سبيل الله. يجب أن تفهم بأنّ القضية هي أن تكون متوجّهًا إلى الله، والسبيل هو الطريق التي رسمها لتتحرك فيها، وأنت تقاتل وتجاهد في سبيل الله. أليست كلمة في سبيل الله ممكن أن يستغلّها أناس آخرون؟ وقد فعلوها قبلنا، وخدعوا كثيرًا من الشباب باسم (في سبيل الله) وإذا هم (في سبيل أمريكا).

فعندما تفهم من البداية أنّ مسألة سبيل الله ليس معناه فقط مجرد النية؛ أن تقاتل تقرّبًا إلى الله، بل إنّ هناك طريقة مرسومة تبدأ من القيادة، والمنهج الذي يسير عليه الناس، القضية ليست سهلة. وعندما تفهم هذا

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٤هـ.

المبدأ تستطيع أن تميّز من يقول لك: في سبيل الله، من خلال الطريقة التي يسير عليها، الكلّ لديه عنوان: في سبيل الله، لكن ستبقى الطرق، والمنهجيّات التي يسيرون عليها تبيّن من هو الذي في سبيل الله حقّاً.

عندما نفهم هذا يكفيننا بالأّ نُدع بأخريّن، نحن أمام أعداء يستطيعون أن يجعلوا آخريّن يتحرّكون بالعناوين نفسها التي تتحرّك بها أنت، وقد يبدو أكثر إمكانيّة وأكثر فاعليّة وتجهيز، ثمّ تكتشف في الأخير أنّها مجرد خدعة، حركة وهميّة.

حدّد القرآن بتوجيهاته العناوين العريضة التي بها يرفعها الناس كشعارات ويتّخذها غير المؤمنين والأعداء ﴿وَمَنْ أَلَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ﴾^(١) أليست العناوين نفسها التي يرفعها المسلمون الأوائل: إيمان بالله، وحركة من أجل الإيمان بالله، وناس يقولون: إنهم مؤمنون بالله! رفعها أيضاً آخرون: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

إذاً، فنفهم أنّه إذا كان خدع في الماضي شباب كثير من اليمن، من السعودية، ومن بلدان عربيّة أخرى تحت عنوان في سبيل الله؛ فلاّتهم فقدوا معرفة الطريق التي تمثّل سبيل الله الذي هو أمامهم مجرد عنوان، وعلينا أن نعي ذلك، هذه قضيّة هامة»^(٢).

ويقول رضوان الله عليه: «﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ألم يلغي الله هنا موضوع: قوميّة، وطنيّة، تربة وطن، حجار وطن، وأشياء من هذا القبيل لن يكون لها فاعليّة على الإطلاق. هم يجاهدون في سبيل الله، من أجل الله، وفي الطريق التي رسمها للمجاهدين، يوجد سبل كثيرة تحمل عنوان: الجهاد، وهي سبل عوجاء، أمّا كلمة: جهاد في سبيل الله لا يمكن لأيّ واحد أن يدّعها؛ هي طريق رسمها هو للمجاهدين من أجل أن يسيروا عليها في جهادهم.

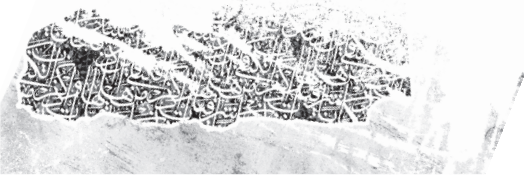
(١) سورة البقرة، الآية ٨.

(٢) الدرس العاشر من دروس شهر رمضان.

وكما قلنا في مرّات سابقة: إنّه تجلّى من خلال قصّة طالوت وجنوده تلك النوعيّة التي انطلقت في سبيل الله، هي فعلاً التي تحمي الأوطان والأعراض. أمّا من يرفعون عبارات: وطنيّة، وقوميّة، أحياناً هم من يبيعون الأوطان والأعراض، أو حتّى لو كان مخلصاً ستكون القضيّة قابلة للثغرات، يأتي العدوّ بدعم جهة معيّنة، وترفع شعارات قوميّة متفوّقة على شعاراتك توحى وكأنّها تضرب العدوّ ضربات رهيبية، مثلما عملوا لاحتواء الثورات في القرن الماضي، آخر مثال لها (أرتيريا) تحرّك المجاهدون المسلمون مساكين مقاتلين خلال فترة طويلة، رآهم الصهاينة وإذا همّوا بالنجاح وبقيام دولة مسلمة، تحت مسّميات وعناوين الوطن، تحرير الوطن، إخراج المحتل، وغيرها، هم لم يدركوا أهميّة الارتباط بسبيل الله. جاء (أفورقي) هو ومجموعته، ومنظّمته، وإذا هم وطنيّون أكثر منهم، لديهم إمكانيّات يستطيعون أن يضربوا، وإذا هم فرحوا بهم، فرحوا، نعمة أنّه قد صار معنا ناس، وفي الأخير ما الذي حصل؟ أصبحوا نوعيّة أخرى، المجاهدون المساكين قُتل كثيرٌ منهم، ودمرت بيوتهم واستبيحت أموالهم، وإذا بهم قد صاروا معارضة هناك، وإذا أرتيريا صارت بلدًا مرتبطًا بإسرائيل!

لكنّ شعار في سبيل الله لا يمكن على الإطلاق أن تزيّف المسيرة، لا يمكن لأحد أن يزيّفها إلّا إذا فهمنا أنّ سبيل الله مجرد عنوان. سبيل الله يعني: من أجله، لا ترفع شعارًا آخر على الإطلاق، سبيل الله، تجاهدون في سبيل الله، أي وفق الطريقة التي رسمها هو، أين رسمها؟ في القرآن. هذه هي الطريقة التي لا يمكن أن يخترقها مزيفون، ولو رفعوا عناوين: جهاد في سبيل الله، لا يمكن على الإطلاق، وإلّا فالمرحلة خطيرة جدًّا، مرحلة قد يزيّف لك الأمريكيّون حركة معيّنة ويقولون: في سبيل الله، وجهاد في سبيل الله، وقد عملوا هذا في الماضي.

لهذا، يجب أن يكون هناك وعي تامّ، وإلّا فقد تتحرّك وأنت لا تدري. عندما ترى منظّمة أخرى أكثر فاعليّة، تحمل هذا العنوان لجهادها، ثمّ تبدو لك في الأخير أنّها وهميّة تتحرّك متى ما أرادت أمريكا، وتجلس متى ما



أرادت، تكون قد صُنعت لك فخًا، من أجل ماذا؟ من أجل أن تذوب كل الانفعالات ضدَّ أمريكا في ماذا؟ في بؤرة لا تشكّل خطورة عليها نهائيًا، فلا يعد هناك جهاد، ولا ترى بعد إلا أمريكا في وطنك، أو إسرائيل.

هذه القضية هامة، الآية تعطينا منهجًا متكاملًا كيف يجب أن نكون، وكيف نعمل بعون الله وتوفيقه، وفي الوقت نفسه كيف يكون توجيهنا للناس، لا نستخدم عبارات: وطن على الإطلاق. وضرب الله لنا مثلًا عند آية طالوت وجنوده من داخل بني إسرائيل، حين قالوا: لا نريد عداءً دينيًا، نقول: وجدناكم في مرحلة كنتم مستضعفين، وقد أخرجتم من دياركم، اتجهتم إلى نبي من أنبيائكم تقولون: ﴿أُبَعَثَ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١) أليس هكذا؟ نحن نعمل مثلكم فقط، نرفع نفس الشعار الذي رفعتموه، وقامت بعده أعظم دولة لبني إسرائيل في تاريخهم إلى الآن»^(٢).

المؤمن هو من ينذر حياته وموته لله ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين^(٤) الغاية المهمة التي يجب أن ينشدها الإنسان من كل عمل صالح هي: أن يحظى برضى الله سبحانه وتعالى، هذه هي الغاية المهمة، وهذا هو المطلب الكبير الذي يجب أن ينشده كل مسلم؛ لأنه تحت هذا الخير كله في الدنيا وفي الآخرة، أن يحصل على رضوان الله في الدنيا يرعاه الله سبحانه وتعالى، يحوطه بعنايته، يوفقه، يدافع عنه، يرشده، يسير الخير للناس على يده، ومن يحظ برضوان الله سبحانه وتعالى يموت سعيدًا، ويبعث سعيدًا آمنًا يوم القيامة، ويحاسب حسابًا سيرًا، ويأمن في الوقت الذي يخاف فيه خوفًا شديدًا معظم البشر، عندما يكون من أولياء الله، وأولياء الله هم من قال عنهم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٦.

(٢) الدرس ٢٢ من دروس شهر رمضان.

(٣) سورة الأنعام، الايتان ١٦٢ و١٦٣.

يَحْزَنُونَ ﴿١﴾ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ، وَيَحْظَى فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ الرَّفِيعِ، وَالنِّعِيمِ الْعَظِيمِ، بِالنِّعْمَةِ الْكَبِيرَى الَّتِي هِيَ رِضْوَانُ اللَّهِ.

رضوان الله هو المطلوب المهم، كيف يمكن أن نحصل على رضوان الله من خلال عملنا؟ عندما نكون متأكدين أن العمل الذي نسير فيه، أن العلم الذي نطلبه هو فعلاً المنهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لعباده.

ليس كل طالب علم يصح أن يقال: إنه يعمل عملاً صالحاً، طالب العلم الذي يطلب العلم الذي رسمه الله كمنهج للإنسان يتعبد لله سبحانه وتعالى به ويسير في حياته على وفقه. هذا بالنسبة للمنهج.

بالنسبة للعمل، ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في أكثر من آية: الربط بين رضوانه والعمل الصالح، بين رضوانه والإيمان. لا يحصل الإنسان على رضوان الله بمجرد أنه قد تعلم، بل ربّما أنه قد تعلم فيقصر ويهمل ويقعد، يكون عرضة لسخط الله أكبر من حالته لو كان جاهلاً؛ لأنه في هذه الحالة يقعد ويُقصر ويهمل وقد علم، ومن المفترض أن يكون قدوة للآخرين، ويصبح أمامهم معروفاً بالعلم ويحمل اسم أستاذ أو اسم عالم.

العمل لا بد منه وإلا فسيصبح علم الإنسان ورزاً، ووبالاً عليه، وعلى الدّين، وعلى الأمة أيضاً؛ لأنّ العالم يصبح قدوة تلقائياً للآخرين ولو لمجموعة من الناس الذين يعرفونه، يُصبح قدوة لهم وإن لم يكن يتحدث معهم، فهم يقولون: (نحن بعد فلان، إذا كان فلان سيتحرك فنحن معه، إذا كان فلان قد رضي بهذا فنحن معه) وأحياناً يقولون: (لو كان هذا صحيحاً لكان فلان عاملاً به، لو كان صحيحاً لما كان فلان قاعداً عنه). وهكذا، سيصبح حامل العلم قدوة تلقائياً؛ فإما أن يكون قدوة في الخير، قدوة في العمل، وإلا فسيكون قدوة للآخرين في الإهمال والتقصير والقعود، وقد يكون هو في الواقع لا يفهم لِمَ ينظر الناس إليه ويقتدون به في هذا المجال أو ذاك، يظنّ أنه ساكت

(١) سورة يونس، الآية ٦٢.

والناس ساكتون، فيفسّر سكوت الناس أنّه سكوت تلقائي وأنهم مقصرون، وهم يفسّرون سكوته أنّه سكوت علمي، أنّه هو أدرى وأعلم؛ فيكون هو والناس الذين ينظرون إليه متهادنين^(١) فيما بينهم، قد يلقون الله سبحانه وتعالى فيكتشف لهم حينئذٍ التقصير الذي كانوا عليه جميعًا.

العمل هو محط رضوان الله سبحانه وتعالى، واقترن به الجزاء في الآخرة، وفي الدنيا قبل الآخرة. فإذا كنّا نريد من طلب العلم هو: أن نحظى برضوان الله سبحانه وتعالى فمعنى ذلك أن تتجه أولًا إلى معرفة الله بشكل كافٍ، يتعرّف الناس إلى الله. معرفتنا بالله سبحانه وتعالى قاصرة جدًّا، بل وفي كثير من الحالات أو في كثير من الأشياء مغلوبة أيضًا، ليس فقط مجرد جهل بل معرفة مغلوبة، تتعرّف إلى الله ثم تتعرّف إلى أنفسنا أيضًا في: ما هي علاقتنا بالله سبحانه وتعالى، نُرسخ في أنفسنا الشعور بأننا عبيد لله.

وأن يعبّد الإنسان نفسه لله معناه أن يسلم نفسه لله، ينطلق في كلّ عمل يرضي الله باعتباره عبدًا له، همّه أن يحصل على رضوان الله، ويتعامل مع الله سبحانه وتعالى باعتبار أنّه ملكه وإلهه وسيّده ومولاه. في هذه الحالة، يكون الإنسان أقرب ما يكون إلى الإخلاص، قد رسم لنفسه طريقًا يسير عليه هو نفسه الذي أمر الله به رسوله ﷺ عندما قال له: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٢﴾﴾. هذه هي الغاية، وهذا هو الشعور الذي يجب أن يسود نفس كلّ واحد منّا، ويُسيطر عليها ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ عبادتي كلّها ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ حياتي هي ﴿لِلَّهِ﴾ كما أنّ صلاتي لله، ونُسُكِي، عباداتي كلّها لله، كذلك حياتي هي لله ومماتي أيضًا هو لله.

(١) التّهادن، من اللهجة العامية، ويقصد به، التواكل، وهو سلوك مذموم؛ لأنّ المتواكلين يتصّلون عن القيام بالواجب، وكلّ منهم يظنّ أنّ الآخرين سيقومون بذلك الواجب؛ فيتركونه جميعًا.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢ و١٦٣.

معنى ذلك: أتى نذرتُ حياتي لله في سبيله، وفي طاعته، ومماتي أيضاً لله، كيف يمكن أن يكون موت الإنسان لله؟ من الذي يستشعر أن بالإمكان أن يكون الموت عبادة؟ وأن يكون الموت عبادة عظيمة لله سبحانه وتعالى ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾.

كنا ننظر للموت كنهاية، بينما يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فسأندُر موتي لله، فحياتي كلها لله، فسأحيا لله، وسأموت كذلك ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ لاحظوا هذه: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ فكل المسلمين الذين يقتدون برسول الله ﷺ لا بدُّ أن يحملوا هذا الشعور، لا بدُّ أن تكون عبادتهم لله على هذا النحو: فتكون حياتهم لله، ويكون موتهم أيضاً لله.

لا يتحقق للإنسان أن تكون حياته لله إلا إذا عرف الله أولاً، وعبَد نفسه لله ثانياً، حينها سيرى أن هناك ما يشدّه إلى أن تكون حياته كلها لله، سيرى بأنه فخر له أن ينذر حياته كلها لله، سيرى نفسه تتطلق في هذا الميدان برغبة وارتياح، أن ينذر حياته لله فتكون حركته في الحياة، تقلباته، مسيرته في الحياة كلها من أجل الله وعلى هديه تعالى وإلى ما يحقُّ رضاه سبحانه وتعالى.

أعتقد أننا نجهل كثيراً مسألة: أن ينذر الإنسان موته لله، وأنَّ المطلوب منه كمسلم أن يقتدي بأول المسلمين وهو رسول الله ﷺ حيث كانت حياته ومماته لله.

الآية لا تعني أن الله هو مالك حياتي، والله هو مالك موتي فحسب كما قد يفسرها البعض! الآية وردت في سياق الحديث عن العبادة، جاء قبلها: صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ لو كانت المسألة هي حديث عن أن حياتنا هي بيد الله، وأنَّ موتنا هو بيد الله كيف يمكن أن يقول: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أنا أمرت أن تكون حياتي لله، لا يصحُّ أن يقال: أمرت أن تكون حياتي بيد الله؛ لأنَّ هذه قضية لا تحتاج إلى أمر، هي بيد الله حتماً من دون أمر.

أمرتُ أن يكون مماتي لله، أن يكون ممات الإنسان لله هو عندما يُجَدُّ نفسه لله سبحانه وتعالى، عندما يطلب الشهادة في سبيل الله، عندما يستعدُّ للشهادة في سبيل الله، عندما يكون موطنًا نفسه أن يموت في سبيل الله.

فأنا لا أتصوّر معنى آخر يمكن أن يحقّق للإنسان أن يكون موته لله إلا على هذا النحو وليس فقط أن يكون مستعدًّا، بل يسعى لأن يكون موته في سبيل الله، وأن يحظى بالشهادة في سبيله، وهذه هي صفة القرآن الكريم التي جعلها من الصفات اللازمة للمؤمنين أن لديهم هذا الشعور، هو الشعور نفسه الذي تهرب منه، هو الشعور نفسه الذي قد ينصحنا حتّى بعض المتديّنين به (بطل^(١)، ما لك حاجة، امش على شغلك وعملك... إلى آخره).

بينما القرآن الكريم والله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يصف عبادة المؤمنين بأنهم هم من يعرضون أنفسهم للبيع عندما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْحَيَّةُ﴾^(١) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبَعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٢) وهذه الآية: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) أليس هذا يعني: أن المؤمنين هم دائمًا يحملون هذا الشعور، هو: أنهم يذرون حياتهم لله وأن يموتوا في سبيله؟

ولا يمكن للمؤمنين أن يعلوا كلمة الله، وأن يكونوا أنصارًا لله، وأن يكونوا بشكل أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ما لم يكن لديهم هذا الشعور هو: أنهم نذروا حياتهم وموتهم لله، هو أنهم يريدون أن يموتوا في سبيل الله.

(١) بطل، من اللهجة العامية، ويعني، اتزك. ما لك حاجة، لا شأن لك.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٠٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٦٢.

من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده - وهو يفتح أمامهم المجالات الواسعة والمتعددة لما يحصلون من ورائه على رضوانه وعلى ما وعد به أوليائه - أن فتح أمام الإنسان إمكانيّة أن يستثمر حتى موته الذي هو حتميّة لا بدّ منها. الموت قضيّة لا بدّ منها لكلّ إنسان سواء كان بارّاً أو فاجرًا، كبيرًا أو صغيرًا لا بدّ أن يموت، فإنّ الله برحمته فتح أمام الإنسان هذا الباب العظيم هو: إمكانيّة أن يستثمر موته على أعلى وأرقى درجة.

فعندما يكون لدى الإنسان هذا الشعور: نذر حياته لله ونذر موته لله فهو فعلاً استثمار حياته، واستثمر مماته، استفاد من حياته، استفاد من موته، جعل حياته وموته عملاً في سبيل تحقيق رضوان الله سبحانه وتعالى، وأن يحظى بالقرب منه، وأن يفوز بالنعيم الذي أعدّه لأوليائه.

عندما يفكر أيّ واحد منّا، وينظر هل أنّه فعلاً سيموت؟ كلّ واحد منّا متأكّد من أنّه سيموت ومهما طال به العمر؛ إذًا، إذا كان الله سبحانه وتعالى قد فتح لنا المجال للاستفادة حتى من الموت، فلماذا لا يستفد كلّ واحد منّا منه هذا الموت؟! كان بالإمكان أن يكون الموت قضيّة عاديّة، نهاية لا يرتبط بها شيء في ذاتها، لا يمكن أن تُستثمر؛ لكنّ الله سبحانه وتعالى الرحيم بعباده، الرحيم بأوليائه جعل الموت على هذا النحو.

فأن تكون صادقًا في اقتفائك لأثر رسول الله ﷺ في الاقتداء به هو أن تنذر حياتك لله، وتنذر موتك لله. ليس فقط هو أن أبحث عن كيف كان رسول الله ﷺ (يَتَمَسُوك) (١)؟ أو كيف كان يؤدّي أعمالاً أخرى؟! هذا شيء آخر. وأن تقتدي به ﷺ هو أن تبحث عن أيّ شيء يخصّه في ميادين العمل وبذل الجهد إلى غيرها من الأعمال تقوم بها على أعلى مستوى.

فما أمر به رسول الله ﷺ نحن أمرنا بأن نقتدي به، فما هو في مجال العمل في سبيل الله لا يخصّ الرسول ﷺ وحده، بل التكليف في مجال

(١) يَتَمَسُوك، يستخدم السواك.

العمل على أرقى مستوى، أن يبذل جُهدَه على أعلى ما يمكن في سبيل الله، وبذلك يستحقَّ لقب: أنه باع نفسه لله.

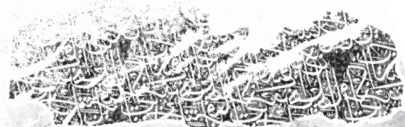
فلو أنَّها مسألة مختصة بالرسول ﷺ لما ذكرها في مقام آخر من الصفات التي أثنى على عباده المؤمنين بالتحلي بها ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾^(١) كذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ آتَاكَ مِنَ التَّائِبِينَ فَامْتَحِنْنَاهُمْ لَا يَجْرِي عَلَيْكَ ذِكْرُ مَا أَكْفَرْتُمْ بِمَا وَعَدْتُمْ لَهُمْ وَلَا تَجِدَ أَعْيُنَنَا مُرْتَضِينَ فَمِنْ بَيْنِهِمْ سَخِرَاءٌ وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمَنْ آتَاكَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَاصْبِرْ إِنَّ الصَّبْرَ هُوَ الْبَاقِي﴾^(٢) لاحظوا كيف تؤكد هذه الآية أنَّ المسألة هي أيضًا من الرحمة والرأفة التي منَّ الله سبحانه وتعالى بها على عباده، باع نفسه لله يعني قُتل في سبيله، عانى في سبيله، تعب، بذل مُهجته في سبيله قال بعدها: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ هو رؤوف بهم إلى درجة أنه فتح أمامهم فرصة أن يستثمروا موتهم، اشتري منهم أنفسهم التي باعوها لأجله وابتغاء مرضاته.

إنَّ الرأفة والرحمة بالإنسان تتحقق بأن يفتح الله أمامه المجالات الواسعة والمتعددة؛ ليحظى بالقرب منه، برضوانه، بالنعيم الدائم في الجنة، بالسعادة الأبدية في الجنة، هذه هي الرحمة، إضافة إلى مظاهر الرحمة في الدنيا التي تتحقق للإنسان في هذه الدنيا وهي كثيرة جدًا.

فالمسألة إذاً ممَّا لا يمكن أن نقول إنها مختصة بالرسول ﷺ لكن ما دام الرسول قد أمرَ به فنحن كذلك مأمورون بأن نندُر حياتنا لله، وندُر مماتنا لله، وحينئذٍ بعد هذه الآية كلُّ من يحاول معك أن يُقعدك عن عمل، أن يُخوِّفك، أن يُبْطِطك فافهم أنه يعمل على أن يحولَ بينك وبين أن تؤدِّي هذا الأمر الإلهي الذي هو شرف عظيم لك، ونعمة عظيمة عليك، أن تندُر موتك لله، أن تندُر حياتك أولاً وتندُر موتك ثانيًا لله سبحانه وتعالى، وما أكثر ما يحصل هذا! مثلًا في هذا الزمن، والكثير منكم شباب فيما أعتقد، إذا نظرنا

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٧.



إلى أمثال لكم في معسكرات في مناطق أخرى مشى بهم الحال وسوء الحظ إلى أن تُنذر حياتهم - سواءً رضوا أو لم يرضوا - في سبيل من؟ في سبيل (أمريكا) في سبيل (إسرائيل).

والبشر الآن، الشباب الآن، أنتم الشباب بالذات أمام مرحلة فيما أعتقد: إمّا أن يكون الإنسان قد رسم لنفسه أن تكون حياته وموته لله، وإلا فستكون حياته وموته من أجل أمريكا، الشباب مقبلون على هذه القضية.

ستكون ممّن ينذر حياته لأمريكا لو أنت في معسكر فتُكلّف أن تخرج ضمن حملة على منطقة معيّنة يقال: فيها إرهابيون، أو تكون أنت معلّم ممّن يجمّد الناس، ويهدئ الناس، ويُنَبِّط عزيّمتهم، ألا تعمل هنا لمصلحة أمريكا؟ أو أن تتفوّه بكلام يجعل الآخرون يعزفون عن الجهاد ألا يؤدّي كلّ هذا العمل إلى قعود الناس وخنوعهم؟ أليس ذلك خدمة للأعداء؟ فتكون أنت قد نذرت حياتك في سبيل أمريكا، وستموت في سبيل أمريكا، يكون موتك خدمة لأمريكا لأنّ حياتك لم تكن مؤثّرة بما يكفي، وكذا مماتك.

فإنسان إذا لم يتفهّم من الآن ونحن في هذه المرحلة والكثير منكم في مقتبل العمر لا يزالون شبابًا، طلابًا. اليهود عندهم قدرة أن يتقفوا الناس حتى يقتنعوهم لينذروا حياتهم لهم، فالجندي يتحرّك بغضب وشراسة، ويضرب بيت أخ مسلم له، يقتل، يُدمّر، ينهب، وهو في الوقت نفسه - سواءً فهم أو لم يفهم - يخدم أمريكا، ومجال خدمتهم واسع، يمكن للمعلّم ذلك، المرشد، حتّى التاجر نفسه سيخرج من أمواله مبالغ كبيرة خدمة لأمريكا.

والله سبحانه وتعالى يريد منّا - لأنّه رحيم بنا - أن نفهم بأنّه يجب أن ننذر حياتنا له، فمتى ما نذرت حياتك لله خاصّة وأنت تعرف النهج الذي تسير عليه وتعرف الصراط المستقيم الذي يجسّد ما أنت عليه من أنّك قد نذرت حياتك لله سبحانه وتعالى؛ وحينئذٍ لن تسير على طريق آخر، لن تجعل حياتك في خدمة الطغيان، لن تجعل حياتك في خدمة أعداء الله سبحانه وتعالى.

إذا كنت أيضاً قد نذرت موتك لله فأنت من سينطلق في سبيل إعلاء كلمة الله، في نصر دين الله في دفع أعداء الله، في محاربة أعداء الله؛ لأنه لم يعد لديك خوف من الموت، أنت قد اتخذت لنفسك قراراً أن تستثمر موتك، وأنتك قد نذرت موتك لله.

وهذه القضية إذا تأملها الإنسان سيرى بأنّها قضية من الحمافة ألا تحصل لدى أيّ إنسان منّا. من الحمافة ألا يكون أيّ مؤمن قد نذر موته لله، لماذا؟ لأنّ الموت قضية لا بدّ منها أليس كذلك؟ الموت قضية لا بدّ منها، وستموت إمّا بالموت الطبيعي أو تموت على يد أعداء الله، إذا كان الأمر على هذا النحو فقد يكون الخوف لدى بعض الناس ليس لتصوّر الألم، وإنما لاستشعار أنّه يريد أن يبقى حيّاً، يتشبّث بالحياة، يحسّ بها، لا يريد أن يدخل في غيبوبة مطلقة.

فالمسألة إذاً: الله سبحانه وتعالى قد منح الشهيد الحياة الأبدية منذ أن تفارق روحه جسده عندما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١). إذا، فالخسارة الحقيقية هي: أن يكون الإنسان متهرباً من الحياة الأبدية، وكنت تخاف من الموت؛ فإنّ المفترض منك هو أن تكون ممّن يحرص على أن يكون حيّاً فلا يدخل في غيبوبة مطلقة من بعد أن تفارق روحه جسده، ستكون حيّاً.

ونخلص إلى قضية باعتبارنا طلاب علم، وأنّ طالب العلم إذا لم يكن يريد من وراء طلب العلم أن يكون على هذا النحو: أن تكون صلاته ونُسكته وحياته وموته لله ربّ العالمين، فلا فائدة في علمه، لا فائدة في حياته، لا فائدة من موته، لا فائدة في عبادته»^(٢).

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٢) السيّد حسين بدر الدين الحوثي - محياي ومماتي لله.

ثالثاً- مدرسة الشهادة

«ما وراء الشهادة من قيم ومن مبادئ الروحية التي كان عليها الشهداء مدرسة متكاملة، مدرسة غنيّة بالمفاهيم العظيمة، مدرسة كلٌّ مَنْ تخرّج منها خرج شامخ الرأس ثابت الإيمان عزيز النفس، لا يتراجع ولا يتأثر بأيّ ظروف مهما كانت، يُواجه كلّ التحديات ولا يأبه لكلّ الطغاة والمستكبرين.

الشهيد عندما انطلق في ميدان الصراع بإبائه وعزيمته وإيمانه، بموقفه المُتميّز والعظيم كان يحمل في نفسه قيم القرآن، وأخلاق القرآن، وروحية القرآن، والتأثر بالأنبياء العظام، لم يكن تحركه تحركاً تلقائياً! لا، وراء تحركه الإيمان بكل ما فيه من روحية عالية، وقيم عظيمة، ومبادئ الحق، مبادئ الصدق، مبادئ النور.

حمل الشهيد الإيمان في قلبه قبل أن يحمل السلاح في يده، وكان سلاح الإيمان أقوى من السلاح الذي حمله في يده، وعندما توجه إلى الله توجه بصدق، بجِدِّ يعي قضيتته، يعي موقفه، يُدرك مصيره واتجاهه، فانطلق بثبات واستبشارٍ بانعًا نفسه لله سبحانه وتعالى، واستند في موقفه إلى أسس مهمّة جدًّا في مقدّماتها الجانب الإيماني.

الشهيد الذي تحرك في ميدان الصراع كان إيمانه بالله سبحانه وتعالى حافزاً أساسياً، وأعطاه قوّة إرادة، وقوّة موقف وثبات في الميدان، أعطاه روحية عالية جعلته كبيراً أمام أولئك الأدلّيين الذين يرى فيهم الكثير من الناس أنّهم هم الكبار، أعطته عزيمة لم يلبس بعدها، وثباتاً لم يتزحزح بعده.

فالإنسان المؤمن هو من لازم إيمانه وباع نفسه لله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾^(١) هكذا هو الشهيد: الشهيد مؤمن، ولأنه مؤمن فقد باع نفسه لله. ليس هناك إيمان حقيقي، إيمان واع، إيمان كامل يأبى فيه الإنسان أن يبيع نفسه لله ويخل فيها. ليس هناك إيمان صحيح حقيقي كامل على هذا النحو الذي نرى عليه الكثير من الناس ممن يتظاهرون بالتدين ويأخذون ببعض آداب الإسلام وسننه ثم يتباعدون عن أساسيات الإسلام.

الإيمان الحقيقي هو هكذا، المؤمنون كما حكى الله عنهم وأخبر: هم قوم وصلوا في علاقتهم مع الله؛ علاقتهم الإيمانية إلى هذا المستوى: دخلوا في صفقة عظيمة مع الله سبحانه وتعالى فباعوا أنفسهم لمالكها لرَبِّها لخالقها لبارئها ممن مصيرها إليه ومعادها إليه ومرجعها إليه. باعوا أنفسهم لله سبحانه وتعالى، والبيع هذا صفقة عظيمة يُجلِّبها ويُحقِّقها موقف وجهاد وتضحية، ليست مجرد كلام في كلام، لا!

هذه هي الصفقة، وهذا ما يحقِّقها، هنا يكون التسليم للسلعة بعد البيع لله سبحانه وتعالى ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ يُسلمون أنفسهم التي باعوها لرَبِّهم ومالكهم وإلههم، وهي بيعة و صفقة عجيبة جدًّا، صفقة لم يخسر فيها البائع، مع أنك كمؤمن تباع نفسك لله، لكنها صفقة رابحة وعظيمة، أنت فيها الراجح، أنت فيها الفائز؛ لأنَّ الله غنيٌّ عن العالمين، أنت من كسبت حياة أبدية وعزًّا خالدًا، ونعيمًا لا ينتهي ولا يتلاشى، أرقى نعيم وأسمى مقام، أنت من حُزت الشرف الكبير من ربِّ العالمين^(٢).

«هكذا نجد أنَّ الشهداء عندما انطلقوا في ميادين الجهاد في مواجهة قُوى البغي والعدوان والعمالة والنفاق انطلقوا بإيمانهم، يبيعون أنفسهم لله

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٤هـ.

سبحانه وتعالى ويسلمون السلعة لمالكها الذي اشتراها، وهكذا هو شأن الإنسان المؤمن، وهذه حقيقة يجب أن تُرسخها في أنفسنا: شأن الإنسان المؤمن أن يبيع نفسه وأن يكون حاضرًا مستعدًّا في أيِّ وقت في أيِّ لحظة لتسليم هذه السلعة إلى بارئها العظيم ومالكها جلَّ شأنه، إلى الله العظيم.

وهم عندما انطلقوا بإيمانهم بالله محبُّون لله، هذا الحبُّ العظيم لله ربِّ العالمين جعلهم يذوبون فيه تعالى، واندفاعهم في مواقفهم في جهادهم في تضحيتهم جعل عندهم استعدادًا أن يفارقوا كلَّ ما يحبُّون.

هم لهم مشاعر، الشهيد لديه مشاعر ولديه عواطف يحبُّ أهله، وأصدقاءه، هو يحبُّ متعلقات حياته، لكنَّه يحبُّها في مستواها، أمَّا حبُّه الأكبر والأعظم فهو لله العلي العظيم، يحبُّ الله أكثر ممَّا يحبُّ أيَّ شيءٍ آخر، وحبُّه لله حبُّه الكبير لله سبحانه وتعالى جعل عنده الاستعداد أن يفارق كلَّ ما يحبُّ للوصول إلى الحبيب العظيم إلى الله سبحانه وتعالى.

وإلا الإنسان عندما يفوق ويغلب حبُّه لمتعلقات حياته من قرابة أو تجارة أو مسكن أو أيَّ شيءٍ أكثر من حبِّه لله يفوق حبِّه لله حينها يُقيد بقيود الحبِّ لمتعلقات هذه الحياة الدنيا، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١) والله لا يهدي القوم الفاسقين.

إن كان هناك شيءٌ من هذه المتعلقات؛ متعلقات الحياة من قرابة أو مال أو مسكن أو تجارة أو أيَّ شيءٍ أحبَّ إليك من الله أو رسوله والجهاد في سبيله فحينئذٍ أنت بعيد عن خطِّ الإيمان، أنت من يمكن أن تُقيد بهذه

(١) سورة التوبة، الآية ٢٤.

القيود في حُبِّك ومشاعرك واندفاعك وتعلُّقك فترضخ للباطل، وتبتعد عن الله سبحانه وتعالى، معناه: أنّ عندك قصورًا كبيرًا، ما الذي يدفعك إلى حُبِّ الأشياء الأخرى أكثر من الحُبِّ لله؟!»^(١).

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾^(٢) لآئها كلّها حياة والحياة الآخرة هي أعظم من الحياة الدنيا ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣) فهو يوجّه إلى ما هو خير للإنسان سواء تحقّق فتح على يده أو قتل في سبيل الله.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(٤)، ﴿فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾^(٥)، هذا حتّى آخر في سبيل إنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يعرفون وضّعتهم ويتمنّون أن يكون لديهم ما يُمكنهم من مواجهة الوضع الذي هم فيه.

إنّ تشخيص الفرد كمستضعف له اعتباراته، فالمستضعفين الذين يحثّ القرآن على الدفاع عنهم ليسوا ممّن لا يهتمهم الوضع ولا يعتبرون أنفسهم مستائين ممّا هم فيه بل أولئك الذين يزعجهم ما هم عليه ويتمنّون أن يكون لديهم وليّ ونصير يتحرّكون معه ليغيّروا حالهم. إذا المستضعفون الذين يتحدّث عنهم القرآن ليسوا الذين يُضربون ويُدلون ولا يشعرون بالإهانة والذلّ أو أولئك الذي يعارضون أعمال الجهاد خوفًا من العدوّ وهو مع ذلك يستضعفه ويقهره ومثّجه لإهانتته وهتك عرضه؛ بل هذه الآية تكشف في

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٤هـ.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٤.

(٣) سورة النساء، الآية ٧٤.

(٤) سورة النساء، الآية ٧٥.

(٥) سورة النساء، الآية ٧١.

مجملها عن مشاعر ورؤية مستضعفين يتذمرون من حالهم، ويعرفون الجهة التي تشكل إنقاذاً لهم ومخرجاً من الوضعية السيئة التي هم فيها لكن ينقصهم المدد. هؤلاء المستضعفون هم الذين يعدهم الله بالإنقاذ ويأمر المؤمنين المتمكنين في المقلب الآخر أو يساندوهم ويعملوا لتحريرهم وإنقاذهم.

أما المستضعفون الآخرون فإنهم يكونون هم الضحية؛ لأنّ مواقفهم تتصح في الأخير ميداناً للتضليل، وللخداع، ويأتي من جانبهم أشياء كثيرة تعتبر سنداً للعدوّ، هؤلاء يُداسون، ويضيعون ويسلّط الله عليهم من لا يرحمهم؛ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾^(١).

إذاً، هذا فاصل في الموضوع؛ فالمؤمنون يجب أن يكونوا مقاتلين في سبيل الله، والكافرون هم عادة مقاتلون في سبيل الطاغوت، فيعطي أملاً للمؤمنين بأنّ الله هو الوليّ والنصير، وكفى به وليّاً وكفى به نصيراً وهو القدير وهو القويّ العزيز إلى آخر الوعود التي ذكرها في كتابه، والكافرون مهما كانوا ومهما بلغت قوتهم فيهم نقطة ضعف كبيرة جداً: أنّهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، وكونهم أولياء للشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٢).

أما المؤمنون الحقيقيون فنقطة قوتهم عملهم في سبيل الله، واعتمادهم واتكالهم عليه سبحانه أنّه سينصرهم، وهذه إيجابيّة كبيرة، وهذه النقطة تُمكنك من أن تتغلّب على الطرف الآخر وتقهره؛ ولهذا قال بعد: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ بمعنى أنّ كونهم يقاتلون في سبيل الطاغوت نقطة ضعف كبيرة جداً لديهم تهيئهم لأن يُهزموا ويُقهروا، ثمّ قال بعدها: ﴿إِنَّ كَيْدَ

(١) سورة النساء، الآية ٧٦.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٦.

الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿ أليس هذا تشخيصًا للعدو؟ يشخص للناس المؤمنين كيف سيكون العدو ونفسيته وواقعه»^(١).

والشهيد هو من الفئة التي تمتلك نقطة القوة، يقول السيد حسين: «فالشهيد يحب الله فوق كل شيء ويخاف من الله فوق كل شيء، لو كان يخاف من الآخرين أكثر من خوفه من الله لكان خوفه منهم عائقًا كبيرًا له عن التحرك في ميدان الجهاد والمواجهة، لكنَّ الشهيد لخوفه العظيم من الله ذاب منه الخوف من الآخرين، فتحدى قوى الكفر والطغيان والنفاق والعمالة، ولم يبالي بهم، ولم يكتنر لجبروتهم أبدًا.

وهو راغب إلى الله، مُتَطَلِّعٌ للخير الذي وعد الله به عباده المؤمنين المجاهدين الجنة، رضوان الله الذي هو أكبر فوز وأعظم مَعْتَمٍ وأجل مكسب رضوان الله، الجنة كلها واحدة من مظاهر رضوان الله سبحانه وتعالى.

كما إنه تحرك في ميدان الجهاد مُصَدِّقًا بوعد الله، واثقًا كل الثقة وأدرك أن ما وعد الله به حقيقة، وأنَّ وعده تعالى لا يتخلف ولا يتبدل ولا يتغير، وأنه مسار حقيقي نهايته المحتومة هي رضا الله سبحانه وتعالى والجنة.

الشهيد يدرك يقينًا لوعد الله العظيم للشهداء بالجنة، أشار إليه القرآن حقيقة حتمية ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾^(٢)؛ فيستند الشهيد إلى هذا الإيمان، إلى هذه الروحية فيتحرك واثقًا بالله ومؤمنًا به، ولديه نظرة حقيقية إلى واقع هذه الحياة، هو يدرك أن هذه الحياة الدنيا حياة مؤقتة مكتوب فيها الفناء

(١) السيد حسين بدر الدين الحوثي، سورة النساء، الدرس الثامن عشر.

(٢) سورة الأنفال، الآية ١١١.

لا أحد يبقى فيها، أو أنه لا أحد يرحل من هذه الحياة إلا الشهداء أمّا الباقون فخالدون؟ لا»^(١).

فعضمة الشهادة تكمن في الخلود والحياة الأبدية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) وقال أيضاً: ﴿وَلَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) تحدث عن المؤمنين أيًا كانوا؛ استشهدوا، جرحوا، جاهدوا ولا زالوا، مؤمنون يقفون موقف حق في مواجهة دعاية معينة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٦). في هذا، يتبين عظمة الشهادة، وفضلها في سبيل الله، الذين قتلوا في سبيل الله؛ لأنّ المنافقين يقولون في الواقع: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾^(٧) هؤلاء الذين تقولون عنهم لو أطاعوا الباطل ما قتلوا هم حظوا بفضل عظيم ومقام رفيع، درجة عالية.

هم أحياء لا يقال لهم أموات ولا تظنّ بأنهم ماتوا، هم أحياء بما تعنيه الكلمة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الله أعلم في أيّ مكان في الجنة هم، أو في كوكب آخر الله أعلم أين، المهمّ أنّهم في مكان رفيع، ﴿يُرْزَقُونَ﴾^(٨) وعلى ما يبدو هي حياة كاملة، حياة حقيقية، ﴿فَرِحِينَ﴾^(٩) ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾^(١٠) أليست

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٤ هـ.

(٢) سورة آل عمران، الآيات ١٦٩ - ١٧١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٧٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٦٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٧٠.

(٨) سورة آل عمران، الآية ١٧٠.

هذه عبارات تدلّ على الحياة الحقيقيّة؟ أيضًا مستبشرين بالنسبة لمن بعدهم من المؤمنين الذين يجاهدون في نفس الطريق التي استشهدوا هم فيها ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) لا يُخاف عليهم ولا يُحزن، ومَن يلحق بهم في سبيل الله ينال نفس الدرجة.

وقول المنافقين: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾^(٢) معناه أنّهم يعتبرون رؤيتهم صحيحة، وكان الأفضل للمؤمنين ألا يقتلوا أي ألا ينالوا هذه الدرجة الرفيعة؛ هذه الحياة الأبديّة عند الله، يرزقون، فرحين، مستبشرين، ومعناه أيضًا أنّ على المؤمنين مواجهة محاولة تنيهم عن القتال في سبيل الله وهذه الحملة التي يقوم بها المنافقون تجاه هذا الخطّ وهذه الفضيلة.

فهل يمكن أن يكون ناصحًا أو يكون رأيه صحيحًا وصائبًا مَن تكون توجيهاته تحول بين الإنسان وبين مقام رفيع وفضل عظيم؛ أبدًا، لا يمكن أن يسمّى ناصحًا وإن كان هو ناصح في الوقت نفسه لكن منطقه ليس منطق الناصح ولا يعرف كيف ينصح، قد يصدر مثلًا من قريب لك يوجهك أن تترك أشياء كثيرة، لكن يجب أن تفهم بأنّ ما يقوله هو من واقع النصيحة. ولو كان يعرف هذا الفضل العظيم - إذا كان ناصحًا لك - المفروض بأن يدفعك إلى أن تناله، أمّا إذا كان منافقًا يوبّخك توبيخًا.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) إذا بدل هذه الحياة على الأرض نالوا حياة في عالم آخر أرقى وأفضل، ويكفي أنّ فيها الأمن أن يعرف مصيره أنّه من أهل الجنّة ولا خوف عليه ولا حزن. هذه في حدّ ذاتها تعتبر نعمة كبيرة جدًّا؛ لأنّ الإنسان في الأرض هنا يكون قلقًا، يعني لا يعرف كيف ستكون نهايته، ليس عنده ضمانّة

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٧١.

مؤكدة تمامًا بأنه إلى الجنة وإن كان في طريقها، لا يعرف كيف ستكون النهاية بالنسبة له، أما الشهيد فهو حيٌّ وقد عرف أنه من أهل الجنة، وفي الوقت نفسه هو في جنة، الجنة الحقيقية، أو جنة أخرى، لم يعد هناك موت بالنسبة له، ولم يعد هناك قلق على الإطلاق، هذه الحالة وحدها تعتبر نعمة كبيرة جدًا أنه قد أمن عذاب الله، قد أمن جهنم، قد أمن من سوء الحساب، قد أصبح يقطع بأنه من أهل الجنة»^(١).

فالشهادة في سبيل الله نصر شخصي ف «المؤمن هدفه هو أن يحصل على رضى الله، وأن يكسب رضاه، وأن يكون في أعماله ما يحقق ذلك الرضا، وأن النصر الذي ينشده هو نصر القضية التي يتحرك من أجلها، هي تلك القضية التي تتطلب منه أن يبذل نفسه وماله، فإذا كان مطلوب منك أن تبذل نفسك ومالك فهل ذلك يعني بالنسبة لك نصرًا ماديًا شخصيًا؟ الذي يبذل ماله ونفسه فيقتل في سبيل الله، هل حصل له نصر مادي شخصي؟ هو انتصر للقضية، حصل على الغاية التي ينشدها، حتى وإن كان صريعًا فوق الرمضاء، ألم يصبح شهيدًا؟ حظي بتلك الكرامة العظيمة التي وعد الله بها الشهداء، دمه ودم أمثاله، روحه وروح أمثاله، أليست هي الوسيلة المهمة لتحقيق النصر للقضية؟

المؤمن لا ينظر إلى نفسه، النصر والمقصد الشخصي، قضيته الخاصة، خطته المعيّنة، موقفه الخاص. المسيرة هي المسيرة الطويلة: العمل على إعلاء كلمة الله، النصر لدين الله، في هذه المرة أو في المرة الثانية أو في المرة الثالثة، إن لم يكن على يديك أنت فقد يكون على يد آخرين ممن هيأتهم أنت، وهكذا.. حتى تنتصر، ولا بد أن يتحقق النصر.

فأنت منتصر أيضًا عندما تسقط شهيدًا في سبيل الله، أنت عملت ما عليك أن تعمله فبذلت نفسك ومالك في سبيل الله. فإن يرى المسلمون، أو يرى المؤمنون بعضهم صرعى في ميادين الجهاد، كما حصل في يوم أُحد، ألم

(١) السيد حسين بدر الدين الحوثي من ملزمة، الآية سورة آل عمران، الدرس السادس عشر.

يتألم رسول الله ﷺ عندما رأى حمزة صريعاً؟ وصرع كثير من المجاهدين، ولكن هل توقّف بعدها؟ لم يتوقّف أبداً، وإن كانت تلك خسارة أن يفقد أشخاصاً مهمّين كحمزة لكنّه نصر المسيرة، نصر لحركة الرسالة بأكملها، ولا بدّ في هذه المسيرة أن يسقط شهداء، وإن كانوا على أرفع مستوى.

المهم أن نقول: إنّه في حالات الشدائد قد يضطرب فيها ضعفاء الإيمان، ومن يفقدون نسبة كبيرة من استشعار تنزيه الله سبحانه وتعالى من أن يخلف وعده وهو القائل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١). وفعلاً لو تتوفّر عوامل النصر لدى فئة، تكون على المستوى المطلوب، ويوفّقون أيضاً من الأسباب الماديّة ما يمكن أن يوفّقوه، لا شك أنّ هؤلاء سيحقّقون نصراً كبيراً.

ولا يعني النصر: هو ألاّ يتعبوا، ألاّ يُستشهد منهم البعض أو الكثير، ولا يعني النصر هو ألاّ يحصل لهم من جانب العدوّ مضايقات كثيرة، ولا يعني النصر: هو ألاّ يحصل منهم سجناء. إنهم مجاهدون، والمجاهد مستعدّ لماذا؟ أن يتحمّل كلّ الشدائد في سبيل الانتصار للقضيّة التي من أجلها انطلق مجاهدًا، وهو دين الله.

عمار بن ياسر في أيام صفين كان يقول: (والله لو ضربونا حتى يبلّغوا بنا سَعَفَاتِ هَجْرٍ^(٢) لعلمنا أنّنا على الحقّ وأنهم على الباطل). يقول: لو هزمنا معاوية وجيشه حتى يصلوا بنا البحرين لَمَا ارتبنا أبداً في أنّهم على باطل وأننا على حق. إنسان واع، إنسان فاهم، يعرف طبيعة الصراع، يعرف ميادين الجهاد التي تتطلّب هذا النوع من المواجهة، يحصل فيها حالات كَرٍّ وفر، يحصل حالات تداول في الأيام فيما بين الناس، يحصل كذا ويحصل كذا.

فهو لا ينطلق على أساس فهم قاصر للمسألة، أن يفهم قول الله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ إذا سيتحرك وبالتالي فلن يلاقي أيّ صعوبة،

(١) سورة الحجّ، الآية ٤٠.

(٢) سَعَفَاتِ هَجْرٍ مزرعة نخيل في الأحساء بالقطيف.

وأنّ معنى تأييد الله هو إمداد غيبي له بحيث لا يلاقي أيّ عناء.. ليس هذا هو الفهم المطلوب.. أنت واثق من المسيرة التي تسير عليها أنّها مسيرة حقّ، والمواقف التي تتحرّك فيها أنّها مواقف حقّ، هذا شيء مهمّ، ثمّ ثق، وعندما تثق هل تثق بنصرك شخصيًّا؟ يجب أن تلغى، وإلاّ فسيكون من ينظرون إلى أنفسهم شخصيًّا، أن يتحقّق لهم شخصيًّا كلّ تلك الوعود فهم من قد يُضطربون عند أوّل شدّة يواجهونها.

انظر لماذا تتحرّك؟ هل أنت تتحرّك في سبيل الله؟ ألم تكن هذه العبارة هي التي تكثرت في القرآن الكريم بعد كلمة: ﴿يَجْهَدُونَ، جَاهِدُوا، جَاهِدُوا﴾؟ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فِي اللَّهِ﴾ هذه هي الغاية، هو الهدف الذي من أجله أتحرّك، أنا أتحرّك في سبيل الله، وأنّ التحرك في هذا الميدان يتطلّب منّي أن أصل إلى استعداد بأن أ بذل نفسي ومالي. أليس معنى ذلك إلغاء النظرة الشخصيّة والمكسب الشخصي؟ أن أتحرّك في هذا الميدان لأحقّق النصر لدين الله، والعمل لإعلاء كلمته وإن كان ذلك بماذا؟ بذل نفسي ومالي، أليس معناها التلاشي؟ التلاشي المادّي بالنسبة لي؟ وجودي، جسدي، وماديات أموالي، أليس المعنى هكذا؟

إذا فليس هناك مجال للتفكير في النصر الشخصي، كلّ شخص ينطلق على أساس أنّه يريد أن يتحقّق له النصر الشخصي. لا. ربّما قد يكون مكتوب لك أن تكون من الشهداء، هذا هو النصر الشخصي، النصر الشخصي بالنسبة لك حتّى لو لم تكتمل المسيرة، أو جُبن الآخرون من ورائك، تبقى صامدًا لتحقّق النصر، قمت بالعمل الذي يُراد منك أن تقوم به، وبذلت كلّ ما بإمكانك أن تبذله، فأنت قد نصرت القضية على أعلى مستوى، وتحقّق لك النصر، أو ليس نصرًا عظيمًا أن تكتب عند الله من الشهداء، أليس هذا هو نصر؟»^(١).

(١) السيّد حسين بدر الدين الحوثي، من ملزمة معنى التسبيح.

«عندما نأتي لتأمل في الواقع نرى أنّ هناك ثلاث حالات يعني: ليس فقط مَنْ يُقْتَل هم الشهداء، أو أنه لا يمكن أن يُقْتَل إلا من ينطلق في خطّ الشهادة والجهاد، لا.

هناك ثلاث حالات في واقع الأمة:

الحالة الأولى: يُقْتَل فيها البعض وهو في حال استسلام، في حال خضوع من دون تبنّي أيّ موقف، ولا هو قائم بمسؤوليّته، وهو في حالة تقبّل لهيمنة الأعداء ولقهرهم، وفي حالة ذلّ وهوان، هذا حصل للكثير من الناس، حصل لمئات الآلاف يقتلون وهم على هذه الحال. مئات الآلاف في بلدان العالم الإسلامي في المنطقة العربيّة وغيرها، في العراق، في أفغانستان، في الصومال، في اليمن، الآلاف يقتلون، وإذا جئنا بشكل عامّ في واقع المسلمين فمئات الآلاف يُقْتَلون وهم في حال ذلّ، واستسلام، وعجز، وصمت، لم يتبنّوا أيّ موقف ضدّ الأعداء.

في فلسطين أيضًا، كم يُقْتَل من الفلسطينيين من غير المجاهدين، من الساكتين، من الصامتين، من المستسلمين، من المتقبّلين لهيمنة العدو، ومع ذلك يُقْتَلون ويخسرون حياتهم ووجودهم، وكذلك مستقبلهم عند الله سبحانه وتعالى لقاء تقصيرهم في مسؤولياتهم وتقبّلهم لهيمنة الظلم والشرّ والفساد والطغيان ورضوخهم للباطل، هذه حالة.

الحالة الثانية: البعض يُقْتَل وهو في موقف أسوأ، وهو في صفّ الباطل خاضعًا للمجرمين والطغاة والمستكبرين يُقدّم حياته قرابين لهم في خدمتهم، لكي يسيطروا، لكي يهيمنوا، لكي يتغلّبوا على أمّته، وهذا حصل. الذين كانوا يقفون في مواجهة هذا المشروع القرآني ويقاتلونهم ألم يقتل منهم الآلاف؟ قُتِلَ منهم الآلاف، قتل في صفّ أمريكا وهو يقاتل الناس لكي لا يقولوا: (الموت لأمريكا) ويموت هو ليسكت صوت (الموت لأمريكا)، آلاف يُقْتَلون والأمريكيّون يحركون عشرات الآلاف من الجيوش العربيّة، ومن المتطوعين،

عُباد المال، الكثير من الناس يبيع حياته ويبيع نفسه ويضحّي ليخسر نفسه ويخسر الدنيا والآخرة.

إذا الآلاف قُتلوا وهم في الموقف الخطأ، في موقف الهلاك والشقاء، في موقف الخدمة والإذعان للأعداء، والاستسلام والخضوع لهم بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال عناوين مختلفة وراءها أمريكا وإسرائيل مثل العناوين الطائفية وما شاكل ذلك.

الحالة الثالثة: هناك قتل في سبيل الله، قتل في سبيل الله، شهداء في موقف العز، في موقف الشرف، المطيعون لله، القائمون بمسؤوليتهم، الذين باعوا أنفسهم لله يوم باع الكثير أنفسهم للشيطان وأوليائه؛ وهؤلاء هم الفائزون، وهذا النهج هو الذي سار فيه شهداؤنا العظماء.

نحن في هذه المسيرة كمجاهدين معنيون أن نسير في هذه الطريق وأن نواصل المشوار وأن نسعى لأن نكون ممن قال الله عنهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾^(١).

شهداؤنا العظماء قد تقدّمونا في بداية المشوار ووصلوا، وفقهم الله وتقبّلهم، وهم هناك في مقامهم العظيم عند الله سبحانه وتعالى ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ قضا نحبهم ووصلوا إلى السعادة الحقيقية إلى النجاة، والتحقوا بالرفيق الأعلى، وبقينا نحن فكيف نكون منتظرين؟ وكيف نحصر على أن تكون العلاقة بين الواصل وبين المنتظر؟ هو هناك يستبشر وأنت هنا منتظر لدورك، ومؤمل وراج لله أن يوفّقك كما وفقهم؛ لتلحق بهم مقبولا عند الله إلى العزة والخير والسعادة والفوز العظيم.

حدّثنا الله عن الشهداء أنهم ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

هُمَّ يَجْزُونَ»^(١) هم في ضيافة الله مستبشرين هناك بإخوتهم المجاهدين السائرين في طريقهم ودرّبهم، ومنتظرين لهم، والمنتظر متطلّع ليصل إلى ما قد وصل إليه أولئك الذين وصلوا وفازوا»^(٢).

«إننا ونحن نستذكر شهداءنا العظام، ندرك أنّ للشهداء في زمننا وفي كلّ زمن الإسهام الحقيقي والأساسي والرئيسي في صناعة كلّ نصر تحقّق للمستضعفين، وفي إعلاء كلمة الحقّ في كلّ عصرٍ وزمنٍ صدع فيه صوت الحقّ ضدّ الباطل، وإسهامهم الحقيقي والأساسي في إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، وإقامة العدل، وفي مواجهة الظلم والطغيان والجبروت في كلّ زمنٍ وفي كلّ عصر، في كلّ مرحلةٍ تحرّك فيها للحقّ والعدل أمةً ومنهجٌ وعلا فيها صوتٌ.

ومن دون الشهداء والشهادة والتضحية ما كان بالإمكان أن يعلو للحقّ صوت، وأن يتحقّق للمستضعفين والمظلومين خلاصٌ، وأن يكسب المستضعفون عزّاً ومجدّاً، وأن يتخلّصوا من هيمنة المجرمين، وما كان بالإمكان دفع الشرّ المُستحكّم، ودفع الغيِّ والظلم وكلّ أشكال الفساد والطغيان بدون تضحية.

كانت التضحية هي الثمن الذي لا بُدَّ منه، لا بُدَّ منه في تخليص الأمة من هيمنة الظالمين والمجرمين، لا بُدَّ منه في مواجهة التحدّيات مهما كان حجمها، لا بُدَّ منه في العمل لتغيير الواقع البئيس والمظلم للأمة، لا بُدَّ منه في السعي للوصول إلى العزّة والكرامة وإلى ما ينشده الناس من عدل وخير وأمن واستقرار.

كان لا بُدَّ من التضحية وكان الذين يُوفّقون لهذه التضحية ولأنّ يدفعوا هذا الثمن هم المُتميّزون في إخلاصهم لله سبحانه وتعالى، في عبوديتهم،

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٠.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٤ هـ.

فيما هم فيه من إيمان عظيم جعلهم دائماً منشدين نحو الله، راجين ومبتغين وساعين للوصول إلى رضوانه وبأيّ ثمن. رضى الله سبحانه وتعالى هو همّهم الأكبر ومبتغاهم الأعظم وطموحهم المهمّ، وغايتهم المنشودة، وكلّ ما يأملون الوصول إليه وما يرومون أن يحققوه بأنفسهم وأن يكسبوه من هذه الحياة في كلّ وجودهم.

فكانوا هكذا: عبّاداً لله سبحانه وتعالى، مخلصين له، مبتغين لمرضاته، منشدين من كلّ وجدانهم ومن أعماق نفوسهم نحو الله سبحانه وتعالى، عرجوا إليه وأملوا وطلبوا منه أن يرضى عنهم وأن يقبلهم وأن يتقبّل منهم حياتهم التي وجدها أعظم ما في أيديهم وما يقتنونه وما يمكن أن يقدّموه هو: الحياة، الوجود؛ هذا الوجود وهذه الحياة راموا ونشدوا أن يقدّموها لله سبحانه وتعالى، وأن يقدّموا أرواحهم، وأنفسهم، وحياتهم، ووجودهم للمالك سبحانه وتعالى الذي أحبّوه فأحبّوا بمقدار محبّتهم له أن يقدّموا له أعلى ما لديهم وهي: النفوس والأرواح.

هكذا كانوا هم ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى فحقّق لهم آمالهم وأصلح لهم بالهم وتقبّلهم ضيوفاً لديه مكرّمين يمنحهم من الإكرام والرّزق والنعيم ما وعد به في كتابه الكريم. أمّا هم فيما هم عليه تجاه أمّتهم وتجاه شعوبهم فهم الذين نشدوا لأمتهم العزة والخلاص من الظلم وأرادوا لها أن تحيا كريمة عزيزة محترمة وتعيش حالة العدل وفي أحضان الخير حتّى لو وهبوا حياتهم في هذا السبيل لتحيا الأمة في المقابل عزيزة كريمة لا مستذلة ولا مغصوبة ولا مهانة.

هم الذين عزّ عليهم أن تُظلم أمّتهم وهم يتفرّجون، وأن تُهضم وهم لا يبالون وأن تستذلّ وتقهر وهم غير مبالين ولا مهتمّين. عزّ عليهم أن تعاني أمّتهم تحت وطأة المعاناة والقهر والاستبداد والاستهداف ثمّ لا ينهضون ليقضوا عنها وليدافعوا عنها وليواجهوا كلّ التحديات والأخطار التي تستهدفها.



فكانوا هم الأذن الصاغية التي أصغت فسمعت الأنين والوجع والألم، وكانوا هم العين الباصرة التي شاهدت مستوى ما تعانيه الأمة من مظلومية كبيرة ومعاناة كثيرة ومأسٍ عظمى، فكانوا هم ذوي الضمير الحي الذي حينما رأى وسمع تحركت فيه العزّة وروح المسؤولية فلم يكونوا من اللامباليين؛ بل تحركت فيهم كلّ مشاعر المحبّة والإعزاز لأمتهم والرحمة والغيرة ولديهم ولمقدّساتهم فتحركوا ابتغاء مرضاة الله وفي سبيل نصرته وخلص أمتهم المظلومة، والمحرومة والمقهورة والمعانية.

وكانوا هم تجاه القيم والمبادئ هم الذين حملوها، هم الذين جسّدوها في واقع الحياة، لم يكن بالإمكان أبداً أن يقبلوا بالإذلال وهم تثقّفوا ثقافة العزّ، وكان العزّ لهم إيماناً حملوه ومبدأً آمنوا به وكذلك خلّقوا تخلّقوا به، وكان الشرف والكرامة لهم - أيضاً - مبدأً وخلقاً حملوه وجداناً وجسّدوه سلوكاً وموقفاً.

وكانوا هم حملة مشروع ينشد للأمة إقامة العدل لحياتها وإقامة الخير في واقعها ومواجهة الشرّ والفساد الذي يستهدفها، هؤلاء هم الشهداء الذين لم يكونوا فقط مجرد ضحايا^(١).

«ولذلك؛ ونحن في شعبنا اليمني العظيم بطبيعة ما نواجه من تحديات وأخطار وفي شعوب منطقتنا العربيّة والإسلاميّة ككلّ نجد دائماً أننا أمة يجب أن نحمي هذه الثقافة وأن نقدّمها ببصيرة ووعي صحيح، وأن نُربي عليها الأجيال وفق المفاهيم الصحيحة؛ لأنّ الأمة تُستهدف في كلّ المبادئ والمفاهيم، في ثقافتها وفي فكرها.

إنّ المفهوم الصحيح للجهاد والاستشهاد هو الذي يمكن بواسطته حماية الأمة ودفع الأخطار عنها ومواجهة ما تواجهه من تحديات كبيرة وأخطار تحيط بها من كلّ جانب.

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٣٦هـ.

وإنَّ للشهداء - كلَّ الشهداء - لشهداء شعبنا اليمني العظيم في مسيرته القرآنيَّة وثورته الشعبيَّة، وفي كلِّ تحرُّكه الذي ينشد العدل ويهتف بصوت الحقِّ ويسعى لتحقيق العدالة؛ لهؤلاء الشهداء المكانة العظيمة في أنفسنا وفي أنفس كلِّ الأحرار والشرفاء الذين يثمنون ويقدرُّون كلَّ هذه التضحية العظيمة.

ونحن نقف أمام بعض المحطَّات في هذا الشَّان وفي مقدِّمتها بعض العناوين ذات الصلة بموضوع الشهادة والشهداء، تُقدِّم الذكرى السنويَّة للشهيد درسًا مهمًّا ودلالة واضحة فيما يتعلَّق بالمظلوميَّة الكبيرة لشعبنا اليمني.

أولاً في مسيرته القرآنيَّة التي منذ بداية تحرُّكها ونشاطها الثقافي والقرآني في مشروعه المتميِّز ووجَّهت بكلِّ أشكال القمع والظلم؛ ولكنَّ الشهداء الذين حملوا ثقافة القرآن الكريم بوعي وبصيرة صحيحة وبفهم حقيقي كانوا هم بجهودهم وعطائهم وصبرهم من أسهموا الإسهام الأساس والكبير في بقاء هذه الثقافة وبقاء هذا المشروع الذي سمعه شعبنا اليمني العظيم والتفَّ حوله وتفاهم معه واطمأن له بعد سعي كبير من قِبَل قوى الظلم والجبروت لعزل هذا المشروع وحصاره والفصل فيما بينه وبين شعبنا اليمني العظيم، لكنَّ شعبنا اليمني العظيم أدرك أنَّ هذا المشروع هو مشروع عدالة للشعب كلِّ الشعب، للأمة كلِّ الأمة، للمستضعفين كلِّ المستضعفين؛ لأنَّه يسعى لخلاص كلِّ المظلومين من مظلوميَّتهم ومعاناتهم، فتحقِّق في نهاية المطاف التفاف شعبي واسع تجاه هذا المشروع الذي ينادي بالحقِّ، بالعزَّة، بالكرامة، بالاستقلال.

وفي كلِّ المراحل الماضية، كانت هناك جولات وجولات من الصراع المُحتدم بُغية وأد هذا المشروع والقضاء عليه وبُغيةً لإنهائه بالكامل، لكنَّه تنامى فصار وعيًّا شعبيًّا متجدِّدًا وروحًا ثوريَّة متأصلة حتَّى عُمِّمت وعلا صوتُها وارتفع شأنُها وتجدَّرت في أعماق الأرض جذورها.



ولذلك؛ يمكن القول إنّ نتائج مهمّة تحقّقت الآن لشعبنا ولولا هذه الثقافة، لولا هذا المشروع القرآني الذي أحيا فينا جميعاً في أوساط شعبنا اليمني الروحيّة العالية والأمل الكبير بالله سبحانه وتعالى وحطم أغلال الخوف والرهبنة لكان واقع بلدنا وشعبنا واقعاً مختلفاً.

هذا البلد الذي حاله حال غيره من البلدان من الاستهداف الكبير من قوى الشرّ والطغيان الذي تشتغل بشكل مباشر وأيضاً من خلال أدواتها وفي مقدّمتها الأداة التكفيرية التي اعتمدت عليها قوى الطغيان الاستكبار لتدمير منطقتنا وارتكاب الجرائم بحقّ شعوبنا واستهداف أمّتنا، وكان بلدنا اليمن في مقدمة البلدان المستهدفة؛ ولذلك تحرّكت هذه اليد الإجرامية التي هي صنعة استخباراتية لصالح أمريكا وإسرائيل والغرب تحرّكت في بلدنا اليمن بشكل ملفت وبشكل ملحوظ، حاله حال سوريا، حال العراق، وكان اليمن في مقدّمة هذا الاستهداف.

هو مستهدف في المقام الأوّل؛ ولأجل ذلك أتى الأمريكيون بالتكفيريين وحشدوهم من مناطق كثيرة من شتى أقطار العالم وجاؤوا بهم إلى هذا البلد ووفّروا لهم السلاح والغطاء السياسي والإعلامي والحضانة الاجتماعية ونشروهم وأمدّوهم بكلّ وسائل القوّة ليتمكّنوا من الهيمنة والسيطرة عليه والفتك بشعبه وارتكاب أبشع الجرائم الفظيعة والمهولة والشنيعة بحقّ أبناء هذا البلد ومن ثمّ التمهيد للاحتلال الخارجي تحت عنوان محاربة (القاعدة) ومحاربة (الإرهاب)»^(١).

«في ظلّ هذا الوضع وأمام هذه التحدّيات والأخطار، نجد أنفسنا في هذه المرحلة نواجه الأزمات والمشاكل التي تهدّد هذا البلد. نحتاج في مواجهتها إلى العزم وإلى روح المسؤولية واستشعارها، نحتاج إلى هذه الثقافة التي تجعلنا نتحرّك ولا ننحني أمام كلّ العواصف والتحدّيات ولا نخضع لأيّ عدوّ أو أيّ خصم يهدّد بلدنا وشعبنا ويروم الهيمنة عليه وإذلاله. أمام جبروت

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٦هـ.

الظالمين والمجرمين لا بُدَّ من هذه الشجاعة وهذا الإقدام وهذا الاستبسال، ولا بُدَّ من هذه التضحية فعلاً بقدر ما كان هناك من تعقيدات في واقع بلدنا الداخلي ومشاكله سياسيّة، ومشاكل ذات صلة بطبيعة التدخّل الخارجي السيّئ والسلبى ضدّ هذا البلد كانت الكلفة كبيرة.

ونجد عدد الشهداء عدداً كبيراً في ظلّ المسيرة القرآنيّة، شهداء في ظلّ الثورة الشعبيّة، الشهداء في ظلّ التحرك الشعبي الواسع من كلّ فئات الشعب، بين هؤلاء الشهداء علماء، بينهم أساتذة جامعات، بينهم طلاب؛ من كلّ فئات الشعب من الفلاح والمزارع ومن صاحب البقالة والعامل من كلّ فئات الشعب، بينهم كبار وصغار وعدد كبير من الشباب في مقتبل العمر، بينهم من استشهدوا ضحايا اغتيالات، بينهم من استشهدوا في ميادين المواجهة للبغي والعدوان لقوى الإجرام، وهكذا في مجالات وفي مسارات وميادين متعدّدة من كلّ فئات وأبناء هذا الشعب.

في ظلّ هذا الواقع، نرى أنّ الكلفة كبيرة؛ ولكن نقول: الكلفة فيما لو استكان شعبنا وخنعت أمتنا واستسلمت كانت ستكون أكبر بكثير. لولا هذا الإباء والعزم وهذه التضحيات الجسام في ميادين العزّة والشرف لمواجهة البغي والعدوان لكان الواقع مختلفاً تماماً، وكان الثمن باهظاً وبكلفة عالية.

لو تمكّن المستكبرون من قوى الاستبداد ومن قوى الإجرام أن يهيمنوا ويُفدّوا كلّ ما يريدونه من مؤامراتهم بحقّ هذا الشعب العزيز لكانت المأساة كبيرة جدّاً ومهولة وفوق أن يتخيّلها الناس، لكان أعداد الضحايا الذين يذبحون يومياً كالخراف كما يحصل في دول رأينا فيها هذه التجربة بالفعل، تجربة الخضوع والاستسلام؛ لكن الكلفة في مقام الموقف والثبات والعزّة والتحرك الجادّ الواعي المسؤول هي أقلّ ولها نتائج إيجابيّة تتحقّق في الواقع.

ونجد اليوم أنّ الجميع في أوساط هذا الشعب معنيّ بالاستفادة من هذه الدروس ومن هذه العبر، وأننا بحاجة بشكل عامّ كقوى سياسيّة في هذا البلد وكلّ مكوّنات هذا الشعب من قوى اجتماعية وغيرها إلى مراجعة

الوضع الداخلي لهذا البلد، وإلى أن نسعى لتغيير هذا الواقع المرير ولمعالجة المشاكل التي تزيد من مخاطر الحروب والمشاكل الداخلية أو تُفِيد تلك الأطراف والقوى الإجرامية فترى فيها أوضاعاً معيّنة تستفيد منها وتستغلّها وتوظّفها لتقوية واقعها ومشاريعها وللتحرّك في مخطّطاتها ومؤامراتها»^(١).

«إنّ الأمة المؤمنة الحاضرة دائماً والمستعدّة على الدوام لتقديم الشهداء، الأمة التي فيها رجال مؤمنون، باعوا أنفسهم لله، وهم حاضرون على الدوام لتقديم كل شيء في سبيل الله وابتغاء مرضاته، دائماً ما تكون أمة قويّة، أمة يحسب لها العدو ألف حساب، أمة في مستوى المسؤولية، ومواجهة كلّ التحدّيات، وكلّ الأخطار، وكلّ الأعداء.

لكن لو فقدت الأمة هذه الثقافة، ثقافة الشهادة، ثقافة التضحية، البذل بلا حدود في سبيل الله سبحانه وتعالى لكانت أمة ذليلة ولصارت أمة مستعبدة مقهورة، تقدّم من القتلى أضعاف ما ستقدّمه من شهداء وهي في سبيل الله سبحانه وتعالى.

ما تحقّق بفضل الشهداء وبفضل تضحياتهم وثباتهم واستبسالهم في سبيل الله سبحانه وتعالى هو الشيء العظيم، نصراً وعرّةً وقوّةً، ودفعاً لكثير من المخاطر وفي مقدّمها الإبادة الجماعيّة. كانوا بالنسبة للطغاة والمجرمين في النظام الظالم الجائر، والقوى الإقليميّة المتآمرة والظالمة والمتعاونة معه، والقوى الدوليّة وفي مقدّمها أمريكا، ينادون بشكل واضح حتّى في خطابات أكبر مجرميهم باستئصال الأئمة، بالقضاء عليها، فعلاً وممارسة وسلوكاً. كانوا يستهدفون كلّ شيء، بطائراتهم، برجمات صواريخهم، بمدفعيّتهم، الكبير والصغير، الرجل والمرأة، الناس حتّى في الاجتماعات الكبيرة، في الأسواق وغيرها، يعني: كان لديهم نيّة واضحة، ومن خلال الممارسة والسلوك أثبتوا ذلك أنّهم يريدون الإبادة الجماعيّة للناس، كانوا يستبيحون كلّ شيء تحت كلّ العناوين؛ عناوين سياسيّة، دينيّة، وغير ذلك.

(١) المصدر نفسه.

لكن كان لتلك التضحيات والجهود والمصابرة الأثر العظيم في أن يحقق الله نصرًا يدفع به عن أمتنا الاستئصال والجرائم التي هي جرائم الإيادة الجماعية وما إلى ذلك، فما تحقّق هو شيء كبير، وما سيتحقّق في المستقبل - إن شاء الله - ثمرة لهذه الجهود وهذه التضحيات هو أكثر وأكبر وأرقى وأسمى وأعظم بإذن الله سبحانه وتعالى.

عندما نستذكر الشهداء؛ نستذكر ما حكاه الله عنهم: أنهم أحياء. هم أحياء في وجداننا، أحياء في قلوبنا في مشاعرنا. لن ننساهم، ولن ننسى مآثرهم، ومواقفهم، لن ننسى صبرهم ومصابرتهم، لن ننسى ما كانوا عليه من الروحية العالية والبذل والتضحية والإيثار والفداء للإسلام وللمستضعفين، والصدق، لن ننسى مآثرهم في ميادين العمل^(١).

«شهاداؤنا لم يكونوا مجرد ضحايا فقط؛ بل كانوا أيضًا رجال مشروع، أصحاب فكر، حاملين لقضية. كانوا هم شهداء القضية العادلة، شهداء الموقف والمشروع والهدف المقدّس. كانوا هم شهداء الأمة كل الأمة؛ لأنهم حملوا في ثقافتهم وفي وجدانهم وفي فكرهم وفي مشاعرهم وفي مبادئهم وفي حركتهم، حملوا همّ الأمة كلّ الأمة، وقضاياها، وحملوا أيضًا روح الموقف والمسؤولية للصمود والثبات في وجه أعداء الأمة كلّ الأمة. في قلوبهم حملوا همّ الأمة في قضيتها الكبرى (فلسطين)، والعداء لعدوّ الأمة، العدوّ اللدود، العدوّ الخطر، عدوّ الأمة جمعاء (إسرائيل).

حملوا همّ الأمة في مقارعة ومناهضة هيمنة قوى الاستكبار وعلى رأسها أمريكا. حملوا همّ الأمة في مواجهة الاختلالات التي صنعها العدوّ في داخل الأمة من خلال أباديه الإجرامية والظالمة والمستبدّة والعاثة التي أسهمت من داخل الأمة في ضرب الأمة، في خلخلة الأمة، في إضعاف الأمة، في تدمير الأمة لصالح أعدائها.. والله المستعان.

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٣ هـ.

فعلى كلِّ، كانت هذه الذكرى وستظلُّ محطةً سنويَّة معطاءةً بالدروس المُلهمة والعظيمة والمهمَّة، محطةً سنويَّة نأخذ ونتزوَّد منها دائماً الدروس الكبيرة التي نحتاج إليها في ميدان الصراع، وفي مواجهة التحدّيات، ومقارعة الظالمين والعاثين والمستكبرين»^(١).

«وهكذا نجد أنّ هذا الطريق وهذا النهج هو الذي يحمي الأُمَّة. هو الذي يَمكِّن الأُمَّة من التصدّي لجبروت الطغاة والجائرين والمستكبرين والمفسدين في الأرض، هم لا يبالون بالناس طالما أمكنهم أن يقتلوا الناس سيقتلون الناس؛ ولذلك فالخيار الأفضل في واقع كواقعنا هو الحرّيّة، هو العزّة، هو الصمود، هو الثبات حتّى لو حظي الإنسان بهذا الشرف، هل هناك شيء أكبر من هذا، أشرف من هذا، أسمى من هذا؟ أخطر أو أعظم ما يمكن أن يحدث في هذا الطريق هو الشهادة. الشهادة شرف ليس شيئاً يمكن أن تخشاه أو تتهرّب منه أو في مقابل الهروب منه تخنع وتركع وتستسلم لأشوار تافهين قد يقتلونك في نهاية المطاف ذليلاً مستعبداً ومقهوراً وخانعا»^(٢).

«فالشهداء الأبرار تحرّكوا في سبيل الله وفي نصره الحقّ وفي دفع البغي والعدوان، لهم قضيّة عادلة، لم يخرجوا باغين ولا ظالمين ولا متجبرين ولا متكبرين، لهم قضيّة عادلة، ينتمون إلى مشروع عظيم هو: القرآن الكريم والإسلام العظيم، ولهم قضيّة عادلة، هم يواجهون البغي، والظلم، والعدوان. هم في مواجهة بغاء، وفي مواجهة عملاء، وفي مواجهة مجرمين، وفي مواجهة متكبرين، في مواجهة من باعوا أنفسهم للشيطان الأكبر، وأمريكا وإسرائيل.

فعدالة القضيّة هي أيضاً تُضفي على شهادتهم قداسة واضحة ومهمّة، شهداؤنا لم يكونوا يوماً من الأيام في موقف بغي، ولم يخرجوا بطراً ولا رثاء الناس ولا استكباراً ولا صدّاً عن سبيل الله، لم يكن حالهم كحال الآخرين من قتلى الدولار، من قتلى المال السعودي. هؤلاء شهداء مُقدّسون، صدّوا عن

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بمناسبة الشهيد ١٤٣٦هـ.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٢٧هـ.

أُمَّتَهُمْ، عَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ وَرَائِهِمُ الْعِدْوَانَ وَالْبَطْشَ وَالظُّلْمَ وَالتَّجْبُرَ الَّذِي يُمَارِسُهُ الظَّالِمُونَ وَالْمُعْتَدُونَ.

ومشروعية الموقف أنّ هؤلاء الشهداء العظماء تحركوا بشرعية قرآنية على قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^(١). لهم هذه الشرعية ولن نتظر من أحدٍ من المجرمين والمتحذلقين أن يمنحنا الشرعية، هذا الموقف يستمدون شرعيته من القرآن الكريم، من الله العظيم، من توجيهاته وأوامره الحكيمة والمقدّسة والعادلة. هم تحركوا على أساس قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٥١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾^(٢)؛ عدالة القضية وقداسة النيّة والمقصد. يتحرك الشهيد والمجاهد الآخر الذي نراه الشهيد الحيّ في سبيل الله على أساس من إيمانه وبيّته الخالصة، ابتغاء لمرضاة الله، لا يهّمه هدف مادي ولا أطماع ولا رغبات ولا رتب ولا وظائف.

يحمل الشهيد في روحيته الإباء والعزّة والغيرة على الحقّ ولأتمته المظلومة والجريحة، وهو يتحرك بالقيم الإيمانية خاضعاً لله، مطيعاً لله، مستسلماً لله، بوعي وبصيرة واستقامة، وطهارة، وعفّة، وبتحرك رشيد سليم من مساوئ الأخلاق والمثالب التي توجد لدى الآخرين من يتحركون لأطماع أو ما شابه.

كما يتحرك المجاهد في سبيل الله سبحانه وتعالى صابراً ثابتاً يؤدّي مهامه الجهادية بشكل سليم وصحيح، وهؤلاء الشهداء الأبرار والأخيار عندما تحركوا في سبيل الله سبحانه وتعالى من هذا المنطلق بتلك النوايا والمقاصد العظيمة بالهدف المقدّس بأخلاقهم، بإيمانهم، باستقامتهم، بأخلاق الإسلام، وأخلاق القرآن تركوا لنا إرثاً مهماً، وعندما تتحدّث عن الإرث الذي تركوه فهو أولاً: القضية العادلة.

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

(٢) سورة الشورى، الآيتان ٤١ و٤٢.

هؤلاء الشهداء كان همهم وكان حرصهم وأهم أهدافهم في تضحياتهم في سبيل الله: إقامة العدل، ومواجهة الظلم والفساد، مواجهة الباطل، ودفع الطغيان، ودفع المجرمين، وهذه مسؤوليّة تبقى علينا جميعاً أن نواصل الخُطى والمشوار لكي تتحقّق هذه الأهداف السامية والعظيمة»^(١).

«ولذلك - إخوتي الأعزّاء - شهداؤنا العظماء الأبرار، شهداء هذه المسيرة تحرّكوا في موقف عادل، في قضية مُحقّقة، في موقف مشروع، المعادلة أبداً لم تكن (مسلم يقتل مسلم)، المعادلة مسلمون مؤمنون مُتبعون للقرآن في مواجهة موالين لليهود والنصارى ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّاهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٢) مواجهة بين الإيمان والنفاق. لذا كان هذا الشعار هو المنطلق «الله أكبر / الموت لأمریکا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام».

المعادلة كانت مواجهة بين الإيمان الصريح والنفاق الصريح، معسكر الإيمان، خطّ الإيمان، خطّ القرآن في مواجهة خطّ النفاق ومشروع النفاق وقوى النفاق التي تناصر أعداء الإسلام وتقف في صفّهم.

فشهداؤنا كانوا شهداء الموقف الحقّ والقضيّة العادلة، وموقفهم أيضاً مثلما هو في مواجهة البغي والعدوان هو دفاع عن المستضعفين، ودفاع عن مشروع عظيم وعن حقّ واضح وعن صراط مستقيم، دعوة إلى القرآن الكريم؛ كتاب الله، ووجهت هذه الدعوة بالدعاية والكذب والتكذيب والبهتان والحديد والنار، وكلّ أشكال العدا، فكان هؤلاء الشهداء في مقدّمة المؤمنين الذين وقفوا حاملين لهذا المشروع محامين عنه؛ لأنّ فيه الخير للأمة، فيه العزّة والصلاح والقوّة للأمة.

فكانوا حُماة لمشروع فيه خيرٌ للناس، وعزٌّ وسعادةٌ للناس، فيه حمايةٌ للأمة، حمايةٌ لها في دينها وأخلاقها وقيمها وعزّتها وعرضها وأرضها وأوطانها، مشروع يحمي الأمة ويحافظ عليها، مشروع يحافظ على أمتنا لكي تكون أمة

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٣٣هـ.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥١.

عزيزة وكريمة لكي لا تُهان ولا تُستتضم ولا تُستذل ولا تُستعبد، ولا تتحوّل إلى أمة مهورة مستسلمة عاجزة خاضعة لأعدائها، ليس لها أي صوت حُرّ ولا موقف مشرف ولا إرادة صادقة. فكانوا حُمّة للمستضعفين، ولمشروع عظيم يبنى الأمة في مواجهة أعدائها.

وكانوا أيضاً في مواجهة المشروع الشيطاني مشروع النفاق، والعمالة، والولاء لليهود والنصارى الذي أرادت قوى الكفر والنفاق فُرضه على الناس بالقوّة. أرادوا أن تكون حالة الولاء لليهود والنصارى ولأمريكا وإسرائيل والطاعة المطلقة والتقبّل الكامل حالة مقبولة سائدة في أوساط الأمة، لا أحد يعترض عليها ولا أحد يقف بوجهها، أرادوا أن يفرضوها بالقوّة؛ ولذلك كلّ من يقف في وجهها يحاربونه، ويحاولون قمعه ويعملون على إسكاته بالقوّة، فهم هم طالما يتحدّثون عنّا كذباً وافتراءً أنّنا نمارس العنف ونحاول أن نفرض مشروعنا بالقوّة، المسألة ليست كذلك، هم من أرادوا أن يفرضوا مشروعهم الشيطاني بالقوّة وأن يقتلوا ويدمروا، من يعترض على هذا المشروع الشيطاني أو يخالفه، فيضعوا الناس بين خيارين: إمّا الصمت والتقبّل بالهيمنة الأمريكيّة وعدم الاعتراض عليها بتاتاً وعدم تبني أيّ موقف ضدّ الهيمنة الأمريكيّة والإسرائيليّة، وإمّا أن يكون لك موقف؛ فتُعادي وتُستهدف وتُخون، ويحشدون الكثير من الدعايات ويشغلون كلّ شيء في مواجهتك»^(١).

«ولذلك نقول: إنّ شهداءنا فخرٌ لنا بكلّ ما تعنيه الكلمة؛ لأنهم جسّدوا انتماءهم الإنساني والإسلامي والوطني، وموقف أسرهم موقف مشرف هو محطّ فخر واعتزاز، نرى الكثير من المقابلات مع أسر الشهداء، ونرى ما هم عليه من العظمة والثبات والشموخ، مواقف فعلاً يقشع لها جسد الإنسان إجلالاً وتعظيماً، كم هم كبار وكم هم عظماء أسر الشهداء بثباتهم وعظمتهم وعظائمهم وصبرهم وشموخهم ومواقف هؤلاء المستضعفين الذين اختاروا

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٣٤ هـ.

لأنفسهم خطَّ الحرِّيَّةَ ومنهاج الكرامة هو الخيار المشرف والصحيح والاتجاه المنجى»^(١).

هؤلاء الشهداء الأبرار العظماء الذين نفتخر بهم، هم فخر لنا وفخر لأُمَّتِنَا، الشهداء الذين كانوا شهود صدق مع الله، في انقيادهم لله سبحانه وتعالى، في بذلهم، في صبرهم، في صمودهم، في ثباتهم، في عظيم تضحيتهم، لم يخلوا بشيء في سبيل الله سبحانه وتعالى، فالجهد والتعب والبذل والعطاء بكلِّ شيءٍ يمتلكونه ويمكن أن يقدِّموه»^(٢).

«خيارنا هو الصمود والثبات والتحرُّك الجادَّ والحذر من التقصير والتواني في كلِّ الجهات، يجب على الجميع بعد كلِّ هذا المدى الطويل من العدوان أن يراجع الجميع أنفسهم وأن يحذروا التقصير لأنَّه خطر أمام الله. مسؤوليتنا جميعاً أن نسعى لزيادة مجهودنا في التصدي لهذا العدوان ما دام قائماً ومستمرّاً»^(٣).

«وجزاء الصمود والثبات والتضحية هي النصر هذا وعد الله للمستضعفين الذين عبَّدوا أنفسهم لله وحده، ولم يقبلوا بأن يستعبدهم المستكبرون والظالمون والطغاة والأشرار، المستضعفين الذين ساروا في خطِّ الله خطَّ الكرامة والعزَّة والحرية، المستضعفين الذين استجابوا لله تعالى فوقوا ضدَّ الظلم والجور والطغيان والاستكبار، هؤلاء المستضعفون الذين قال الله لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٤).

ما علينا إلا مواصلة هذا الطريق وتعزيز هذا المبدأ وهذه القناعة. ما علينا إلا الصمود والثبات والاستعانة بالله والتوكُّل عليه والحذر من التقصير والتفريط، هذا ما علينا أن نحذره؛ أن نحذر من التقصير والتفريط وأن نسعى

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويَّة للشهيد ١٤٣٧هـ..

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويَّة للشهيد ١٤٣٣هـ..

(٣) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويَّة للشهيد ١٤٣٧هـ..

(٤) سورة محمد، الآية ٧.

في مواجهة مؤامرات الأعداء ما دام العدوان مستمرًا. خيارنا الإنساني الفطري الديني الوطني المسؤول هو الثبات والصمود والمواجهة. ما دام العدوان مستمرًا فنحن بإذن الله تعالى بتوكلنا على الله يزيدنا ما زاد طغيانهم عزماً وثباتاً»^(١).

«نحن تحركنا بفضل الله سبحانه وتعالى بمواجهة هذا العدوان بجدوائية وبفاعلية وبثمرة واضحة لصمودنا وتضحياتنا وثباتنا، ويمكننا أن نسرد بعضاً من هذه الحقائق:

أولاً: نحن اليوم كشعبٍ يمنيٍّ بصمودنا وثباتنا أكثر شعوراً بحرّيتنا وعزّتنا وكرامتنا من أيّ وقت مضى، وتجلّى في واقع شعبنا مصداقية الهوية والانتماء، وأصالتنا، والامتداد لهذه الأصالة، بحمد الله من نتائج صمودنا في مواجهة هذا العدوان. نحن نعيش حالة الحرّية، تترجم حالة الكرامة، والإباء والعزّة عملاً وموقفاً وتحركاً ملموساً، نحن لسنا مجرد أصحاب ادعاءات، أو نسوّق لأنفسنا عناوين معيّنة، أو فقط نفتخر بماضينا، نستطيع اليوم أن نقول للأجيال الآتية من بعدنا، وأن تقرأ عنّا هذه الأجيال بكلّ فخر، ونستطيع أن نقول لكلّ قوى العالم: انظروا إلى شعبنا كيف قدّم نموذجاً بالفعل، والموقف، وليس فقط بالكلام، كيف أثبت هذا الشعب في الواقع حرّيته، كيف مارس هذه الحرّية، إباءً وعزّةً وامتناعاً من القبول بالذلّ، وامتناعاً وإباءً من القبول بالاستسلام والهوان والاستعباد لصالح قوى الطاغوت، انظروا اليوم كيف شعبنا أثبت بتضحياته هذه، وبمواقفه وصموده، أنّه شعبٌ حرٌّ بما تعنيه الكلمة.

هذا شيءٌ عظيمٌ نحن نحسّ فعلاً في مشاعرنا، وفي وجداننا أنّنا أحرار. لو لم نكن أحراراً لما كان كلّ هؤلاء يقاتلوننا اليوم، لما كانت أمريكا تستعدي بنا هذا الاستعداد، ولما كان قرن الشيطان يعادينا هذا العدا، ولم تكن إسرائيل تكرهنا هذا الكره.

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٧ هـ .

ما هي مشكلتهم معنا؟ ما هو جوهر صراعهم معنا؟ ليس إلا أننا إيماناً أن نكون أحراراً، وعصيين وممتنعين على الاستعباد والقبول بالهوان، فحينها كانوا في هذا الصراع معنا وكان بيننا وبينهم هذا المستوى من العداوة.

اليوم نستطيع أن نقول حتى لرسول الله محمد ﷺ: يا رسول الله لم يخب ظنك في هذا الشعب، ولن يخيب إن شاء الله وتوفيق الله، يوم قلت عنه: ((الإيمان يمان والحكمة يمانية)).

يا رسول الله، الإيمان يمان، إيمان هذا الشعب تجلّى في صموده، ومن أعظم ما يمكن أن يتجلّى فيه الإيمان هو الصمود في مواجهة الطاغوت، ومقارعة الاستكبار، انظروا إلى شعبنا كم هو عزيزٌ بعزته. هذه الإيمانية الناشئة عن القيم، والأخلاق، والوجدان الإنساني، والفطرة الإنسائية، انظروا كيف أنه لم يركع أبداً لكل قوى الطاغوت، بالرغم من كل ما تفعله، بالرغم من حجم هذا الاستهداف ومستوى هذا العدوان.

فهذا أول مكسب وأول ثمرة من ثمرات الصمود، مكسب مبدئي، مكسب معنوي، مكسب أخلاقي، مكسب ديني ما بيننا وبين الله سبحانه وتعالى، مكسب عظيم نفاخر به بين كل أمم الأرض، لو كان خيارنا الذل والاستسلام. حينما بدأ العدوان بجبروته ووحشيته وطغيانه، يقصف المدن والقرى، قمنا برفع أيدينا إلى الأعلى استسلاماً، وقبلنا بالهوان، كيف كنّا سنقول ونتحدّث مع أجيالنا الآتية؟ لأورثنا الذل إلى الأجيال القادمة، ولكنّا مسبة الدهر، وبين الأمم عاراً عالمياً، أبدياً، لألصقنا بأنفسنا العار على مدى الدهر وبين كل الأمم.

ولكن بحمد الله، بتوفيق الله، بهداية الله، بمعونة الله سبحانه وتعالى، وفقنا الله للصمود المشرف، والفاعل والمؤثر، فهذا أول مكسب، وهو مكسب لا يساويه أي مكسب آخر، أكبر وأعظم مكسب، أننا مارسنا حريتنا وأثبتنا كرامتنا، وأننا ترجمنا العزة التي ننتمي إليها في إيماننا إلى واقع نعيشه، وإلى مواقف نقفها، وإلى أعمال ميدانية، إلى صمود ترجمه الواقع.

ثمّ كذلك الأمر الآخر الذي يثبت جدوائيّة هذا الصمود، والذي هو ثمرة من ثمرات هذا الصمود أنّ شعبنا العظيم في صموده وثباته، وتصديّيه لقوى العدوان، ألحق بها وبأذيالها خسائر جسيمة وفادحة، الآلاف المؤلّفة من القتلى، وعشرات الآلاف من الجرحى، يعني لم يكن عدوان هؤلاء الأعداء بالرغم من كلّ ما امتلكوه من قدرة وآلة عسكريّة هائلة لا نظير لها في العالم، من إمكانيّاتهم الهائلة، وقدراتهم العسكريّة الكبيرة، وبالرغم ممّا يقابلها في وضع شعبنا في ظروفه الصعبة، وإمكانيّاته المتواضعة، ومعاناته الاقتصاديّة، ومشاكله الداخليّة وغير ذلك إلى آخره، فإنّ شعبنا كان لصموده وثباته تأثير كبير وفاعليّة كبيرة، هذه نتيجتها:

الخسائر الكبيرة جدًّا في صفوف المعتدين، في قوّتهم البشريّة، الآلاف قُتلوا، بينهم الكثير والكثير من قياداتهم، من شخصيّاتهم الفاعلة التي يعتمدون ويراهنون عليها، ولها أهمّيّتها بالنسبة لهم، وكذلك من عيديهم الآلاف المؤلّفة قُتلوا، وعشرات الآلاف من الجرحى.

يُضاف إلى ذلك أيضًا أنّ الآلاف من معدّاتهم العسكريّة دُمّرت وأعطيت، من مختلف الآليّات العسكريّة، من الدبّابات حتّى من العربات المتنوّعة والحديثة، بكلّ أشكالها، ممّا اضطرّ قوى العدوان إلى شراء البديل في صفقات متتالية. وفي كثيرٍ من الحالات يوشكون على أن يفقدوا ما بأيديهم من مدرّعات ومعدّات عسكريّة، ويضطرون إلى شراء المزيد في صفقات مرهقة لهم اقتصاديًّا، وهذا واضح، حتّى دبابة الإبرامز فخر الصناعات الأمريكيّة، تحوّلت إلى صيدٍ جذّاب للمقاتل اليمني، وكأنّها أرنب أو ظبي وديع يلاحقه أسد، والولّاعات لهم بالمرصاد، المقاتل اليمني سيحرق المزيد والمزيد إن شاء الله بالولّاعات.!

كما تمكّن شعبنا العزيز بصموده في ميدان القتال، بفضل الله ومعونته، من إسقاط عدد من الطائرات، إسقاط عدد مهمّ من الطائرات الحربيّة، وعلى رأسها الأباتشي المعروفة بمنعتها العسكريّة، ومقوّمات حمايتها، وبأهمّيّتها على المستوى القتالي.

كما تمكّن أيضًا في البحر من ضرب البارجات والمدمرات المعتدية وإحراقها، وصدق الله سبحانه وتعالى حينما قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾^(١)، إذا كنّا نألم بشهدائنا، وما دمروه في بلدنا، وما نعانیه من عدوانهم، هم - بفضل الله تعالى، وبمعونته، ونصره، وتأییده لهذا الشعب المسلم المظلوم - يألمون أشدّ الألم وأعظمه، الوجد يطالهم في كلّ مكان وجعهم.

أنتم دائماً متطلّعون إلى الله؛ لأنّكم في موقف الحقّ ومظلومون، وبالتالي أنتم منتظرون من الله وراجون منه نصره، وعونه، وأجره، نعم، والقادم إن شاء الله أعظم على مستوى التنكيل بالعدوّ، ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾^(٢).

ثانيًا: على المستوى الاقتصادي، وبفضل هذا الصمود على مدى ما يقرب من ثلاثة أعوام باتت كلفة العدوان مرهقة لهم اقتصاديًا بشكل كبير، إلى حدّ جعل النظام السعودي ومعه الإماراتي يخرجان من زمن النعمة والرخاء، والفائض المالي والميزانيّة الاحتياطية، ويدخلان في نفقٍ مظلّم من الأزمات الاقتصادية والجُرع المتنوّعة التي كنّا نعانى منها في بلدنا، هي اليوم عندهم، جُرعةٌ إثر جُرعة، وبأشكالٍ متعدّدة، وتحت مسمّيات كثيرة، والقروض أيضًا. لم يعد فقط بلدنا هو الذي يعاني من القروض، دخلوا هم في هذا النفق، القروض والبحث عن المال والاستجداء من هنا وهناك، ودخلوا في سياسات اقتصادية تخلق لهم أزمات ومشاكل مستقبلية كبيرة وخطيرة، خيم الفقر بشيحه على بلدانهم، هذا واقع يمكن استقراؤه ببساطة، ومن دون مشقة من خلال وسائل الإعلام عن واقعهم الداخلي.

(١) سورة النساء، الآية ١٠٤.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٤.

ثالثًا: شعبنا اليوم بالرغم من الحصار الشديد، والمعاناة الاقتصادية الشديدة، وظروف الحرب الصعبة، يبني قدراته العسكرية بشكلٍ مذهل، ويحقِّق لكلِّ الناس في كلِّ الدنيا أن يندهشوا، وتمكَّن بفضل الله تعالى من قطع شوطٍ مهمٍّ وكبير، وعلى رأس هذه القدرات القدرة الصاروخية التي وصلت بدءًا من صاروخ الصرخة إلى بركان اثنين، الذي مداه اليوم يصل إلى الرياض، وأبو ظبي .

اليوم يعتبر هذا إنجاز كبير بكلِّ الاعتبارات وبكلِّ المقاييس، وإذا لوحظ واقع هذا الشعب، وظروفه على المستوى الاقتصادي، ومعاناته بفعل الحصار، وبفعل ظروف الحرب، فإنَّ صناعة إنجاز بهذا المستوى، في مثل هذه الظروف في هذا الواقع، يُعتبر فعلًا من صناعة المستحيل الذي تحوَّل ممكنًا بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى، والتطوير مستمرَّ اليوم في القدرة الصاروخية لمديات أبعد ولفاعلية أكثر إن شاء الله تعالى.

وكذلك، وفي إنجاز مُهمٍّ ونوعي، بدأ في تصنيع طائراتٍ بلا طيار، ستأخذ إن شاء الله مساراتٍ متطورة، ومديات أبعد، وأرفع، وأكثر فاعلية. فإنَّ بقية المعدات العسكرية بات اليوم يصنع المدفعية، ويصنع قذائف المدفعية، وهناك مسارات مهمة جدًا في تفعيل، وبناء وتطوير الدفاع الجوي، ستؤتي ثمارها إن شاء الله قريبًا، ومجالات أخرى.

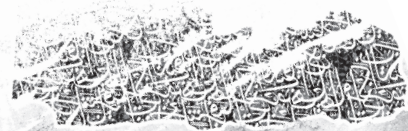
إذًا، هذا من مكاسب هذا الصمود، في مراحل معينة في واقع بلدنا لم تكن أبسط الأمور تُنتج في هذا البلد، لم تكن الصلصة تنتج في هذا البلد يستوردونها من إيطاليا، الخليج نفسه وبعض بلدان الخليج المعتدية كالنظام السعودي نفسه، من أين له اليوم أن يكون بهذا المستوى من القدرة الإنتاجية؟! هو مشتري، يدفع فلوس بالدائم إلى أمريكا وإلى خزانتها، وإلى جيوب الغرب، وهذا قدره الذي يُقدِّرونه له، أن يبقى دائمًا يدفع لهم الفلوس دائمًا، وأن تتحوَّل بالتالي الحرب هذه إلى مغنم لهم بذلك.

رابعاً: من مكاسب وثمرات هذا الصمود الأسطوري العظيم، أن يكتسب هذا الشعب وأبطاله في الميدان الخبرات القتالية العالية في مواجهة المخططات، والمؤامرات، والعمليات العسكرية التي يديرها اليوم أمهر وأقدر الخبراء العسكريين لدى الأعداء، وهم على مستوى العالم»^(١).

«الشهادة هي عبارة عن استعداد عالٍ للتضحية يتوجّ فعلاً بتلك التضحية، هذا الجانب له أهميته القصوى في واقع المستضعفين خصوصاً. الطغاة والجائرون والمستكبرون والظالمون والمفسدون في الأرض بنزعتهم العدوانية والشريرة بحقدهم، بكرههم، بطغيانهم، بسلوهم الإجرامي يمارسون بحقّ الناس السطوة والجبروت والظلم محاولة لاستعباد الناس وتركيعهم وإذلالهم والتحكّم بهم فيما يحقّ مصالحهم الجائرة وليس المصالح المشروعة، فيما يلبي رغباتهم الشريرة ونزعاتهم الطغيانية والاستعلائية، ويحاولون أن يكبلوا المجتمع بقيود وأغلال الخوف والترهيب؛ ليركع ويستسلم ويخضع وينحني لهم فيحققون ما يشاؤون ويريدون. لكن حينما يكون المجتمع مجتمعاً حرّاً، عزيزاً، لا يزال يتشبّث بإنسانيته وكرامته التي أرادها الله له؛ مجتمعاً يعيش الإيمان بالله وباليوم الآخر والإيمان بالحق والعدل ويمقت الظلم والظالمين، يمقت الفساد ولا يقبل بالباطل، مجتمع كهذا يعيش الاستعداد العالي للتضحية في مقابل أن يعيش كريماً عزيزاً لا يستعبده أحد من دون الله ولا يُعبّد نفسه إلاّ لله ربّ العالمين. هذا المجتمع الذي يعيش هذا المستوى العالي من الاستعداد بالتضحية هو الذي يتمكّن بتوفيق الله تعالى وبهذه الروحانية العالية من كسر جبروت الطغاة والظالمين والمفسدين فيكون فعلاً جديراً بأن يعيش حرّاً وأن تتحقّق له الحرية وعدم عبودية غير الله سبحانه وتعالى.

إذاً، هذا المستوى العالي من الاستعداد للتضحية هو الذي يؤهّل الأمة للثبات في مواجهة التحديات والأخطار مهما كانت وعظمت وتكالت

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٨هـ.



قوى الشرّ والطغيان بكلّ إجرامها ووحشيّتها وبكلّ ما تملكه من وسائل القتل والتدمير لا تستطيع أبداً أن تستعبد وتقهر وتذلّ وتتعلّب على مجتمع يحمل هذا الإيمان وهذه الروحيّة وهذا التوجّه وهذا الوعي. إنّ ذلك يمنح المجتمع المؤمن صلابة وثباتاً وتحمّلاً عاليًا في مواجهة التحدّيات فيحظى حينئذٍ بمعونة من الله وتوفيق ونصر من الله»^(١).

«الواقع الذي نعيش فيه مليء بالفتن والمشاكل والأحداث، المنطقة كلّها تغلي غلياناً، مهندس هذه الفتن والحروب والمآسي والنكبات هو الشيطان الأكبر أمريكا وإسرائيل، وأنظمة أخرى كالنظام السعودي وأدوات ك(داعش) و(القاعدة)، كلّهم عبيد لأمريكا خدم لها وأدوات قدرة رضا لأنفسهم هذا الدور.

والشيء العجيب أنّهم يتباهون به، ما أسوأ أن يكون الإنسان في مثل هذا الدور عبداً لأمريكا يخدم مصالح إسرائيل ويرى نفسه كبيراً مهمّاً ذا دورٍ إقليمي وقد أعطي هذا الدور أنّه تفضّل لتكون خداماً بيد أمريكا تخدمها في المنطقة! ما أسوأ وما أحقر الإنسان أن يرضى لنفسه أن يكون بهذا المستوى! ولأجل ذلك يفعل أيّ شيء، يتجرّد من كلّ إنسانيّته ويرتكب أشنع الجرائم فيقتل الآلاف المؤلفة من الأطفال والنساء، يستهدف من ينتسب إلى دينهم من المسلمين والشعوب المجاورة له، يلعب دوراً شيطانيّاً إجراميّاً بشعاً قذراً ثمّ يرى نفسه ضخماً عظيماً ومهمّاً وأنّه أصبح له دور تخريبي وإجرامي وسيّئ وقذر ومفسد، لا يشرف أيّاً كان أن يجعل من نفسه خادماً لأمريكا مشغلاً لمصلحة إسرائيل لا والله ولا ذرّة من الشرف في ذلك.

في ظلّ واقع كهذا، هندست أمريكا وإسرائيل واقع المنطقة مستفيدة من الإفلاس الأخلاقي والديني لدى البعض فطوّعتهم وجعلت منهم خُداماً لها وأيدي قدرة وإجراميّة لها في المنطقة؛ فيصبح الإنسان بين إحدى ثلاث:

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٣٧ هـ..

١- إما أن يدخل في صفّ العبيد والخدم لأمريكا وأولئك الذين يتحرّكون لخدمة أمريكا، وقد يُقتل في هذا السبيل وقد يخسر في هذا السبيل وقد يقدّم كلّ شيء، يخسر إنسانيّته ودينه وعروبته وشرفه، كلّ شيء، قيمة إنسانيّته، في نهاية المطاف قد يخسر حتّى حياته والكثير يخسرون حياتهم في هذا الطريق يُقتلون في هذا الطريق والعياذ بالله وما أسوأ ذلك!

٢- أو أن تحاول أن تجعل نفسك مجرداً محايداً كما يتصوّر البعض أنّه بإمكانه ذلك، يعني إنساناً لا أتحمّل مسؤوليّة ولا أقف في صفّ وأجلس خاضعاً مستكبراً وأنتظر من يسيطر على الأوضاع لأكون معه وهكذا ولكن نجد الكثير ممّن يسلكون هذا المسلك مع قبح ما هم فيه من تنصّل عن المسؤوليّة من تجرّد من القيم العظيمة التي تجعلك تحسّ بإنسانيّتك تجاه نفسك وتجاه الآخرين، لكنّ الكثير ممّن يسلكون هذا المسلك أيضاً يُقتلون يخسرون يعانون، المعاناة والأخطار والمشاكل عمّت ولم تستثن أحداً. ولو حاول الإنسان أن يحايد سيناله قصده من الأتعاب والأخطار والمشاكل والمعاناة والكثير يقتلون أيضاً وهم على ذلك.

٣- أو أن يكون الإنسان في موقف المسؤوليّة، الموقف الذي تفرضه عليك إنسانيّتك إن كنت لا تزال إنساناً تتمتع بأحاسيسك ومشاعرك الإنسانيّة، يفرضه عليك انتماؤك الديني والوطني والأخلاقي إن كنت لا تزال فعلاً تحسّ بهذا الانتماء وتعيشه في وجدانك ومبادئك وسلوكك وقيمك وأخلاقك ومواقفك.

وهذا هو الخيار الصحيح الخيار الذي فيه مرضاة لله، الخيار المشرف المنسجم مع كلّ تلك الهوية الإنسانيّة والإسلاميّة والوطنيّة، هذا هو الخيار الذي فيه العزّ كلّ العزّ، والشرف كلّ الشرف. هو الخيار الذي فعلاً في نهاية المطاف يصنع للأمة النصر وللمستضعفين الخلاص. أمّا خيار الذين يقبلون لأنفسهم بالذلّ

والهوان والخنوع والاستكانة ويبيعون أنفسهم للطاغوت فهو الخيار الخاسر على كل الاعتبارات والمستويات»^(١).

«وقد تجلّى بفضل هذه الأحداث ما عليه أولئك الطغاة والأشرار - أمريكا - من سوء، أقول لكل الفئات في بلدنا وعلى رأسها وفي مقدّمتها الأحزاب السياسيّة التي تنظر بإيجابيّة إلى الواقع الغربي وترى فيه نموذجًا سياسيًا ممتازًا للدولة الحديثة والدولة المدنيّة ولمنظمات المجتمع المدني التي تنظر بعضها بإعجاب إلى الغرب وإلى أمريكا: هذه هي أمريكا، أمريكا رأيتموها في كل تلك القنابل والصواريخ التي قتلت الآلاف المؤلفة من الأطفال والنساء، أمريكا رأيتموها في قصف المدن وفي قصف القرى، ورأيتموها في استهداف الأثار ورأيتموها في استهداف المساجد والأسواق والإنسان وكلّ ما يمت بصلة لهذا الإنسان. ورأيتموها في حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية تدعم أسوأ نظام مستبدّ في المنطقة ليكون هو وصيها ويدها الإجراميّة عليكم. أرادوا من السعويّة النظام المستبدّ الذي لا يعرف معنى لا لديمقراطيّة ولا لحرية ولا لدولة مدنيّة ولا لأيّ من هذه المسمّيات أن يكون مأمورها هو الأمر على الشعب اليمني، هذه هي الحقيقة، أمريكا رأيتم طغيانها وإجرامها في أشلاء أطفالكم ونسائكم وفي خراب بيوتكم ومدنكم وقراكم.

يا شعبنا هذه هي أمريكا وإسرائيل، وهذا هو الدين الوهّابي الذي لا يمتّ للإسلام بصلة، رأينا وحشيتّه التي لا تعرف معنى للإنسانيّة ولا شفقة ولا رحمة لا كبير ولا بصغير ولا بطفل ولا بامرأة، هذه هي الوصاية السعويّة التي رأيناها تستهدف شعبنا لتجويعه وإفقاره على ما هو عليه من فقر ومعاناة.

هذا الطغيان الذي نراه متمثلاً بأمريكا وإسرائيل وبالحضارة الغربيّة التي لا تعرف معنى للإنسانيّة وحقوق الإنسان وفي عملائها في المنطقة من القوى التي تطبع في نفسها طابعًا دينيًا مثل (داعش) و(القاعدة) وهي

(١) المصدر نفسه.

بريئة من الإسلام وقيمه وأخلاقه والنظام السعودي الذي يقدم نفسه نظاماً متديناً تحت عناوينه الدينية محتوى ومضموناً كله إجرام وطغيان وكبر وتسلب واضطهاد لعباد الله المستضعفين»^(١).

«ولذلك نرى الخطورة الكبيرة في المدّ التكفيري هذه الأداة الإجرائية التي من أهم أهداف صنّاعها هو: التمهيد والتبرير لاحتلال بلداننا والسيطرة على مناطقنا وقهرنا. هذه مسألة واضحة وبات هذا المشروع التأمري على المنطقة ككل وعلى بلدنا كجزء منها، بات هذا المشروع التأمري مكشوفاً وجلياً وواضحاً لا تتعامى عنه إلا العيون التي لا تبصر عمى القلوب والأفئدة وإلا فالحقائق جليّة وواضحة.

لولا هذه الثقافة القرآنية التي أحيت الروح الثورية، وأحيت في أنفسنا العزّة وأعادت الأمل فأوجدت قوّة شعبية صامدة ثابتة وتحركاً ثورياً واسعاً كانت تلك الأداة التكفيرية الإجرامية قد سيطرت بالكامل على هذا البلد؛ وإلا من الذي كان سيقف بوجهها؟ هل كان هناك حكومة لها قرار سياسي جادّ وسلطة مسؤولة تحمل همّ شعبها ولديها روح المسؤولية وتتوفّر لديها الإرادة الصادقة والجادّة في حماية هذا الشعب والدفاع عن هذا البلد؟ هل رأينا هذا وارداً في واقعنا؟ كلا؛ بل وجدنا أنّ الجيش يُستهدف وتُستهدف المعسكرات، ووجدنا الأمن يُستهدف ووجدنا المواطنين يُستهدفون دون أيّ تحرّك جادّ ومسؤول وفاعل لمواجهة هذا الخطر بمستواه، دون اللعب بمسرحيات هنا وهناك.

نحن وجدنا هذه اللعب في المراحل الماضية عادة ما نسمع عن عمليّات أشبه ما تكون بعمليّات وهمية لا تغيّر من الواقع شيئاً، لا هي تحقّق الأمن والاستقرار، ولا هي تدفع الخطر بشكل حقيقي؛ بل وجدنا المسألة في حالة مدّ وجزر ضمن مسرحيات فيها صفقات وفيها لعب سياسية، وفيها لعب بين الداخل في بعض القوى وبين الخارج بين القوى المعنوية بهذه اللعبة.

(١) المصدر نفسه.

ولذلك؛ نجد اليوم أنّ هذه الثقافة وأنّ هذا المشروع القرآني بروحيّته الثوريّة المهمّة صنعها قوّة شعبيّة كان لها دور كبير في الدفاع عن هذا الشعب وفي مواجهة هذا الخطر الذي يتهدّد، ونجد في الواقع أيضًا الكثير من القوى السياسيّة والأحزاب كيف تتعاطى مع مثل هذه الأخطار والتحديّات خصوصًا القوى السياسيّة التي لها مواقف سلبيةّ وعدائيّة جدًّا من هذا المشروع القرآني ومن الثورة الشعبيّة؛ هذه الأخطار التي هي تهديد حقيقيّ شنيع وكبير لهذا الشعب تتعاطى معه بدم بارد بروح باردة، بلا مسؤوليّة وبلا ضمير أو أخلاق، تتعاطى مع هذا الخطر بالتواطؤ والتعاون»^(١).

«ولم يكتفِ التكفيريون بذلك، بل عمّدوا إلى استغلال صنعة جديدة تتحرّك باسم الإسلام وباسم الجهاد وهي القوى التكفيرية فاستفاد منها بشكل كبير في تشويه الدين والإساءة إليه، وفي تمزيق النسيج الاجتماعي للشعوب ذاتها، وفي استنزاف قدرات وإمكانات الأمة، وفي إلهاؤها عن عدوّها الحقيقي إسرائيل وأمريكا، وإشغالها عن قضاياها الكبرى وفي مقدّماتها القضية الفلسطينيّة»^(٢).

«وشعنا اليوم، وهو يواجه ما يواجهه من طغيان واستكبار وإجرام من قوى الشرّ المتكالبه عليه وعلى رأسها أمريكا وإسرائيل ومن يلفّ لَهَا ويدور في فلكها من الأعراب وعلى رأسهم النظام السعودي العميل الجائر الذي جعل من نفسه أداة بيد قوى الشرّ العالميّة تضرب به شعوب المنطقة وتخرّب به أمنها واستقرارها، يحتاج إلى ترسيخ ثقافة الشهادة والاستعداد العالي للتضحية؛ لأنّها في نهاية المطاف هي ثقافة البقاء التي تحمي الأمة وتعتزّها.

ومحنة الأمة والبشريّة في هذا العصر بشكل عامّ هي محنة كبيرة نتاج هيمنة قوى الشرّ والطغيان وعلى رأسها أمريكا الشيطان الأكبر. كما أنّ نتاج الهيمنة والقوّة والتمكّن لقوى الشرّ إنما كان نتاجًا لتقصير كبير أو هو

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٣٦ هـ .

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك المولود ١٤٣٦ هـ .

نتاج تقصير على مدى قرون من الزمن أنتج في الواقع العالمي هذا الواقع
المؤسف قوى شرّ تتحكّم في واقع البشريّة تطغى وتستكبر وتظلم وتمارس
الجبروت بحقّ البشر وتفسد في الأرض تعيث في الأرض فسادًا والله لا يحبّ
المفسدين»^(١).

«في هذه الذكرى العزيرة، الذكرى السنويّة للشهيد التي هي ذكرى للعزّ
والإياء، ذكرى للثبات والشموخ، ذكرى لكلّ قيم الحقّ والخير والعدالة، ذكرى
تُحيي فينا من جديد روح المسؤولية، وتزيدنا من جديد عزماً إلى عزمنا وثباتاً
في مواقفنا، وصموداً في مواجهة التحدّيات والأخطار.

في هذه الذكرى، نستذكر ثقافة الشهادة، ونستذكر الشهداء بما قدّموه
لنا من دروس وعبر، ونستذكر إسهاماتهم العظيمة والمجيدة والخالدة،
ونستذكر ما نتحمّلناه من مسؤوليّات تجاه هذا الواقع.

إنّنا حينما نُحيي الذكرى السنويّة للشهيد، فإنّما لنحيي فينا نحن روح
الشهادة، لنحيي أيضاً ونرسخ في واقعنا مبدأ الشهادة في سبيل الله تعالى،
في سبيل الحقّ، في إقامة العدل، في مواجهة الظلم والطغيان والإجرام،
وخصوصاً ونحن في هذه المرحلة وفي هذا العصر نُواجه كشعوب مستضعفة
تحدّيات كبيرة من قوى الطغيان العالميّة، وقوى الاستكبار، وقوى الإجرام
بأياديها في داخل مناطقنا وشعوبنا، أياديها الإجراميّة، وكذلك بمكرها الكبير
وطغيانها وإجرامها الهائل.

ولذلك مهما كانت التحدّيات، ومهما كانت الصعوبات، مهما كان
حجم الأخطار فإنّ أمة تعشق الشهادة في سبيل الله تعالى ستظلّ الأمة
الصامدة، الثابتة، القويّة، التي لا تهزّها ولا تحنيها العواصف الجسام، ولا
الأحداث الكبار، ستبقى هي الأمة التي لا تُكبّل بقيود وأغلال الخوف والمذلة

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٢٧هـ .

والمسكنة، ولا تُستعبد بالترهيب، ولا تُستتضم ويُهيمَنُ عليها بالسطوة والجبروت والبطش من الطغاة والظالمين والمجرمين.

ولهذا، كان من المهمَّ جدًّا الاهتمام بهذه الثقافة التي تُحيي فينا العرَّةَ والإبَاءَ في زمن نحن أحوج ما يكون فيه إلى أن نُرسِّخَ في أنفسنا العرَّةَ، وأن نحیی في وجداننا الإبَاءَ، في زمنٍ سعت قوى الطغيان بكلِّ إمكانيَّاتها وبكلِّ الوسائل والأساليب بالبطش والجبروت، بالغزو الثقافي والفكري، بالنشاط الإعلامي المُضللِّ، إلى أن ترسَّخَ في نفوس الشعوب كلِّ الشعوب ثقافة الهزيمة! وروح اليأس والاستكانة! وكذلك حالة الإذلال والقبول بالهوان! لأنَّها ترى في ذلك السبيل الميسر للهيمنة على المستضعفين والتحكُّم بشؤونهم وبمصائرهم.

ولذلك، نحن اليوم بثقافتنا القرآنيَّة كشعوب مستضعفة مسلمة نُحيي في أنفسنا كلَّ عوامل الثبات، والصمود، وكلَّ العوامل التي تمدُّنا بالأمل في مواجهة اليأس، وبالقوَّة في مواجهة الضعف، وبالعرَّة في مواجهة المذلة، لنكون فعلاً بمستوى مواجهة التحديَّات، ولنكون بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه والتوكُّل عليه واكتشاف كلِّ عناصر القوَّة التي نخترنها فيما وهبنا الله كشعوب مستضعفة من إمكانات ومقدرات نفسيَّة ومعنويَّة وماديَّة وثقافيَّة وفكريَّة، نستفيد منها، فتكون فعلاً نعمَّ عوامل القوَّة والثبات والصمود.

اليوم حينما نستذكر شهداءنا الأبرار، فإنَّنا نستذكر منهم الدروس والعظة والعبرة، نستذكر منهم المجد، ونستذكر منهم الصمود، ونستذكر منهم الإبَاء»^(١).

«إنَّ واجبنا أن نسعى لتعزيز روح الاستعداد العالي للتضحية والإصرار على الحياة الكريمة أو الشهادة بكرامة. ونحن في هذا السياق نرى في واقعنا

(١) المصدر نفسه .

ونحن نواجه الطغيان والعدوان الأمريكي الإسرائيلي السعودي كلَّ الأحرار والشرفاء في بلدنا من كلِّ فئات الشعب من الرجال والنساء من النخب العلميّة، كذلك في الميدان الجيش واللجان الشعبيّة الأحرار والشرفاء هم بحمد الله كثر من كلِّ الفئات من العلماء والإعلاميين والأكاديميين، كلُّ الأحرار نراهم فعلاً وقد تألّقوا بهذا الشرف؛ رجال أحرار شرفاء كرام، وحرائر شريقات عزيزات شامخات ثابتات صامدات مؤمنات، الكلُّ يعيش هذه الروحيّة من الاستعداد العالي للتضحية والصمود؛ هذا ما يجب أن نعرّزه، وهذا ما يرقى بنا دائماً لتحمل كلِّ الأخطار ومواجهة كلِّ التحديات»^(١).

«ففي يوم الشهيد نستلهم من الشهيد العزّة والوفاء، والصدق، والثبات على الحقّ، والبذل والعطاء والتضحية. ونستلهم من الشهيد الأخلاق والقيم العالية، وكذلك نستذكر مسؤوليتنا جميعاً، مسؤوليّة مجتمعنا تجاه أبناء الشهداء التي هي مسؤوليّة مهمّة علينا جميعاً»^(٢).

«في ذكرى الشهيد هذه المناسبة الغالية المقدّسة نستذكر فيها كلَّ الشهداء عبر التاريخ، ومن مختلف الأزمنة والمناطق والبلدان وإلى يومنا هذا.

الشهداء وفي مقدّماتهم الشهداء من الأنبياء، والشهداء من الصديقين، والشهداء من كافّة المؤمنين المجاهدين في كلِّ العصور والأزمنة والمناطق والبلدان، وفي صدر الإسلام الأوّل، في يوم بدر، وفي يوم أحد، وفي مقامات الإسلام وأيامه الخالدة وأيامه المجيدة، وإلى شهداء عصرنا في فلسطين الجرح النازف لأمتنا الإسلاميّة، إلى العراق، إلى لبنان، في كلِّ بقعة من بقاع العالم الإسلامي سقط فيها شهيد، بذل نفسه لله، ونُصرة للمستضعفين من عباد الله، وصولاً إلى شهداء مسيرتنا المباركة والمُظفّرة»^(٣).

(١) المصدر نفسه.

(٢) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويّة للشهيد ١٤٣٣هـ.

(٣) المصدر نفسه.

«نستذكر شهداءنا العظماء، شهداء النهج الإلهي من أنبياء الله وأوليائه، نستذكر الشهداء على طول خطِّ الرسالة الإلهية على امتداد التاريخ ونأخذ الدروس ونستلهم العِبَر من هذه المناسبة المهمة.

نأخذ الدروس التي نحن في أَمَسِّ الحاجة إليها في الواقع الذي نعيشه، والتحديات التي تمرُّ بنا والأخطار المعروفة التي تهدد الواقع من حولنا.

عندما نتحدَّث عن الشهداء في سبيل الله فنحن نتحدَّث عن رجال عظماء لهم مقامهم العظيم عند الله سبحانه وتعالى، لهم مكانتهم الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى، ومهما قلنا ومهما تحدَّثنا ومهما عبَّرنا فلن يصل حديثنا عنهم إلى مستوى ثناء الله عليهم، وما أعدَّ لهم من النعيم العظيم والمكانة السامية.

هم أحبَّاء الله وأولياؤه، الذين رضي الله عنهم وأرضاهم ومنحهم هذا الشرف الكبير الذي هو وسام عظيم لأولياء الله سبحانه وتعالى»^(١).

«ما نقوله عن الشهداء وكلِّ ما يمكن أن يُقال وكلِّ ما قد قيل لا يصل ولا يرتقي إلى مستوى ما حكاه الله الملك العظيم، ما حكاه عن الشهداء، ما أتى به عليهم، ما أكرمهم به، ما حكاه عن مقامهم وعن كرامتهم، وعمَّا أعدَّه لهم. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٢) ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٣) ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾^(٤).

من المؤمنين، الساحة الأساسية والمنطلق الأساسي الذي ينطلق منه الشهيد، الشهيد الذي استضافه الله إلى جواره، والشهيد الحيِّ الحاضر في كلِّ وقتٍ وحينٍ لبذل نفسه في سبيل الله، من أرضية الإيمان ومنبعه، من

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٤ هـ.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٧.

(٣) سورة النساء، الآية ١٢٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

قواعد الإيمان وأساسه يتحرك الجميع استجابة لله وشوقًا إليه وإلى ما عنده، ورضًا لما عند الله وما يريدُه الله، وإيثارًا للحياة الأخرى على الحياة الأولى، وتضحية وبدلاً وعطاءً، يتحرك الجميع بإيمانهم، خلف موقفهم إيمانهم، الدافع لهم إيمانهم، يحملون الإيمان في قلوبهم، ويعملون به في سلوكهم وموقفهم.

والعنوان الآخر الصدق ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الصدق مع الله سبحانه وتعالى، قَرَنُوا الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ، أثبتوا مصداقيتهم مع الله أن له تعالى جنودًا مخلصين، جنودًا صابرين، وما قبل الشهادة مرحلة طويلة، مرحلة من الكفاح، من القتال، من المرابطة، من الصبر، من التحمل لكل البيئة القتالية بكل ما فيها: من حرارة شمس، أو شدة برد، أو وعاء المناخ ما يكون من تراب وغبار، ثم الضراء والبأساء، والبأس المواجه لكل المتاعب في ميدان القتال وبروحية عالية، روحية ملؤها الإيمان، روحية إيمانية تجعلهم يتحركون بكل ثبات، بكل هممة، بكل رغبة، وهم مشتاقون إلى الله ومتطلعون دائمًا إلى ما عند الله سبحانه وتعالى.

وعندما نتحدث عن شهدائنا الأبرار نتحدث عن أساس موقفهم، فما يمتازون به هو: عدالة القضية ومشروعية الموقف، وقداسة النية والمقصد، وقداسة الهدف، وعظمة القيم والأخلاق، وسلامة واستقامة الممارسة والسلوك^(١).

«من وفائنا للشهداء ومسؤوليتنا تجاههم أن نكون أوفياء مع المبادئ والقيم التي ضحوا من أجلها. فالشهداء قدّموا أنفسهم في سبيل الله لأهداف عظيمة؛ كي يتحقق العدل، كي يزول الظلم، كي ينعم الناس بالعدّة، كي تتحقق لأمتهم الكرامة، كي يقوم دين الله، لأجل أن تعلق كلمة الله، القيم والمبادئ والأهداف التي قدّم الشهداء أنفسهم في سبيل الله من أجلها، وضحوا من أجلها يجب أن نكون أوفياء معها، فأن تكون جهودنا جميعًا كمجتمع مؤمن، وكمجاهدين في سبيل الله سبحانه وتعالى قائمة على هذا الأساس، وأن

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٣هـ.

نصون هذه المسيرة المقدَّسة العظيمة من أن تشوبها الأشياء التي تُسبىء إلى قداستها، وإلى قداسة قضيتها، وإلى مستوى تضحياتها وعطاها وبذلها.

هؤلاء الشهداء الأجلَّاء ما قدَّموه من تضحيات وصلت إلى مستوى النفس والحياة، كان أملهم إقامة الحقِّ، والعدل، أن ينعم مجتمعهم المؤمن بالأمن وبالسلام، وأن يتحقَّق في واقعه دين الله سبحانه وتعالى، والرحمة والأخوة والقيم العظيمة والنبيلة، فمن الوفاء لهم الوفاء مع تلك المبادئ ومع تلك القيم.

أيضاً من الوفاء لهم، من مسؤولياتنا كمجتمع مؤمن تجاه هؤلاء الشهداء رعاية أسرهم، والاهتمام بها. أسر الشهداء هم أمانة في أعناقنا جميعاً كمجتمع مسلم»^(١).

«ونستذكر أيضاً في ذكرى الشهيد: الفضل العظيم لأسر الشهداء لمن يحسبون شهداءهم عند الله سبحانه وتعالى، الذي يقول: ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٩﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٦٠﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٦١﴾».

فكلُّ أسرة شهيد قدَّمت في سبيل الله من أبنائها واحتسبتهم عند الله سبحانه وتعالى لها عند الله هذا الشرف، والفضل، لها عند الله هذه الكرامة: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ لهم هذه المنزلة الرفيعة والعالية والفضل الكبير عند الله، ولهم هذا العطاء الإلهي الذي وعدهم الله به، ولن يُخلف الله وعده.

ومسؤولية الجميع: دولة، مؤسسات، دولة وما تبقى منها، ومجتمعاً، مسؤوليتنا جميعاً مسؤولية كبيرة تجاه أسر الشهداء حقهم علينا أن نتعاطى

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢ هـ .

(٢) سورة البقرة، الآيات ١٥٥ - ١٥٧ .

معهم مثل أسرنا تمامًا ألا يجوعوا ونشيع، ألا يلحقهم المعاناة فلا يجدون من يمدُّ إليهم يدَ المحبَّة والإخاء والرحمة والكفالة والتعاون، مسؤوليَّتنا جميعًا وهذه قيمنا كيميئيين قيم الكرم والعطاء والإحسان والمروءة والتعاون أن نحافظ عليها.

أسر الشهداء هم أمانة في أعناقنا جميعًا كمجتمع مسلم، نتحمَّل مسؤوليَّة هذه الأسر في رعايتها أمام الله، في مساعدتها، الكثير من تلك الأسر التي قدَّمت شهداء فقدت من يعيها، من يهتمُّ بها، فيجب على المجتمع أن يكون تجاه هذه الأسر مُكرِّمًا لها وحنونًا تجاهها، رعاية ورحمة وخدمة وإحسان، وهذا قليل من كثير في مقابل ما تحقِّق بركة الشهداء، من خلال تضحياتهم، قليل من كثير، ولن يضيع شيء في هذا الاتجاه.

وليتذكَّر كل إنسان متًّا فيما لو كان هو الذي قدَّم نفسه في سبيل الله، وفي سبيل نصره المُستضعفين، ألا يأمل من بقيَّة مجتمعه وإخوانه أن يكونوا مبادرين إلى رعاية أسرته؟ والألَّا ينسوا له ما قدَّمه في سبيل الله؟ هذا شيء مهمٌّ وهو مسؤوليَّة أمام الله سبحانه وتعالى.

فقد رحل هؤلاء الشهداء العظام وتركوا أمانة في أعناقنا جميعًا أودعونا إيَّاهم هي: براعم الإسلام، براعم الإيمان، الأشبال الأعزَّاء، أبناءهم، أسرهم»^(١).

«بعد مقام الشهداء، هناك مقام عظيم كرتبة ثانية عند الله سبحانه وتعالى: (المعوقون) الذين جاهدوا في سبيل الله وتعرَّضوا لإصابات، البعض قدَّم من أعضائه، رجله، لم يعد يستطيع أن يمشي، البعض قدم نظره، البعض قدَّم يده، وغيرها الكثير؛ ولأنَّه صار معوقًا صار يعيش وضعًا معيَّنًا في حياته، ينقص عليه الكثير من الأمور، تضحياتهم كبيرة، وهي في المستوى الثاني بعد تضحية الشهداء، وهم في منزلة الشهداء الأحياء، لهم حقٌّ على الجميع في رعايتهم، في تكريمهم، في احترامهم، في الاهتمام بهم، ويجب أن يكون لهم

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنويَّة للشهيد ١٤٣٢هـ.

■ الفصل العاشر: الشهادة عطاء قابله الله بعطاء

منزلة خاصّة، أن يكون لهم موقع خاصّ في قلوبنا في نفوسنا جميعًا، وأن يدرك الكلّ جميع أبناء المجتمع المسؤولية تجاههم، هذا شيء مهمّ نذكّر به»^(١).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينصر شعبنا المظلوم وأن يشفي جرحانا وأن يرحم شهداءنا الأبرار.

(١) من كلمة للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٢ هـ .

الفصل الحادي عشر:

يوم القدس العالمي يوم ليقظة الشعوب



أعدت هذه المادة الثقافية من خطابات السيّد حسين بدر الدين الحوثي والسيّد عبد الملك بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليهما) بمناسبة يوم القدس العالمي.



أولاً- أهمية القدس وإحياء المناسبة

القدس كمدينة مقدّسة للمسلمين، عمل القرآن على ربطها ببقية المقدّسات الأخرى، فقال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ وَمِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) في هذه الآية وإسراء الرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى دليل على وجوب التعامل المتساوي في النظرة إلى المسجد الأقصى تمامًا كما المسجد الحرام، ليكون للأقصى والقدس مكانة كما الكعبة في قلبك ونفسك وقلبك ومشاعرك.

كما لمناسبة يوم القدس العالمي أهمية كبرى؛ وذلك لصلتها بالقضية الرئيسية الكبرى والمحورية للأمم، والتي هي القضية الفلسطينية، والمقدّسات في فلسطين، وعلى رأسها الأقصى الشريف، والشعب الفلسطيني المسلم المظلوم، والخطر الإسرائيلي الذي هو خطر شامل على الأمة كلها. هذه المناسبة لها هذه الأهمية؛ لارتباطها بهذا الشأن، بهذا الأمر المهم، والذي يجب أن يكون مُهمًّا لدى كل من ينتمي إلى هذه الأمة، فهذه القضية تعني الأمة - بكل الاعتبارات - في مقدّساتها، تعني الأمة في شعب هو جزء منها، وتعني الأمة تجاه أرض مستقطعة ومحتملة هي من أرضها، وتعني الأمة باعتبار الخطر الذي يهددها من جانب العدو الإسرائيلي الذي يتآمر عليها ولا يقتصر

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

خطره فقط على الخطر المباشر، والذي يستهدف الأمة به على نحو عسكري، أو أمني، أو في مستوى الحدود الجغرافية لأرض فلسطين، إنَّما يلامس خطره، ويمسّ خطره الأمة كلّها، في كلّ أقطارها، في كلّ شعوبها، في كلّ بلدانها، وخطر شامل يستهدف الأمة؛ لتقويضها من الداخل، يستهدف الأمة في كيانها، في ثقافتها، في استقلالها، في هويّتها، في أمنها، في استقرارها، وعلى كلّ المستويات.

فهذه القضية - التي لها كلّ هذه الأهميّة - من المهمّ جدًّا أن تتفاعل الأمة تجاه مناسبة تتعلّق بها، وتتزايد أهميّة المناسبة والحاجة الملحة للأمة إليها، مع المستجدّات والتطوّرات المتلاحقة، لمواجهة السعي الحثيث والمستمرّ لإبعاد الأمة عن الاهتمام بقضيتها هذه، وبإبعاد الأمة عن الالتفات إلى مسؤوليّتها الكبرى، وضرب حالة التقوى التي من أهمّ ثمراتها: الإحساس بالمسؤوليّة، وضرب الأمة لإفقادها الوعي، وخصوصًا الوعي تجاه قضاياها الكبرى، والتحدّيات والأخطار المتعلّقة بالعدوّ الإسرائيلي، ومن جانب العدو الإسرائيلي، ولمواجهة السعي الحثيث من قبل إسرائيل، ومن قبل الموالين لإسرائيل، والموالين لأمريكا، عن حرف بوصلة العداء لإسرائيل إلى اتجاهات أخرى.

هذا اليوم المهمّ، يوم المسؤوليةّ، يوم الكرامة، اليوم الذي تقول فيه الأمة كلمتها، وتجدد بيعتها لقضيتها الكبرى، وتؤكّد وقوفها الموقف الصادق، المسؤول إلى جانب الشعب الفلسطيني المظلوم. هذا اليوم العظيم، يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، شهر رمضان الذي هو مدرسة للتقوى، تتعلّم منه كيف نلتزم بالتقوى في الموقف، وفي السلوك، وفي العمل، التقوى التي من أهمّ ثمارها هو الشعور والقيام بالمسؤوليّة. شهر الصيام، شهر الأعمال الصالحة، شهر المبرّات، الشهر تتعلّم منه ومن صيامه ومن قيامه ومن أثر القرآن فيه، كيف نقف المواقف المسؤولة التي ترضي الله سبحانه وتعالى، والتي تبيّض وجوهنا في الدنيا والآخرة، المواقف التي تحتاج إليها الأمة حاجةً قبل أن تكون واجبًا، ثم هي الواجب المشرف، والعمل

المقدّس الذي يفرضه علينا اتماؤنا للإسلام، وتفرضه علينا إنسانيتنا وفطرتنا التي فطرنا الله عليها.

وهذا التوقيت هو هادف ومعبر، وله دلالاته المهمة؛ أولاً: ارتباطه بالعشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، وعلى أمل أن يأتي يوم من الأيام وتكون فيه صبيحة الجمعة الأخيرة من شهر رمضان صبيحة ليلة القدر التي قال الله سبحانه وتعالى عنها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾^(١) والتي قال عنها: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٢).

إنّ توجّه الأمة - في شهر رمضان المبارك، في العشر الأواخر منه، في شهر الصيام، والقيام وتلاوة القرآن، في شهر الهداية، في شهر نزول القرآن الكريم، وفي شهر التقوى - للنهوض بمسؤوليتها، والتحرّك في الاتجاه الذي يُفترض أن تتحرّك فيه، والذي يلامس مسؤوليتها وقيمها ومبادئها وأخلاقها، قد يصاحبه التوفيق الإلهي، قد يكتب الله - فيما يكتب، ويقدر فيما يقدر، ويدبّر فيما يدبّر - لهذه الأمة: الفلاح، والنجاح، والنصر، ولهذه القضية أيضاً الانفراج، وللشعب الفلسطيني الفرج.

هذا الشهر المبارك ببركته وأثره العظيم في النفوس، ثمّ في الأعمال والمواقف الذي يمكن أن يهيئ الأمة لاتخاذ الموقف اللازم المسؤول، الذي يمكن أن يعيّر من الواقع، فيردّ الظلم، ويدفع الفساد، ويكون له الأثر المهمّ في تغيير مجريات الأحداث، هذا اليوم الذي من أهمّ ما يتحقّق فيه رفع مستوى الوعي بالخطر الحقيقي على الأمة كلّها، فإسرائيل تمثّل الخطر الأكبر، والشرّ المطلق، ليس على مستوى فلسطين فحسب بل بالقدر نفسه على كلّ المسلمين، وعلى المنطقة بل هي تهديد للأمن والاستقرار والسلم العالمي.

هذا اليوم الذي هو أيضاً تذكيرٌ للأمة بقضيتها، الكبرى في مستواها، في تأثيرها، الكبرى في مستوى أهميتها وتداعياتها، الكبرى في مستوى

(١) سورة القدر، الآية ٢.

(٢) سورة الدخان، الآية ٤.

تأنيها، الكبرى بكلّ الاعتبارات والمقاييس التي يجب أن تأخذ الحيّز الأكبر من الاهتمام، وأن تكون أولويّة لدى كلّ مسلم، فيدرك أنّها قضيتّه، ويدرك أنّه مسؤولٌ تجاهها، ويدرك مستوى أهمّيّتها ومستوى خطورة التفريط فيها.

هذا اليوم أيضًا هو تذكيرٌ للأمة بعدوّها الحقيقي حتّى لا تضيع الأمة في متاهة من الوهم والعداء للوليّ وللصديق، وتستنفذ جهودها وطاقتها في عداء من ليس بعدوّ، بل هو عدوّ العدو الذي يريد العدو استغلال الأمة في مواجهته بالنيابة عنه، وهذا من أسوأ السوء، ومن أعظم الحمق والغباء، أن يستغلّ العدو شعوبنا العربيّة، كما هو حاصل في الواقع العربي للأسف الشديد، حيث تاهت كثير من القوى، وضلّت سواء السبيل، بعدائها من ليس بعدوّ، وتجاهلها للعدوّ الحقيقي بكلّ شرّه وخطره على الأمة ومقدّساتها، وأرضها وعرضها، ووجودها الحضاري.

وهذا اليوم هو يومٌ لمواجهة حالة التغييب المتعمّدة لهذه القضية على كلّ المستويات، فهناك جهد كبير من ورائه العدو الأمريكي والإسرائيلي لتغييب قضية فلسطين التي هي قضية الأمة بأكملها، والأقصى الشريف الذي هو المقدّس بالنسبة للمسلمين جميعًا، لتغييب هذه القضية، فلا تبقى محطّ اهتمام، ولا يبقى التعاطي معها على أساس من المسؤوليّة، تغييبها إعلاميًّا؛ فوسائل إعلامنا وهي كثيرة سواء على مستوى القنوات الفضائيّة أو الصحف، أو الإنترنت، كلّ وسائل الإعلام لا تتعاطى مع هذه القضية، بحجمها، بأهمّيّتها، كقضيّة أساسيّة، رئيسيّة للأمة، بل هناك جهدٌ متعمّد، وواضح لتغييبها وتهميشها، فلا تأخذ إلاّ مكانًا متواضعًا وبسيطًا في حيّز الاهتمام والتعاطي الإعلامي. وعلى المستوى السياسي، هناك تغييب وتهميش، وتبسيط لهذه القضية الإستراتيجيّة والكبيرة والهامة، ثمّ حتّى على المستوى الثقافي، على مستوى المناهج الدراسيّة في الجامعات والمدارس،

يُتضح تراجع كبير في الاهتمام بهذه القضية وتغييبها، وتغييب التطرق إليها بما يلزم في المناهج، والأنشطة الثقافية عموماً^(١).

هذا اليوم هو أيضاً لمواجهة حالة التجريم لمن يتبنى هذه القضية، لأنّ الحال الراهن قد تجاوز حالة التجاهل والتضييع إلى التجريم والاستهداف، وكيال الاتهامات، والتشكيك تجاه من يحاول القيام بالمسؤولية، أو يحاول دفع الأمة للقيام بمسؤوليتها. ما نعرفه جميعاً من حملة كبيرة إعلامية مشوهة ومغرضة ضدّ حزب الله في لبنان، ضدّ المقاومة الإسلامية في فلسطين، وضدّ كلّ قوّة حرّة من أبناء شعوبنا تساند المقاومة أو تقف معها، أو تعمل إلى دفع الأمة باتجاه تبني الموقف الصحيح والحكيم والمسؤول تجاه الخطر الإسرائيلي، ومعه الخطر الأمريكي، يُواجه كلّ ذلك بالتجريم، والتشكيك، والتشويه؛ تشويه المقاومة في فلسطين، تشويه كبير وإساءات كبيرة موجّهة إلى حزب الله تحت كلّ العناوين الطائفية والسياسية، وإطلاق الدعايات والافتراءات، ثمّ كلّ قوّة من القوى الحرّة داخل شعوبنا التي تتحرّك في اتجاه الموقف الصحيح والمسؤول تواجه كذلك بالتشكيك، وباللاتهامات، وبالدعايات الكاذبة، وبمحاولة الانتقاص، بأشكال الاستهداف، حتّى أحياناً على المستوى العسكري، وعلى المستوى السياسي، في محاولة لفرض حالة الصمت وحالة الاستسلام على الأمة كلّها فهذا اليوم هو يومٌ لمواجهة هذه الحالة.

يومٌ للوقوف مع الصوت الحقّ، مع الموقف الحقّ، مع الموقف المسؤول، وليعلم كلّ أولئك الذين يحاولون تشويه التحرك المسؤول، تشويه كلّ القوى الحرّة أنّهم هم المشوّهون حقيقةً، هم السيئون، هم المقصرون، هم المشبوهون في كلّ محاولاتهم لفرض حالة الصمت والاستسلام على الأمة.

إذاً يوم القدس العالمي هو يوم لإعادة القضية المحوريّة للأمة إلى موقعها الصحيح في الاهتمام الشعبي لدى الشعوب، حتّى لا تبقى هذه

(١) من خطاب السيّد عبد الملك في يوم القدس العالمي ١٤٣٤هـ

القضية أسيرة للإهمال الرسمي. كان الغالب على أداء الأنظمة والحكومات هو: الإهمال بكل ما تعنيه الكلمة، وانعدام الجدّة، ما كان هناك لدى الجانب الرسمي - في معظمه - اهتمامٌ وجدّية لتبني هذه القضية على نحو صحيح، والتحرّك الجادّ فيها، وحتّى لا تبقى أسيرة للحسابات، والمزايدات السياسية، والصفقات بين الأنظمة الرسميّة، وأمريكا والغرب.

هذه القضية ليست أبدًا - فقط - قضية الحكومات والأنظمة. هي قضية الأمة كلّ الأمة، كلّ فرد من أبناء هذه الأمة - في مقام التكليف، في مقام وموقع المسؤولية - هو معنيّ بهذه القضية، له حقّ في أن يكون له موقف، وعليه مسؤوليّة أمام الله والتاريخ في أن يكون له موقف، ولا يجوز بأيّ حال من الأحوال أن تقبل الشعوب بأن تُعزل على جانب، وأن يقال للجميع: لا شأن لكم بهذا، اقعدوا، اصمتوا، اسكتوا، اجمدوا، لا تقولوا شيئًا، لا تفعلوا شيئًا، لا تتحرّكوا، لستم معنيّين، لا شغل لكم بذلك، هذا ما لا يجوز بأيّ حال من الأحوال أن تقبل به الشعوب أبدًا.

وهذا هو ما سعى له الأعداء لكي يطمئئوا، ولكي يتخلّصوا من المشكلة نهائيًّا، وأن تغيب هذه القضية عن الاهتمام الشعبي، وعن حساباتهم، وعن كلّ شيء، لا تبقى مرتبطة لا بمبادئ، ولا بقيم، ولا بأخلاق، ولا بأيّ حسابات مهمّة، ولا بثوابت، سعوا - هم يسعون ويسعون - لفصل هذه القضية عن الشعوب، وعن الثوابت، حاولوا أن يحولوها إلى مجرد قضية عارضة تدخل ضمن الحسابات، والمزايدات، والصفقات، والمبادرات ضمن صفقات، وأن تغيب عن الاهتمام الشعبي.

نحن نقول كشعوب: هذه قضية لها علاقة بنا، لها علاقة بإسلامنا، لها علاقة بمبادئنا، بقيمنا، بأخلاقنا، بإنسانيتنا، نحن حتّى من الموقع الإنساني، ما يحدث من مظالم، من جرائم، من طغيان، من هضم للحقوق في فلسطين، لها صلة بأمننا الحقيقي والقومي.

يمثل العدو الإسرائيلي خطرًا علينا كشعوب، إذا حسبت الأنظمة حساباتها ضمن العلاقات والصدقات مع هذا العدو الإسرائيلي. فهو عدونا كشعوب، يشكّل خطرًا علينا في كلّ شيء؛ في أمننا، واستقرارنا، واستقلالنا، وهويّتنا، وأخلاقنا، ومقدّساتنا، في كلّ شيء، خطره خطر شامل علينا، لنا الحقّ أن نتحرّك لمواجهة هذا الخطر، والتصديّ له. والشعب الفلسطيني هو شعب مَنّا، جزء مَنّا، ما يمسه يمّسنا، الظلم له ظلم لنا، الانتهاك لكرامته انتهاك لكرامتنا. نحن كشعوب لا نؤمن بهذه التفرقة الجغرافيّة والسياسيّة التي حاولتم بها أن تفرّقونا، حتّى في الاهتمام، وفي المسؤوليّة، وفي الروابط الإنسانيّة، والدينيّة، والمجتمعيّة.

الأقصى الشريف هو من مقدّساتنا، ومن أقدسها، لا يمكن أن ننساها، أو أن نعتبر أنفسنا غير معنيّين به؛ لأننا لو وصلنا إلى درجة أن لا نبالي بمقدّساتنا، وبما يحدث هنا أو هناك على أمّتنا، فنحن إنّما نتخلّى عن هويّتنا، وإنسانيّتنا، وديننا، ومبادئنا، وأخلاقنا، وقيّمنا، وهذا ما لا نرضى به، ولا يمكن أن نقبل به.

فلذلك لا بدّ أن تحظى هذه القضية بالاهتمام الشعبي لهذه الاعتبارات، ثمّ أيّ حكومة، أيّ نظام رسمي، أيّ زعيم على رأس دولة؛ يجب أن يدرك أنّ هذا لصالح القضية، ولصالح كلّ منصف، كلّ مهتمّ، كلّ واعٍ في هذه الأمة.

وإسرائيل بما تتمتع به من دعم أمريكي مطلق، ودعم غربي من الدول الأوروبيّة، ومساندة كبيرة جدًّا ومفتوحة يجب الاعتماد - فيما يتعلّق بالوسط العربي والإسلامي - على استنهاض الشعوب، هذا يمثل عامل قوّة، هو العامل الرئيسي الذي يمكن أن يفيد، وأن يعطي الموقف، ما يحتاج إليه من الرّخْم والقوّة.

ففي مقابل المساندة الأمريكيّة والغربيّة للعدوّ الإسرائيلي؛ يجب أن تتحرّك الأمة كلّ الأمة، وأن يكون هناك الاستنهاض الشامل في مواجهة ذلك. هذه هي الحكمة، هذا هو التصرف الصحيح.

وأصبح الدور الشعبي حتمياً لا بديل عنه، ولا خيار آخر غيره في مقابل الإهمال الرسمي. وأكثر من ذلك: بعض الأنظمة، بعض الحكومات، اتخذت خياراً آخر، ليس فقط الإهمال، بل التعاون مع العدو الإسرائيلي، التطبيع، ثمّ زيادة على التطبيع: التعاون والتحالف مع العدو الإسرائيلي كما هو حال النظام السعودي والإماراتي^(١).

(١) من خطاب السيّد عبد الملك في يوم القدس العالمي ٢٠١٦.

ثانيًا- نشوء الكيان الإسرائيلي

المرحلة الأولى: عوامل نشوء الكيان الإسرائيلي

هناك عاملان أساسيان ساهما في نشأة وسيطرة العدو الإسرائيلي على فلسطين وهما في نفس الوقت متلازمان، ويجب أن نأخذ من خلال معرفتهما العبرة وأن نستفيد منهما في الوقت الحاضر:

العامل الأول: هو اهتمام من اليهود من جانب، وسعي جاد منظم برعاية بريطانية وغربية وفيما بعد حماية أمريكية.

العامل الثاني: عامل ملازم للعامل الأول وجزء أساسي وهو ما حدث من تخاذل وتقصير كبير في الجانب العربي، باستثناء تحرك محدود في الواقع الفلسطيني وفي الواقع العربي، تحرك محدود لا يرقى إلى مستوى حجم الموقف وحجم الخطر وحجم التحدي، بعض الأحرار وبعض الشرفاء وبعض الغيورين تحركوا وبذلوا جهودًا كبيرة، لكن كان مستوى التخاذل كبيرًا وكانت مساحة التخاذل في الداخل الفلسطيني والواقع العربي واسعة جدًا نتيجة عاملين أساسيين هما:

١- انعدام في الوعي عن هذا الخطر وعن هذه المؤامرة وعن مستواها، وانعدام في الوعي عن الواقع المحلي والواقع الإقليمي والواقع الدولي.

٢- نقص كبير جدًّا في الإحساس بالمسؤولية؛ فالكثير من أبناء الأمة لا يعتبر نفسه معنيًّا ولا مسؤولًا تجاه ما يحدث وتجاه ما يجري، ويدخل مع هذا - نتيجة لانعدام الوعي وعدم الالتفات الجادِّ للموضوع من أصله - اعتبارات مثل: فقدان الأمل، انعدام الرؤية، وعوامل متعدّدة^(١).

تحركَّ اليهود من نقطة الصفر وهم في حالة الشتات في أنحاء العالم؛ جزء كبير منهم في المنطقة العربيّة يعيشون في وضع طبيعيٍّ سواءً في الشام أو في دول المغرب العربي ودول أخرى، ولكن جزءًا كبيرًا منهم أيضًا يعيش في أوروبا، وجزء في أميركا، وفي الاتحاد السوفياتي سابقًا، وجزء يعيش في مناطق متفرّقة من العالم.

اليهود تحركوا من نقطة الصفر، وحرصوا على أن يكون تحركهم جادًّا بكلِّ ما تعنيه الكلمة، تحركوا بجديّة وباهتمام كبير وكانت لديهم عناية كبيرة بالإنفاق المالي. كانوا يجمعون التبرّعات من معظم الأسر اليهوديّة في العالم لتمويل هذا المشروع بعد أن أعدّوه كخطة ومشروع عمليٍّ معيّن باختيار فلسطين لتكون موطنًا يتوافدون إليه وينشئون لهم كيانًا فيه، ويسيطرون عليه، ومن ثمَّ يجعلون منه منطلقًا للسيطرة على المنطقة كلّها وإقامة ما يسمّونه بإسرائيل الكبرى ويفرضون لهم من خلال ذلك نفوذًا عالميًّا وسيطرة عالميّة؛ لأنَّ سيطرة اللوبي الصهيوني في أميركا وفي العالم الغربي معروفة.

واليوم في كثير من المناطق أو بلدان العالم العربي خطّتهم واضحة ولكن لديهم هذا الطموح: أن يكون لهم كيان يتوافدون إليه ويتحركون من خلاله ليفرضوا لهم سيطرة عالميّة وإلا فالله سبحانه وتعالى هو عالم بشرهم وفسادهم وكانت الحكمة الإلهيّة قضت بتفريقهم وتقطيع أوصالهم وتشتيتهم في العالم قال الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ

(١) من خطاب السيّد القائد بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٢٨هـ.

أُمَّمًا^(١) مَرَّقَ اللهُ شَمْلَهُمْ وَقَطَّعَ أَوْصَالَهُمْ وَفَرَّقَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ فِي الْأَرْضِ.

ولكن لاعتبارات كثيرة تعود بالدرجة الأولى إلى معاصٍ كبيرة في واقع الأمة العربيَّة والإسلاميَّة (العرب بالذات) منها: التخلّي عن مسؤوليَّتهم الدينيَّة والإسلاميَّة، وأشياء واعتبارات كثيرة وصلوا فيها إلى ظروف غريبة جدًّا من الشتات وانعدام الوعي وفقدان الإحساس بالمسؤوليَّة والتخاذل والضعف والوهن^(٢).

دور بريطانيا في نشوء الكيان الصهيوني

رأى أعداء الأمة وفي مقدّمهم بريطانيا آنذاك وهي في نشاطها الاستعماري في العالم، ورأى اللوبي اليهودي أنّ الظروف مواتية هنا في المنطقة العربيَّة بالتحديد لزرع هذا الكيان ولاعتبارات أيضًا مستقبليَّة بالنسبة لحسابات الأعداء تجاه هذه الأمة؛ فهم وإن كانوا يرون هذه الأمة في مرحلة معيَّنة أنّها في حالة ضعفٍ ووهنٍ فهم يعرفون أنّه يكمن فيها عناصر القوَّة التي يمكن أن تبعثها وأن تحييها وأن تقيمها من جديد.

فكان هناك تحرّكٌ بجدِّ كبير من جانب اليهود وهم في الشتات أنفقوا الكثير من الأموال حتّى يمولوا هذا المشروع بالانتقال إلى فلسطين بعد حصولهم على وعد «بلفور» من بريطانيا وبيدؤوا بتشكيل هذا الكيان وزرع في فلسطين.

اليوم الكثير من أبناء الأمة يبخل بالإنفاق بأيّ مبالغ مهما كان حجم القضية سواء لدعم مباشر للقضيَّة الفلسطينيَّة أو لإحياء الشعور بالمسؤوليَّة في واقع الأمة وإعادة استنهاضها من جديد لمواجهة الخطر الإسرائيلي

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦٨.

(٢) من خطاب السيّد القائد بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٣٨ هـ.

والأميركي في فلسطين وسائر بلدان المنطقة. البعض يبخل يعني ذلك - أيها المسلمون يا أبناء أمتنا - أنه لم يصل اهتمام الكثير من أبناء أمتنا بقدر ما كان يحمله اليهود من اهتمام فتفوقهم في مستوى الاهتمام والجديّة في التحرك ساعدهم لينجحوا، هناك عوامل تبني عليها نهضة أُمم وسقوطها، واحد منها هو: الاهتمام والجديّة، الأُمة التي تملك اهتمامًا بقضايا وتتحرك وتعمل وتشتغل وتقاتل وتضحّي وتنفق وتقدّم وتعطي في مقابل أمة يبخل ويجمد ويسكن ويتنصل الكثير فيها عن المسؤولية؛ تكون النتيجة لصالح الطرف الذي يتحرك ويعطي ويعمل ويسعى ويكدح ويضحّي ويجدّد... إلى آخره، هذا شيء^(١).

حرص اليهود أيضًا على أن يكون لهم حافز ودافع كبير في أوساطهم للتفاعل مع فكرة الاجتماع من مناطق الشتات إلى فلسطين، والتوافد هناك واحتلال فلسطين وإنشاء هذا الكيان، كان عندهم الحافز القومي الفطري الطبيعي للناس أن يكون لهم كيان وشأن واعتبار... إلى آخره، ولكن حرصوا على إضافة حافز ليكون حافزًا رئيسيًا وأساسيًا ودافعًا جوهريًا ومهمًا - ويجب أن نأخذ العبرة من هذه - وهو الحافز الديني. اليهود حرصوا على أن يجعلوا من الحافز الديني: الدينمو الذي يحرك الكثير منهم فينطلقون بكلّ قناعة وبكلّ اهتمام وبكلّ جديّة، وباعتبار المسألة مسألة دينيّة فركّزوا على عنوانهم المشهور (أرض الميعاد) وهيكلمهم المزعوم، وجعلوا من هذا الاعتبار الديني دافعًا رئيسيًا ليحرك اليهودي أينما كان في أيّ قطر من أقطار العالم، أن ينظر إلى المسألة على أنّها مسؤوليّة دينيّة، أنّ ثقافته الدينيّة تفرض عليه أن يذهب إلى هناك، وأنّ هناك أملًا بأنّ الله قد وعد نبيّه إبراهيم بهذه الأرض لهم.

فانطلقوا بحافز وبأمل دينيين، بينما يحرص الكثير في واقعنا العربي على أن نشطب من واقعنا الدافع الديني والأمل الذي يبنى على اعتبارات كثيرة؛ المسجد الأقصى كمقدّس من مقدّساتنا وتربطنا بالمسألة الاعتبارية الدينيّة

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بدرالدين الحوثي عشية يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٢٨هـ.

بالتأكيد، المسؤولية الدينية في الدفاع عن جزء من أبناء الأمة وعن أرض من أرضها، يقول الرسول ﷺ يقول: «من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس من المسلمين»، «ومن سمع منادياً: يا للمسلمين يستغيث بأتمته فلم يجبه فليس من المسلمين»، وفي بعض الروايات «فليس بمسلم» إذا في ديننا مسؤولية، المسؤولية هي جزء من دينك كما الصلاة جزء من دينك، كما الصيام، لا تفكر تفكير البعض ممن يعتبر نفسه غير معنيّ بشيء، لا. أنت معنيّ بهذا الاعتبار، لأنّ كلّ الأضرار والأخطار ستطالك ولن تكون بمنأى عنها ولا بسلامة منها أبداً^(١).

فاليهود بالرغم من تفرّقهم في البلدان كان لديهم هاجس الحفاظ على هويّتهم، ولاحظوا بالرغم من أنّهم عاشوا في وسط الساحة العربية على مدى مئات الأعوام وعاشوا كمعاهدين في ظلّ ظروف مستقرّة في العالم الإسلامي لم يكن العالم الإسلامي يضطهدهم وهم يعيشون كمواطنين معاهدين، عاشوا في اليمن عاشوا في العراق عاشوا في المغرب العربي عاشوا في بلدان كثيرة في ظلّ وضع طبيعي مستقرّ: لا يُظلمون، لا يُضطهدون ولا يقهرون، يمارسون نشاطهم الحرفي ويعيشون وضعيّة آمنة ومستقرّة، ومع هذا احتفظوا بهويّتهم لاعتبارات كثيرة، ولتقصير في داخل الأمة.

ولكن - وفي هذا درس للأمة - احتفظوا بهويّتهم لم يتأثر الكثير منهم بالإسلام والمسلمين ولم يذوبوا في المجتمع الإسلامي ولم يندمجوا بالشكل المطلوب مع المجتمع الإسلامي، لا يزال اليهودي يعيش جيلاً بعد جيل في المنطقة العربية وهو يحمل شعوراً أنّه ليس من هذه الأمة، ليس منهم وأنّه يرتبط بأمة أخرى يرتبط بذلك اليهودي أو بتلك الدولة أو بذلك البلد أو بتلك المنطقة وليس من أولئك الناس الذين يعيش بينهم والذين قد يكون فعلاً قد

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بدرالدين الحوثي عشية يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٢٨هـ.

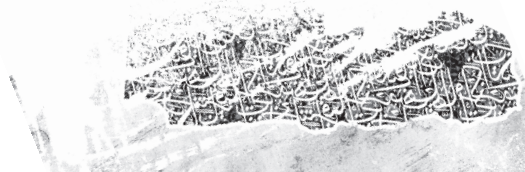
ولد بينهم وترعرع بين أوساطهم ويتكلّم بلهجتهم ولكنّه يحمل شعورًا أنّه ليس منهم^(١).

ليس هذا فحسب من أعجب الأمور فيهم أنّهم احتفظوا أيضًا بعداء شديد جدًّا لهذه الأمة؛ فالبعض من اليهود مثلًا عاش في مناطق في العالم العربي والإسلامي في واقع طبيعي جدًّا، لم يكن فيه ما يثير فيه حالة الحقد، لم يُظلم، لم يُضطهد، لم يُذلّ، لم يُقهر، لم يمسه أيّ سوء من جانب هذه الأمة، فكيف حملوا كلّ هذا الحقد الشديد؟ إنّها ثقافة حملوها وحافظوا عليها وتربّوا عليها وآمنوا بها واعتنقوها واعتقدوها صنعت عندهم كلّ هذا الحقد.

كذلك التحرك العسكري: بعد أن وصلوا إلى فلسطين بدأوا يتواجدون بشكل نشط هناك بكلّ أشكال الحياة، وحرص البعض منهم على شراء أراضٍ أو ممتلكات... إلى آخره، وكذلك نشطوا عسكريًّا وحملوا الروح العسكريّة - وفي هذا درس مهمّ لنا - وكانوا يتشكّلون ضمن تشكيلات مقاتلة، في البدء: عمليّات، تفجيريات، واغتيالات وفيما بعد نشاط عسكري واسع: اقتحام للقرى والمناطق وتنامت وتضخّمت وكبرت هذه التشكيلات العسكريّة حتّى أصبحت تشكيلات كبيرة بالآلاف وكانوا يغزون القرى الفلسطينيّة ويهدّدونها عسكريًّا ويقتحمونها ويقاتلون.

فيما يسعى البعض دائمًا وأبدًا إلى تدجين أمّتنا أن لا نحمل الروحيّة الجهاديّة، أن لا يكون لدينا استعداد لقتال أعدائنا أبدًا في مقابل الروح العسكريّة لدى اليهود ولديهم نشاط مستمرّ. لاحظوا اليوم، البلد الوحيد في المنطقة كلّها الذي يشهد مناورات حربيّة شاملة هو فلسطين المحتلّة من جانب اليهود، اليهود وحدهم في المنطقة يجرون مناورات حربيّة يدخل فيها من يعتبرونهم هم من مواطنيهم ضمن هذه الإجراءات وضمن هذه المناورات،

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بدرالدين الحوثي عشية يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٢٨هـ.



ويحرصون على أن يعيشوا في واقعهم الداخلي بشكلٍ مستمرٍ حالة الجهوزية والاستعداد النفسي والفعلية للحرب.

فحالة التعبئة العسكرية هي جزء أساسي من ثقافتهم من أنشطتهم من سياساتهم من توجهاتهم، وجزءٌ أساسيٌّ أيضاً من ممارساتهم: التعبئة العسكرية والاستعداد العسكري المستمر، وهذه حالة يحرصون بكلّ جهدٍ وجدّ على أن تنعدم في واقعنا نحن وكأنا أمة ليس لها أيّ عدوّ في هذا العالم، وكأنا أمة لا تواجه أيّ تحديات أبداً، ولا أيّ مخاطر أبداً، وكأنا أمة لا بأس علينا ولا خطر ولا هناك من يمكن أن يخدشنا حتّى بالسكين.

بينما نحن أمةٌ نُستهدف أكثر من أيّ أمةٍ أخرى في العالم، يعني ليس هناك في الأرض أمةٌ مستهدفة بقدر ما نحن كمسلمين وعرب. هذه حقائق واضحة تشهد عليها أحداث ويشهد لها كلّ الكون، ونحن أولى الناس في هذا العالم وأحوجهم في هذه الدنيا، وأمّس الناس اضطراباً في هذه الأرض بأن نحيا في واقعنا كأمة الجهوزية العسكرية، الروحية الجهادية، الاستعداد العسكري لنواجه كلّ هذه التحديات والأخطار التي نعاني منها والتي تستهدفنا من الجانب الإسرائيلي والأمريكي ومن جانب قوى الشرّ المصطنعة والمشكّلة من داخل أمتنا: الدواعش والتكفيريين^(١).

فلاحظوا دروس مهمّة جدّاً لنا اليوم لا يتحقّق الإسرائيليون في مناهجهم الدراسية وأنشطتهم العامة وسياساتهم وفي كيانهم بثقافة ترك العنف، والسلام، والاطمئنان وأن يكون الإنسان في هذه الحياة حملاً وديعاً وإنسان لا يمتلك أيّ قدرات عسكرية، وأن تكون أمةٌ مجردة من كلّ قدراتها العسكرية، وأن ننظر إلى العالم كلّهُ بنظرة سلام؛ لأنّهم كلّهم في هذه الدنيا طيّبون ومسالمون، فقط نحن لا نثير مشاكل في هذا العالم، ننتبه، إذا لم نثير مشاكل في هذا العالم فكلّ الأمور تمام وسلام!.

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بدر الدين الحوثي عشية يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٢٨هـ.

هذه الرؤية للعالم لا توجد أبداً لدى الأطراف الأخرى، كل الكيانات في هذا العالم، اذهب إلى الأمريكي، الإسرائيلي، الأوروبي، الصيني، إلى أي كيان حول العالم، كل الناس، كل منهم يحرص على أن يكون كياناً قوياً بما تعنيه الكلمة، وكل منهم له في ثقافته، في سياسته، في إستراتيجيته التي يبنى عليها واقعه، وهناك تحديد واضح للمخاطر التي تشكل تهديداً ويجب السعي لامتلاك القوة اللازمة لمواجهة هذه المخاطر والتحديات وهناك سعي أن يكون كياناً قوياً.

فقط العرب الذين يقال لهم كونوا أمة وديعة، كونوا في هذه الدنيا أناساً لا يمتلكون أي عامل قوة، لا في روحيتهم، ولا في ثقافتهم، ولا في توجهاتهم، ولا في سياستهم، كونوا أمة لا تحظى بذرة من المنعة ولا القوة ولا تقدر على أن تحمي نفسها أمام أي أخطار ولا في مواجهة أي تحديات.

فنشط اليهود عسكرياً، نشطوا وقاتلوا، حملوا السلاح امتلكوه، وفروا، جلبوا السلاح، ومنذ ذلك اليوم إلى اليوم وهم يعملون على هذا النحو: تعبئة عسكرية، تجهيزاً عسكرياً، تدريباً عسكرياً، روحية عسكرية، امتلاك السلاح، وسعي دؤوب لامتلاك أفتك أنواع السلاح ونفذوا اعتداءات كبيرة جداً وجرائم رهيبية جداً وقتلوا وجرحوا وشرّدوا الملايين من الشعب الفلسطيني آنذاك برعاية بريطانية^(١).

في مقابل ذلك تخاذل كبير في الواقع العربي، كان التحرك محدوداً، في الداخل الفلسطيني تحديداً، وفي الواقع العربي بشكل عام، لم يرق هذا التحرك إلى مستوى الخطر، ليس هناك قراءة صحيحة حتى اليوم.

اليوم أمامنا أحداث كبيرة ومخاطر حقيقية، وما يزال الإسرائيلي يشكّل خطراً في واقع الأمة وتهديداً والأمريكي من هناك، ولكن الكثير دائماً ينظر إلى مثل هذه الأخطار بنظرة ناقصة أو نظرة مغلوطة بالكامل فلا يكون هناك

(١) من خطاب السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي عشية يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٣٨هـ.

التشخيص اللازم لمستوى التحدي وما يتطلبه هذا التحدي، وهذا الخطر من مواقف، من تحرك عملي وفعلي من داخل الأمة^(١).

المرحلة الثانية: ما بعد نشأة الكيان الإسرائيلي

المرحلة الثانية: ما بعد نشأة الكيان الإسرائيلي، نشأ الكيان الإسرائيلي وفرض حضوره العسكري بالقوة وبالحماية السياسيّة وبالحماية بكل أشكالها من بريطانيا ومن الغرب ومن بعد ذلك من أمريكا ودعم آنذاك من الأمم المتحدة، وبعد ذلك من مجلس الأمن، وأصبح حالة مدعومة عالمياً من تلك الأطراف الدوليّة، ومرحّب به لديهم.

كان المفروض أن يشكّل زرع هذا الكيان المعادي في قلب المنطقة عامل يقظة واستنهاض لدى أمتنا وعامل مراجعة، عامل يقظة أن تنبّه الشعوب، حدث كبير واستثنائي وغريب، خطيراً وليس عادياً، كيان معادٍ ويأتي فيقتطع جزءاً من المنطقة، جزءاً من أرضنا العربيّة والإسلاميّة ومن مقدّساتنا ويفتك بشعب كامل من شعوبنا، وجزء كبير من أمتنا، يعني جرحاً كبيراً. الجرح الفلسطيني جرح كبير، وكان المفترض أن يكون موقظاً للأمة من حالة السبات التي كانت مستغرقة فيها؛ ولكن حجم هذا الجرح للأسف لم يوقظ الأمة، ومنذ ذلك اليوم وإلى اليوم لم تحظ هذه القضية وهذا الحدث الكبير وهذه المشكلة الكبيرة من الاهتمام في أوساط هذه الأمة بقدر ما ينبغي وبقدر ما يفترض، لا لدى نخبها ولا لدى جماهيرها.

لا يزال الموقف العربي والموقف في العالم الإسلامي متواضعاً، لم يرق بعد باهتمامه تجاه هذه المسألة بالشكل المطلوب وكما ينبغي، ولم يلتفت بجديّة كما يفترض، فيحظى باهتمام كبير جدّاً، هل هي قضية ساخنة في الوطن العربي، في الأوساط والنخب، في الأوساط السياسيّة والعلمائيّة،

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بدر الدين الحوثي عشية يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٢٨هـ.

والأكاديمية، أوساط النخب... إلى آخره، لا، أحياناً تحظى بجزء من الاهتمام، بقدر من التفاعل ولكن ليس التفاعل المستمر ولا التفاعل المثمر كما ينبغي^(١).

كان يفترض أن يمثل هذا أيضاً كما هو عامل يقظة، وعامل استنهاض وعامل مراجعة، لماذا تمكّن الأعداء من أن يفعلوا بنا كل هذا؟ كيف نجح اليهود من نقطة الصفر أن يتحوّلوا في منطقتنا بين أوساطنا إلى كيان قويّ وكيان فاعل يحضر بقوة وينهزم الكثير أمامهم؟.

كان هناك فشل كبير للأداء الرسمي. الحكومات والأنظمة فشلت فشلاً ذريعاً إلى حدّ كبير، ولكن فيما بعد كان هناك نجاح شعبي لقوى نشأت في الأوساط الشعبيّة، سواءً في فلسطين من خلال الحركات المجاهدة هناك، حركات المقاومة التي كان من نتاج حركتها تحرير قطاع غزة، وهزائم واضحة وصریحة واتكاسات كبيرة لإسرائيل، وقبل ذلك وأجلى بكثير ما حقّقه حزب الله في لبنان.

والذي حقّقه حزب الله في لبنان كان يجب من كل أبناء الأمة أن يحظى بالاستفادة وبالاهتمام الكبير فهو يمثل درساً مهمّاً جدّاً، ويمثّل في نفس الوقت حجّة على الشعوب في مواجهة كلّ الذين حاولوا أن يفقدوا هذه الأمة الأمل بالنصر، كلّ الذين حاولوا أن يعمّموا حالة اليأس في أوساط هذه الأمة، كلّ الذين أشاعوا الروح الانهزاميّة في أوساط الأمة، هؤلاء كلهم ثبت أنّهم مخطئون واهمون وأنّ هناك ما يمكن أن يبنى عليه^(٢).

وفعلًا هناك الكثير ممّا يمكن أن تدرسه الأمة، وتناقشه؛ أن تراجع الأمة واقعتها على أساسه، وبداية هذه المسألة هي: نشوء هذا الكيان المعادي في أوساط الأمة، في قلب المنطقة، هو بحدّ ذاته فيه الكثير من الدروس والعبر، لم يكن أمرًا طبيعيًا نهائيًا، هو يشهد بحدّ ذاته على مستوى الاختلال الكبير في

(١) من خطاب السيّد عبد الملك بدر الدين الحوثي عشية يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٣٨هـ.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك بدر الدين الحوثي عشية يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٣٨هـ.

واقع الأمة، على الضرورة القصوى لأن تلتفت الأمة إلى واقعها الالتفاتة الجادة والصادقة والهادفة؛ لمراجعة واقعها، وتصحيح وضعيتها.

أن ينشأ كيان معادٍ وغريبٍ على هذه الأمة في كلِّ شيء في أوساط هذه الأمة، أن تتوافد العصابات اليهودية، والأعداد الكبيرة من الصهاينة بالآلاف - وصولاً إلى مئات الآلاف، والملايين - إلى بلد مسلم وعربي في وسط الأمة، ثم أن تتحرّك في هذا البلد، وتعتمد في تثبيت واقعها في هذا البلد، وإحكام سيطرتها في هذا البلد على: القتل، وارتكاب أبشع المجازر، والتهجير، والاعتصاب، وتحرّك كمسرح مفتوح في بلد تفعل فيه ما تشاء وتريد، تضرّب كما يحلو لها، أمّة كبيرة، من أمّة المليار مسلم؛ تفعل ما تشاء وتريد، تضرّب كما يحلو لها، تتصرّف كما ترغب، ولا تتحرّج من فعل أيّ شيء، تقتل الآلاف، تهجر مئات الآلاف، تحتلّ الأرض، وإضافة إلى ذلك: تتناول على المقدّسات، وتتغلّب وتتحكّم في مقدّساتٍ هي من أهمّ مقدّسات الأمة، والأمة في كلّ هذا المحيط الكبير بهذا البلد؛ تبقى مكبّلة، وإذا تعاطت، أو تحرّكت، أو تفاعلت، فعلى نحوٍ محدود، ليس أبداً في مستوى التحدّي، ولا في مستوى الخطر، ولا في مستوى ما يحدث هناك، ولا في مستوى المسؤولية.

هذا الحدث الكبير - بكلّ ما ترتّب عليه، وبكلّ تداعياته التي تعاضمت، وكبرت، ونشأ عنها الكثير والكثير من الأخطار، والتحديات، والمشاكل، والفتن - هذه المشكلة؛ هي كانت أمّ المشاكل في مناطقنا، أمّ الفتن، أمّ الأخطار، هي قاعدة لكلّ التحديات التي ستواجه الأمة.

فما حدث يمثل درساً مهمّاً كبيراً جدّاً للأمة، هو شاهد على حالة الغفلة، حالة البعد عن التحلّي بالمسؤولية، حالة التنصّل عن الواجب، حالة انعدام الوعي التي سادت في أوساط الأمة، ويعبّر عن حالة الوهن، والضعف، والحيرة، التي سادت في أوساط الأمة، فأمكن أن يحدث فيها كلّ هذا، وهو يعبّر عن الحالة التي سادت واقع الأمة، حالة فقدان العزّة والمنعة التي كانت تتمتع بها الأمة في تاريخها في الماضي، ثمّ فقدتها وليس بالصدفة

فقدتها، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١) «(٢)».

من المعلوم قطعاً أن لا مصلحة أبداً في كُـلِّ ما يحدث في منطقتنا إلا لطرف واحد. هذا الطرف هو الذي يسعى فعلياً إلى استهداف الأمة جمعاء، هذا الطرف يتمثل بالصهاينة، يتمثل باللوبي اليهودي الصهيوني في العالم، يتمثل في أمريكا وإسرائيل، ويتمثل في هذا اللوبي الذي يقود السياسة الغربية ويتحكم بها ويجزؤها إلى مثل هذا الصراع، وإلى صناعة كُـلِّ هذه الأحداث.

حينما أتت أحداث الحادي عشر من سبتمبر فهي أتت أساساً وصُنعت لتكون الذريعة البارزة لانطلاق أخطر وأكبر مؤامرة على أمتنا في كافة شعوبها أو بلدانها، وفي أكبر عملية تضليل وخداع.

ولذلك كان الكاتب الفرنسي مصيباً عندما كتب كتابه عن أحداث الحادي عشر وسمى هذا الكتاب، وهو يصف ما حدث «بالخدعة الكبرى».

فعلاً أكبر عملية تضليل جعله عنواناً لتحرّك خطير جداً، يستهدف أمتنا بشكل غير مسبوق، وإلا الأمة مستهدفة على طول تاريخها؛ لكن هذه المرحلة من الاستهداف مرحلة غير مسبوقة، وهذا الاستهداف وصل إلى مراحل متقدمة تمثل خطراً كبيراً على وجود الأمة.

وجودها السياسي، وجودها الثقافي، وجودها الحضاري، وجودها بكل ما للكلمة من معنى، هذا التهديد هو تهديد يسعى إلى تقويض الأمة بالكامل إلى هدم كُـلِّ معالمها، إلى إسقاط كُـلِّ بناها على كُـلِّ المستويات، إلى تهديم كُـلِّ شيء في مقابل وضعيّة سيئة على المستوى الداخلي للأمة، وضعيّة

(١) سورة الأنفال، الآية ٥٣.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك بدر الدين الحوثي عشية يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ٢٠١٦.

■ الفصل الحادي عشر: يوم القدس العالمي يوم ليقظة الشعوب

جعلت من واقع الأمة مسرحًا مفتوحًا يساعد على نجاح المؤامرات كافة، كُـلِّ مؤامرات الأعداء^(١).

(١) من كلمة السيد عبد الملك في الذكرى السنوية لاستشهاد الشهيد القائد ١٤٣٧هـ.

ثالثًا- واقع الأمة

واقعنا واقعٌ ليس محصنًا بالوعي، ولم يعد محصنًا بالقيم، وفي الفترة الأخيرة كان له أثرٌ تأثير سيء في واقع الأمة؛ في مسارها الداخلي في السياسات والتوجهات، كان كذلك عاملاً مساعداً إلى حدٍ كبير في أن تصل الأمة إلى واقعٍ يطمع أعداؤها فيها، بل ويقدم صورة عن الواقع للأعداء على أنه يمثل فرصة كبيرة جداً يرون فيها الأهمية الكبرى لأن تستغل استغلالاً إلى أقصى حد، هذا ما يفعلونه، هم يستغلون هذا الواقع السيء جداً والمتردّي ويعملون ما يشاؤون ويريدون.

أمام هذا الخطر الكبير والتحدّي غير المسبوق والشامل للأمة، كلُّ الأمة أحوج ما تكون إلى التحرك بالمشروع القرآني، إلى العودة إلى القرآن من جديد الذي هو كتاب الله سبحانه وتعالى، الذي هو الهدى ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١) والنور الذي يمكن أن تستضيء به الأمة في مواجهة كلِّ الظلمات، بل لإخراج الناس من الظلمات. تحتاج الأمة إلى القرآن الكريم في مواجهة تضليل بهذا المستوى، تضليل رهيب ومن جهة لديها خبرة هائلة جداً وقدرات كبيرة جداً في عملية التضليل والخداع.

وفعلًا انطلت هذه الخدعة على الكثير في العالم، في منطقتنا، وخارج منطقتنا، على مستوى العالم العربي والإسلامي وعلى المستوى الدولي. يمثل القرآن الكريم الضمانة الوحيدة التي يمكن أن تعتمد عليها الأمة وهو

(١) سورة الإسراء، الآية ٩.

كما قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وقال ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَيْبِكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١). كما أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ الحَقَائِقَ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَخَلَّفَ وَلَا أَنْ تَتَبَدَّلَ إِطْلَاقًا، يَقْدَمُ الهِدَايَةُ الكَافِيَةُ لِلأُمَّةِ، وَهُوَ كِتَابُ الحَيَاةِ، يَتَنَاوَلُ مَشَاكِلَهَا وَوَاقِعَهَا وَهَمُومَ هَذَا الإِنْسَانِ وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يُوَاجِهُهُ مِنْ تَحْدِيثَاتٍ وَأَخْطَارٍ وَمَشَاكِلَ، وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ يَرَسِمُ لِلإِنْسَانِ مَعَالِمَ الحَقِّ وَيُرشِدُهُ إِلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ وَيُدُلُّهُ عَلَى السَّعَادَةِ.

بَلْ إِنَّ سَعَادَتَنَا كَبِشْرٍ مَرْهُونَةٌ بِاتِّبَاعِ هُدَى اللَّهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ السَّعَادَةُ إِلَّا بِذَلِكَ، وَهَذَا وَاضِحٌ، هَذِهِ القُوَى العَالَمِيَّةُ وَفِي طَلِيعَتِهَا وَعَلَى رَأْسِهَا أَمْرِيكَا وَإِسْرَائِيلُ وَمَنْ مَعَهَا بِكُلِّ مَا تَمْتَلِكُهُ مِنْ قُدْرَاتٍ مَادِّيَّةٍ وَإِمْكَانَاتٍ هَائِلَةٍ وَهَيْمَنَةٍ وَنَفُوذٍ وَقُدْرَاتٍ وَتَسَلُّطٍ هَلْ جَلِبَتِ السَّعَادَةُ لِلبَشَرِيَّةِ؟ أَمْ أَنَّهُمَا جَلِبَتِ الشَّقَاءَ فِي وَاقِعِ البَشَرِيَّةِ؟ فَكَلَّمَا أَزْدَادَ نَفُوذَهَا وَازْدَادَتِ هَيْمَنَتُهَا أَزْدَادَ شَقَاءِ البَشَرِيَّةِ، وَمَعَانَاةَ بَنِي البَشْرِ، وَكَلَّمَا أَرَهَقَتِ النَّاسَ بِالكَثِيرِ مِنَ الأَزْمَاتِ وَالمَعَانَاةِ.

فَهَدَى اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ النُّورُ، هُوَ المَشْرُوعُ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَرْتَقِيَ بِالإِنْسَانِ لِيُؤدِّيَ دَوْرَهُ كَمَا أَرَادَ اللَّهُ لَهُ وَأَنْ يَحَافِظَ فِي نَفْسِ الوَقْتِ عَلَى إِنْسَانِيَّتِهِ، عَلَى قِيَمِهِ، عَلَى وَجُودِهِ المُقَدَّسِ وَالمُمَيِّزِ كخَلِيفَةِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ.

عِنْدَمَا نَعُودُ إِلَى وَاقِعِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَاقِعَهَا بِذَاتِهِ يَشْهَدُ عَلَى أَنَّهَا هَجَرَتْ هَذَا الكِتَابَ - القُرْآنَ الكَرِيمَ - فِي مَقَامِ الإِهْتِدَاءِ وَالاسْتِرْشَادِ بِهِ. فِي الوَاقِعِ، القُرْآنُ بَقِيَ كِتَابًا يُقْرَأُ، صَوْتًا مَسْمُوعًا؛ لَكِنَّهُ فِي مَقَامِ الاتِّبَاعِ وَالِإِهْتِدَاءِ وَالاسْتِرْشَادِ وَالعَمَلِ بِهِ غُيِّبَ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ، غُيِّبَ مَعْظَمُهُ، تُرِكَ أَكْثَرُهُ، بَقِيَ مِنْهُ أَقَلُّ القَلِيلِ وَفُصِّلَ مَا بَقِيَ مِنْهُ عَنِ بَقِيَّةِ الأُمُورِ، عَمَّا لَهُ ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ بِهِ، لَا يَتَأْتَى بِهِ نَفْعٌ وَلَا يَحْصُلُ مِنْهُ فَائِدَةٌ إِلَّا بِهِ، فَبَقِيَ هَذَا القَلِيلُ مَجْرَدًا عَلَى النُّحُوِّ الَّذِي لَا يَفِيدُ أَيْةً فَائِدَةً، أَوْ فَائِدَتَهُ مَحْدُودَةً لِلغَايَةِ، فَأَصْبَحَ وَاقِعُ المُسْلِمِينَ وَاقِعًا مَأْسُورِيًّا وَسَيِّئًا وَكَارِثِيًّا.

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٥.

وأصبحت حال الأمة على النحو الذي أطمع أعداءها فيها فأواها فريسة سهلة يمكن أن يفعلوا بها ما يشاؤون ويريدون، أن يتآمروا عليها بكل أشكال وأنواع المؤامرات ثم تنجح كل تلك المؤامرات.

حينما نعود إلى القرآن الكريم: كتاب الهداية، كتاب النور، كتاب البصائر كما قال الله عنه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾^(١) ثم نرى أن أمة القرآن، الذي هو الهدى والنور، أعمى أمة على الأرض؛ هي الأمة التي لا تمتلك القليل من الوعي، في معظمها هذا الحال سائد وغالب إلا ما ندر من بعض المتتورين داخل هذه الأمة في مختلف البلدان؛ هذا الواقع في الأمة هو: هذا العمى، هذا التيه، هذا الجهل الذي جعل منها فريسة سهلة، أمة طيِّعة لأعدائها.

فمؤامراتٌ ومجهود أعدائها في استهدافها غير مكلف، يعني: لا يلاقي - الأمريكي ولا الإسرائيلي - العناء، ولا يجد المسألة معقدة أمامه لأن ينجح في تنفيذ مؤامرات هنا أو هناك في هذا القطر أو ذاك في معظم بلدان المنطقة، لماذا؟ لأن أمامه ساحة غير محصنة، ساحة مفتوحة، لا يوجد أمامه أي عوائق، لا وعي، ولا بصائر، ولا القيم، ولا الأخلاق، ولا من هذه الأشياء.

لذلك، كان هذا الواقع سهلاً بالنسبة للأعداء، ولذا وجب علينا الرجوع إلى القرآن الكريم الذي أهم ما فيه وأعظم ما تحتاجه الأمة فيه هو أنه حدّد لهذه الأمة أعداءها. هذه مسألة من أهم المسائل، هذا اللبس الذي حصل لدى الكثير من أبناء الأمة في معرفة من هو العدو؛ ترتب عليه نتائج خطيرة جدًّا في واقع الأمة، هيًّا الكثير والكثير من أبناء الأمة أن يطوّعوا وأن يُوجِّهوا وأن يُحرِّكوا وأن يدفع بهم في خندق لمصلحة الأعداء، في الاتجاه الذي يخدم الأعداء، في أن يصنع للأمة أعداء آخرين غير أعدائها الحقيقيين، بأن توجّه كل طاقات الأمة أو معظمها في الاتجاه الخطأ^(٢).

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٤.

(٢) نص كلمة السيّد عبد الملك في الذكرى السنوية لاستشهاد الشهيد القائد ١٤٣٧هـ.

١- العدوُّ الأوَّلُ للأُمَّةِ: إسرائيلُ

٣٢٠

حينما شَخَّصَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِلأُمَّةِ مَنْ هُوَ الْعَدُوُّ الَّذِي يَشْكَلُ الْخَطُورَةَ الْأَكْبَرُ عَلَيْهَا، أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يقدِّمَ لَهَا الْبَصِيرَةَ الْكَافِيَةَ تَجَاهَ مَسْأَلَةٍ مِنْ أخطرِ الْمَسْأَلِاتِ الَّتِي وَاجَهَتْ فِيهَا الأُمَّةُ التَّضَلُّيلُ الْكَبِيرِ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ الْانْحِرَافَ الْكَبِيرِ.

لقد تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ أَعْدَائِنَا كَأُمَّةٍ مُسْلِمَةٍ، يَا سَلَامَنَا، بِقُرْآنِنَا، بِقِيمِنَا، بِأَخْلَاقِنَا، حَدَّدَ لَنَا مِنْ هَمِّ أَعْدَائِنَا. اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلِيمٌ بِنَا، بِالْبَشَرِيَّةِ، وَبِوَأَقْعِهِمْ، الْعَلِيمُ بِ: مَنْ هُمْ أَعْدَائُنَا؟ وَكَيْفَ هُمْ؟ وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَشْكَلُوهُ مِنْ خَطُورَةٍ؟ وَكَذَلِكَ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مُوَاجَهَةِ أَوْلئِكَ الْأَعْدَاءِ؟ وَفِي مُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَّاتِ الْآتِيَةِ مِنْ جَانِبِهِمْ.

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْعَلِيمُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ قَاعِدَةٍ: (وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ)، فَإِذَا جَاءَ مُحَلَّلٌ سِيَاسِيٌّ أَوْ مَرَكَزُ دَرَسَاتٍ أَوْ أَمِيرٌ أَوْ مَلِكٌ أَوْ رَئِيسٌ أَوْ قَائِدٌ أَوْ أَيُّ كَانَ لِيَقْدِمَ رَؤْيِيَتَهُ لِلأُمَّةِ وَيَشْخَّصُ لَهَا مَنْ هُمْ أَعْدَاؤُهَا نَسْتَمِعُ لَهُ، أَمَّا عَنِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْمُحِيطُ خُبْرًا بِكُلِّ خَلَائِقِهِ قَدْ قَدَّمَ لِلأُمَّةِ بِحَقِيقَةٍ، بِعِلْمٍ، بِخَبْرٍ، قَدَّمَ وَحَدَّدَ لِلأُمَّةِ مَنْ هُمْ أَعْدَاؤُهَا الْحَقِيقِيَّةُونَ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابَةِ الْكَرِيمِ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ الْتَّائِبِينَ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(١) فَمَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَهُ؟.

فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُوَلَى قَبْلَ كُلِّ عَدُوٍّ، أَعْدَى عَدُوٍّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ؟ حَسَبَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: الْيَهُودُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُوَلَى. وَهَذَا مَا وَجَدْنَاهُ وَاقِعًا، وَحَقِيقَةً لَا رَيْبَ فِيهَا، وَوَجَدْنَا كُلَّ الْوَأَقِعِ يَشْهَدُ لَهُ. الْيَوْمَ يَقِفُ اللَّوْبِيُّ وَالْكَيَانُ الصَّهْيُونِيُّ الَّذِي أَنْشَأَ إِسْرَائِيلَ وَكَوَّنَهَا، وَلَهُ نَفُوذُهُ الْيَوْمَ فِي الْعَالَمِ الْغَرْبِيِّ، وَأَصْبَحَ لَهُ نَفُوذُهُ الْيَوْمَ أَيْضًا فِي الشَّرْقِ، وَيَتَحَرَّكُ بِكُلِّ خَبْتٍ وَحَقْدٍ وَيَصْنَعُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمُوَأْمَرَاتِ تَجَاهَ أَمْتِنَا، بَلْ إِنَّهُ فِي تَوَجُّهَاتِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَمَوَاقِفِهِ وَحَقْدِهِ

(١) سورة المائدة، الآية ٨٢.

ونزعاته إنما هو يمثل خطرًا على الاستقرار العالمي كله حتى على البلدان الغربية ذاتها.

يمثل اللوبي الصهيوني اليهودي الشرّ في هذا العالم، هو الذي يحرك كلّ الفتن والمؤامرات والدسائس، هو الذي يهندس لكلّ مشاكل العالم على كلّ المستويات، يصنع الأزمات سواء على المستوى السياسي أو على المستوى الاقتصادي.

هو الذي يسعى للتفريق بين بني البشر تحت كلّ العناوين، وإثارة النزاعات بينهم، هو يرى أنه لا يتمكّن من إخضاع العالم والبشرية له، والسيطرة على الجميع إلاّ بسياسة التفريق، وبهدم الكيانات والمجتمعات وتدمير كلّ البنى البشرية، وهو يتحرّك على هذا النحو موظّفًا بخبثه وقدراته التّضليليّة قدراته في الخداع موظّفًا كلّ إمكانيات الآخرين.

وإنّه أحيانًا يشغّل ويفعل الكثير من الكيانات بأن تضرب نفسها بنفسها وأن تضرب داخلها بعضها البعض، وهكذا يفعل، ويعمل، وموقف القرآن الكريم ليس موقفًا عنصريًا من اليهود أو من بني إسرائيل لعرق أو لنسب، وليس موقفًا قوميًا، إنّه يتّجه إلى توصيف أعمالهم، و سياساتهم، واتجاهاتهم، وتشخيص نفسيّاتهم، وتوضيح ما هم عليه وكشف ما هم عليه من توجّهات عدايّة وأطماع رهيبه وحقد كبير على البشرية من حولهم^(١).

لقد كشفَ الواقعُ أنّ اللوبيّ اليهودي الصهيوني الذي له كلُّ هذا النفوذ في العالم وهو نفوذٌ نتيجةً عملٍ متراكم على مدى قرونٍ من الزمن، جُهد وعمل وخطط بعيدة المدى اشتغل عليها جيلًا بعد جيل حتى وصل إلى هذه النتيجة، إلى هذا المستوى من النفوذ والتأثير الكبير في السياسة العالميّة، في التوجّه العالمي، أصبح اليوم النفوذ والتأثير اليهودي الصهيوني عالميًا،

(١) من كلمة السيّد عبد الملك في الذكرى السنوية لاستشهاد الشهيد القائد ١٤٢٧هـ.

شاملاً، وفاعلاً إلى حد كبير، هذا كله بقدر ما أثر في واقع المسلمين والعالم ككل العالم، اخترق المجتمعات الغربية، واخترق أيضاً مجتمعاتنا الإسلاميّة.

واليوم نجد ما يفعله في واقعنا العربي أن أول مكامن خطورة اللوبي اليهودي الإسرائيلي الصهيوني هي في قدرته الرهيبة على التضييل والخداع والتطويع، ولعل هذا من أكبر ما أعطاه التأثير الكبير في واقع العالم في السياسة العالميّة في واقع مختلف الشعوب والدول في الكيانات الكبرى في العالم، قدرة هائلة على الاختراق، وعلى التأثير في السياسات والمواقف وعلى كل المستويات، إن أردت على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو على المستوى العسكري، وهو الذي يهندس للكثير من الحروب، كما هو الذي يهندس للكثير من الأزمات الاقتصادية، يؤثر في السياسة، والاقتصاد، وعلى مستوى التوجّه العام في الواقع العالمي.

هذه القدرة الرهيبة على التضييل والاختراق والتطويع بأن يحوّل الآخرين إلى مطيعين له، بل أحياناً إلى أن يدفع بهم أو بعض الكيانات بأن تتسابق فيما بينها من ينجز أو ينفذ بعض المؤامرات والمكائد، بعض المشاريع والأجندة التي هي في حقيقة الحال لصالحه هو، فيقدّمها إلى الآخرين ويجدها أو أحياناً يصنعها في داخل كيانات الآخرين ويوصلها إلى ذوي القرار منهم حتى تصبح بالنسبة لهم أملاً كبيراً مغرباً فيتحرّكون بكل ما يستطيعون من أجل إنجازها.

نحن في واقعنا الإسلامي، تحدّث الله سبحانه وتعالى كثيراً في القرآن الكريم عن هذه الجهة التي تمثّل خطورة بالغة علينا كمسلمين وعلى الواقع العالمي من حولها. تحدّث عن هذه الطائفة في مخططاتها، ومؤامراتها، ومن ضمن ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾^(١) تحت هذا الودّ وهذه الرغبة التي تبينها إرادة شرّ، ومشاريع عمل، ومؤامرات، وأنشطة برامج كثيرة، وعمل واسع من أجل الإضلال.

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٩.

وبالمفهوم أَوْ بالمعنى العربي للضلال، هو الضياع في كُلِّ المجالات، هنا يُشخِّصُ لنا القُرآن الكريم السياسة الرئيسيَّة التي تعتمد عليها أَوْ يعتمد عليها ذلك العدوُّ الذي يمثِّل خطورة بالغه على الأُمَّة، أَنه يسعى إِلى تَضليلها في كُلِّ شيءٍ، إِلى ضياعها في كُلِّ شيءٍ، على المستوى السياسي، والاقتصادي، وعلى كُلِّ المستويات، ويعمل من أجل ذلك الكثير. ومن أخطر ما يمتلكه في قُدْرته على التَضليل وعلى الخداع وعلى صناعة الرأى العامِّ وعلى التوجُّهات وعلى التَصوُّرات وعلى صناعات نظرة معيَّنة غيبيَّة وحمقى تجاه الكثير من الأحداث، قُدْرته على أن يصنع الحدث وعلى أن يوظِّفه ويستغلِّه كما يشاء ويريد، ونحن نجد في مثل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالتأكيد من صنع هذا الحدث ووظِّفه إِلى أعلى مستوى.

كذلك النكبات التي حلَّتْ بعالمنا الإسلامي وإلى اليوم أليست نكبات كبيرة؟ التبعات الهائلة تحت ذلك العنوان وباسم ذلك الحدث على هذه الأُمَّة، ألم تصل بالأُمَّة إِلى هذا الواقع المأساوي والكارثي؟ إِلى هذه الأزْمت المتفاقمة؟

بلى، يصنع الحدث بمسمي القاعدة وفيما بعدُ تشكيلات ومسميات عديدة مثل: داعش، وما نسمعه في وسائل الإعلام يوميًّا. اليوم أيُّ دورٍ تُوَدِّيهِ هذه المسميات، وهذه التشكيلات بأنشطتها العدائيَّة والإجْراميَّة في داخل أمِّتنا ولمصلحة من تعمل؟ ثمَّ كيف هو التعاطي الغربي سواء من جانب الأمريكيين أَوْ من جانب حلفائهم؟ أَوْ ما هو واقع إسرائيل تجاه كُلِّ هذه الأحداث؟ ما الذي تهدِّدها من خطر تجاه هذه الأحداث؟

قليلٌ من التفهِّم، والتأمل تصنُّع عند الإنسان يقينًا تامًّا وبصيرةً عالية أنَّ كُلَّ هذه لعبة أبطالها أدوات من داخل الأُمَّة، الآلاف المؤلِّفة ممَّن يتمون إِلى الإسلام والبعض منهم قد يكون مخدوعًا فينطلق ويتفانى ويستبسل لمصلحة من؟ حتَّى أنَّ البعض قد يفجِّر نفسه وهو ينفذ عمليَّة انتحاريَّة في سوق أَوْ في مسجد أَوْ في مدرسة أَوْ في أيِّ مكان يستهدف المسلمين الآمنين المظلومين،

هو لا يدرك أين هو؟ ماذا يفعل؟ لمصلحة مَنْ يفعل ما يفعل؟ ويضحّي
لخدمة من؟^(١).

يكمن الخطر الحقيقي من داخل الأمة، وهنا يأتي الصهيوني ليخترق الأمة
من داخلها، فلا يحتاج بعدها إلى أن يخسر أو يقدم المال، والعناصر البشرية؛
أن يضحّي، هو فقط يحرك الآخرين حتى يضحوا هم في سبيل خدمته، حتى
يقدموا المليارات في سبيل ما يفيدُه، ويتحركوا بكلّ جدّ، ويوظّف في كلّ
ذلك الإمكانيات كلّها، بعناوين مختلفة: دينية، سياسية، وغير ذلك. القدرة هنا
هي لعبة الشيطان ذاته، هم امتداد للنشاط الشيطاني. النشاط الصهيوني
اليهودي هو امتداد للنشاط الشيطاني في واقع البشرية، يركّز جدًّا على
الإغلام؛ لأنّه نشاطٌ تضليليٌّ، ويركّز على التعليم، وعلى كلّ وسائل التوجيه
وصناعة الرأي، يوجّهها بحسب ما يريد فيتحكّم بالتفكير، وبالقناعات،
وبالتوجّهات، وبالواقف، والقليل من أبناء الأمة هم من نجوا من هذا المسّ
الإسرائيلي الشيطاني، ورأينا أثره الفظيع في كثير من أبناء الأمة ممن يتحركون
اليوم؛ بعض الأنظمة والجماعات الذين تحركوا في سبيل ما يخدم هذا
التوجّه وهو يسعى لأشياء كثيرة. من ضمن ما يسعى له هو تجريد الأمة من
هويّتها واستقلالها الثقافي والفكري وضرب أخلاقها وقيمها، أن تتحوّل في
واقعنا العامّ كمسلمين لا كيان لنا، لا استقلال فكري ولا ثقافي ولا أخلاقي
ولا سياسي لنا، أمة مشتتة، ضائعة، تائهة، أمة فرّغت من كلّ محتوى إسلامها
ومضمونه فلم يبق من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، ولذلك قال
الله سبحانه وتعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ
إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾^(٢).

لا يريدون لكم أن تحافظوا على مضمون إسلامكم بقيمه، بمبادئه،
بجوهره، فتكونون أمة مستقلةً ومستقيمةً بهذا الإسلام في كلّ ما هو عظيم

(١) من كلمة السيّد عبد الملك في الذكرى السنوية لاستشهاد الشهيد القائد ١٤٣٧هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٩.

فيه، وَقِيَمٌ، وكلّه عظيم وَقِيَمٌ، ولكن إذا أقيم كلّه، أمّا إذا بُتر وجُرئ وَزُيفَ وَعُيِّرَ وَبُدِّلَ فلا تتغيّر الحال.

عملت سياسة التفريق بين الأمة تحت كلّ العناوين المذهبيّة، والطائفيّة، من الذي يَتَحَرَّكُ فيها؟ لمصلحة من؟ أو ليس من أهمّ ما في إسلامنا ما تمّ التركيز عليه في القرآن الكريم هو الاعتصام بحبل الله جميعاً؟ الوحدة، الإخاء، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)؟ فلماذا ضُرب مفهوم الوحدة في الأمة بشكل فضيع جدّاً؟ بل أصبح عنواناً منفقراً لدى البعض ممّن قد تأثروا كلّ التأثير بالمسّ الشيطاني اليهودي الإسرائيلي الصهيوني في بعض المجتمعات والبلدان، لدى أطراف معيّنة ينفرون أن تتحدّث عن وحدة الأمة، عن التَحَرُّك الجماعي، عن التعاون، عن التآخي، لا يوجد لديهم إلاّ الحقد، والكرهية، والبغضاء، والعداء، نجد أنّ أولئك هم الذين يَتَحَرَّكُونَ في هذا السياق، وبأدواتهم تحت عناوين طائفيّة، ومناطقية، وسياسية، وتحت كلّ العناوين.

الواقع الإسلامي اليوم، واقع المسلمين العرب وغيرهم، إلاّ القليل - طبعاً هناك استثناءات في كلّ شيء - لكنّ الواقع العام السائد سوق جاهز لكلّ من يبيع ويشترى، سيجد كفايته، ما يحتاجه، كلّ من لديه مشروع باطل، فكرة باطلة، مؤامرة، كيد، لعب، المهمّ أن يمتلك مال، تأثير إعلامي، مؤثرات معيّنة، وبسرعة سيتوفّر له الكثير الكثير على مستوى الاستهداف لأمتنا وعلى المستوى العالمي، الله سُبحانَهُ وَتَعَالَى يقول في كتابه الكريم عن أولئك: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾^(٢) يسعون، يعملون بكلّ جهد، يوظفون القدرات والإمكانات، والبرامج والخطط للإفساد في كلّ المجالات، على المستوى الأخلاقي: وصلت الإنسانيّة إلى مستوى رهيب من الانحطاط الأخلاقي، من الإفلاس في القيم والأخلاق، على المستوى السياسي، على

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٣.

كُلُّ المستويات، على المستوى الاقتصادي، اليوم الفساد يستشري وينتشر ليستهدف كُلَّ شيء.

حتى على المستوى البيئي وهذا معلوم، أمام هذه المخاطر والتحديات المؤثرة والموجعة في واقع الأمة، والتي قد لمس الجميع تأثيرها السلبي، نجد أنَّ أول سلاح تحتاجُ إليه الأمة في مواجهة هذا الخطر، وهذا التحديّ الرهيب الذي يهددها في كُلِّ شيء، هو الوعي، أول ما تحتاجُ إليه الأمة هو الوعي. وأهم مصدر للوعي هو القرآن الكريم، الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، النور والهدى الشامل، ﴿تَيَّيْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) ولكن بتلك المنهجية: عين على القرآن وعين على الأحداث، ترقب الأحداث وتعود إلى القرآن الكريم، وحتى لتصحيح واقع الأمة، لا خيار لها إلا العودة إلى القرآن الكريم، ومع الوعي التحلي بروح المسؤولية.

فكثير من الناس خبا فيهم أو انطفأت جذوة الإحساس بالمسؤولية، وهذه من أهم ما ضرب الأمة، ومن أسوأ ما تعاني منه اليوم هو فقدان الشعور بالمسؤولية. لم يعد الكثير من الناس يعرف ويستشعر ويؤمن ويدرك ويعي أنه مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى، وأمام نفسه، أنه لا ينجي نفسه من هذه التحديات، وهذه الأخطار وهذه المكائد، إلا أن تنهض بمسؤوليتها كأمة لها مشروع، لها دور فيما يعينها هي وفيما يعني العالم من حولها، أن تكون الأمة التي تتحرك لإقامة العدل، وتأمّر بالمعروف بمفهومه الواسع والحضاري، وتنهى عن المنكر بمفهومه الواسع والشامل، وتواجه الفساد، تقف ضدّ الظالمين والمستكبرين، وتتجه لعمارة الحياة وبنائها بالقيم المثلى وبالحق وبالعدل وبالخير، بما يسعد البشرية، وفيما فيه صالحها، وتستقل، تتخلص من هذه التبعية العمياء.

اليوم لو نعود إلى بعض الأنظمة أو بعض الكيانات في المنطقة ترى أنها هي تطبق الإسلام بشكل كامل، وأنها تمثل نسخة متكاملة من مبادئ

(١) سورة النحل، الآية ٨٩.

الإسلام، ولكن في الواقع الذي تعيش فيه التبعية الكاملة لأمريكا ولسياساتها، وتتوَدَّد لإسرائيل وتتقَرَّب منها، وتسعى وتسارع لتعزيز روابطها مع إسرائيل. لا يمكن أن يكون الإنسان منتمياً حقَّ الانتماء، مهتدياً بما تعنيه الكلمة متمسكاً بالإسلام في قيمه ومبادئه، ومنظومته المتكاملة، وهو في نفس الوقت يعيش هذه الحالة من التبعية العمياء لأولئك، مستحيل، الله يقول عن هذه الحالة: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾؛ لأنَّ هذه الحالة التي يصفها القرآن هي حالة الولاء لأولئك، التبعية العمياء لهم، التَحَرُّك في سياساتهم وتوجَّهاتهم، التي هي شرٌّ وخطر على الأمة، يقول: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾^(١)، يعني إلى هذا الحدِّ تمثِّل المسألة خطورة كبيرة جداً؛ لأنَّ الإنسان حينما يتَّجه وراءهم، ويحذو آثارهم، ووجهتهم، إنّما يخرج عن قيمه، ومبادئه، وينسلخ عن هُويّته.

حينما نعوذُ إلى واقعنا في عالمنا الإسلامي هو واقع مؤسف، عالم كبير، رقعة جغرافيّة واسعة، وفي أهمِّ مواقع جغرافيّة على الأرض، عدد كثير من البشر، أكثر من مليار إنسان، ثروة هائلة وقدرات ماديّة، ولكن أين هو وزن هذا العالم الإسلامي والمسلمين اليوم في العالم؟ هل هم أمة مستقلّة لها تأثيرها في الواقع العالمي؟ ومطلوبٌ بالتأكيد أن يكون تأثيراً إيجابياً، لأنَّ الإسلام لا يقبل بالظلم، والفساد، والطغيان. بل ينبغي أن يكون حضوره حضوراً إيجابياً في الساحة العالميّة؛ هذا العالم الإسلامي الكبير بجغرافيته، الثقل بثرواته وموقعه، الكثير بأعداده، هو صغير في تأثيره، هو قزم في حضوره في الساحة العالميّة.

هذا العالم الإسلامي، عريباً كان أم غير ذلك، أين هو وزنه وحضوره في الساحة العالميّة كمحور مستقلّ، كمؤثر إيجابي، كفاعل في الساحة؟ لا، حفنة من الصهانية، بضعة ملايين من اليهود، يدوِّخون هذا العالم الإسلامي كلّ، يلعبون في الواقع العربي بأبشع وأفظع اللعب، يجعلون من الجميع مهزلة وسخرية واستهزاء واستهتار، ولا يحتاجون كما قلت في بداية الحديث إلى

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

عناء وشقاء في نجاح مؤامراتهم وخططهم. لربّما أبسط صهيوني وأقلّ الصهاينة قدرة على التفكير يمكن أن ينجح في كثير من واقع أمّتنا ومنطقتنا العربيّة، هل لهذا العالم الإسلاميّ حتّى على مستوى مجلس الأمن حقّ النقض؟ هل له تأثيرٌ في السياسات والقرارات والتوجّهات؟ لا، ولكن الشيء المؤسف أن تجد البعض من الدول، والمنظّمات، والكيانات داخل عالمنا الإسلاميّ التي فقدت قيمتها، فاعليّتها، قدرتها، تأثيرها في الاتجاه الصحيح لصالح الأُمّة، لها فاعليّة في الاتجاه الآخر.

تأتي إلى المنظّمة العربيّة، ماذا فعلت الجامعة العربيّة للقضيّة الفلسطينيّة على مدى كلّ هذه العقود؟ لا شيء، لم تخدم القضيّة الفلسطينيّة بأيّ شيء مفيد ومؤثّر وملموس. أو عن منظمة التعاون الإسلاميّ، وقبل ذلك - أيام كانت باسم المؤتمر الإسلاميّ - ماذا قدّمت لقضيّة فلسطين؟ ماذا قدّمت للأُمّة في سبيل أن تتوحد؟ أن تحلّ مشاكل الأُمّة بالحوار والتفاهم؟ أن تعالج الكثير من جراح الأُمّة الغائرة؟ لا شيء، ولا تأثيرًا إيجابيًا نهائيًّا، أيّة قضيّة من قضايا المنطقة في الداخل العربيّ، أو في الواقع الإسلاميّ، استطاعت هكذا منظّمات أن تؤثر في موضوعها تأثيرًا إيجابيًا ملموسًا؟ تأتي إلى دول بارزة في الواقع العربيّ، أين هو تأثيرها الإيجابي؟ يجب أن نشكرها على أداها وفاعليّتها وجهدها، واهتمامها، وقراراتها، ومواقفها، لكن في الاتجاه الخطأ.

اليوم في سبيل تمزيق الأُمّة، في تغذية الصراعات الداخليّة، في الاعتداءات على شعوب وبلدان المنطقة، نرى القرارات، الاجتماعات التي تخرج بنتائج، ونرى أيضًا التّحرّك العسكري الصارم والتحالفات، ونرى كذلك المواقف على المستوى الإغلامي، والاقتصادي.

أمّا على المستوى العسكري، فلم يحصل أي ردّ فعل من إحدى هذه الدول كما تتحرّك اليوم لتضرب بلدان المنطقة هنا أو هناك على مثل هذا النحو تجاه إسرائيل، أو لخدمة الأُمّة.

اليوم ما الذي يحدث على المستوى الإعلّامي؟ كمّ من القنوات الفضائية مخصّصة ضدّ إسرائيل؟ لا شيء، صفر، من جانب أولئك طبعًا، من جانب أولئك الذي يتحرّكون بفاعليّة لمصلحة إسرائيل ولخدمة أمريكا، ولكن لتشويه المقاومة، سواء في الداخل الفلسطيني أو حزب الله، لتشويه الأحرار في هذه الأمة التوّاقين للحريّة والاستقلاليّة، أو لما يخدم إثارة النزاعات والصراعات، والعداوات المذهبيّة والطائفيّة، الكثير من القنوات تشتغل بنشاط، وبشكل مكثّف، فاعليّة في الاتجاه الخطأ، وهم، ضياع، ضلال، تيه، تأثير، مسّ من المسّ الشيطاني الإسرائيلي الصهيوني اليهودي^(١).

٢- الاتجاهات المتوقّرة في واقع الأمة

اليوم هناك في واقع الأمة اتجاهاً بارزان هما:

الاتجاه الأوّل: المعادي لإسرائيل، والداعم للقضيّة الفلسطينيّة

يتشكّل هذا الاتجاه من قوى المقاومة: حزب الله والحركات الفلسطينيّة المجاهدة، والقليل من الأنظمة في العالم الإسلامي، الموقف الإيراني في طليعة هذا الموقف، موقف صريح وواضح وداعم بكلّ وضوح للفلسطينيين والشعب الفلسطيني وحركات المقاومة في فلسطين، وهي تتحدّث عن هذا التعاون وكلّ الفصائل المجاهدة بشكل صريح وواضح بمعنى أنّه ليس مجرد كلام أو شعارات أو عبارات. لا، هناك دعم مادّي وتعاون عسكريّ مع الشعب الفلسطيني، تأهيل، تسليح، دعم... إلى آخره، هناك أيضًا موقف كان واضحًا أيضًا في مساندة لحزب الله وللحركات الفلسطينيّة واحتضانه لها هو الموقف السوري الذي يعاقب اليوم على ذلك.

أيضًا هناك صوت واضح وصريح وقويّ في شعبنا اليمني مساندة للقضيّة الفلسطينيّة، مؤمن بالتوجّه المواجه والمناهض والمقاوم للهيمنة

(١) من كلمة السيّد عبد الملك في الذكرى السنوية لاستشهاد الشهيد القائد ١٤٣٧هـ.

الأمريكيّة ولإسرائيل، وهناك صوت هنا وهناك تحرّك كبير في الوسط والشعب العراقي، وغيرها من مختلف شعوب المنطقة، وتتفاوت المسألة بالتأكيد من شعب إلى آخر لكن هناك صوت يتعالى هو الصوت الحرّ والمسؤول، هو الصوت الذي ينسجم مع حقّ هذه الأمة الفطري والديني ومع مسؤوليّتها الدينيّة والوطنيّة والقوميّة والإنسانيّة في مواجهة والتصدي للخطر الإسرائيلي.

اليوم الصوت هذا هو صوت قويّ في أوساط الأمة والحضور في هذا التوجّه المعادي لإسرائيل هو حضور كبير وفاعل ومقلق إلى حدّ كبير لإسرائيل وبالتالي لأمريكا والغرب^(١).

الاتجاه الثاني: الموالي لإسرائيل وأمريكا، المشتغل في جانبين

الأول جرّ الأمة إلى عداوات أخرى يقول لك: لا تتحدّث عن إسرائيل كعدوّ ولا عن أمريكا كعدوّ لأنّه يشكّل خطرًا وتهديدًا للمنطقة. لا، هذا كلام إيراني، أتركه، دعك من ذلك، هناك أعداء آخرون، هناك إيران هناك الشيعة، هناك في اليمن من يسمّونهم بالإنقلابيين وهم هناك في العراق! ويعطون لكلّ تسميته. يحاول أن يتّجه ببوصلة العداة داخل الأمة إلى أطراف أخرى وأن يحرفها نهائيًا عن إسرائيل، بمعنى أن يشطب داخل الأمة أيّ نظرة معادية لإسرائيل، وأن يمنع ويحوّل كلّ توجّه معادٍ لإسرائيل إلى غيرها، أن لا تبقى النظرة داخل الأمة لإسرائيل كعدوّ. لا، تشطب هذه المسألة نهائيًا. وبدأ البعض من السعوديين سواء مسؤولين أو إعلاميين يتحدّثون بلغة مختلفة عن إسرائيل، ولغة فيها توّد، وهناك مشاهد لأمرء سعوديين يصفحون مسؤولين إسرائيليين، وهناك حديث يُعلن عنه بين الحين والآخر عن لقاءات، وهناك صوت إسرائيلي واضح يتحدّث عن هذه العلاقة والتعاون إلى آخره عمّا يسمّيه بالمصالح المشتركة. هناك كلام من (تنتياهو) مباشر فيما يتعلّق

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٢٨ هـ.

بما يسمّيه مصالح مشتركة فيما بينهم وبين السعودية، أصبحت المسألة اليوم واضحة للعلن، ظاهرة ولم تعد خفية.

والجانب الثاني: هو الذي نستطيع القول بكلّ اطمئنان ووضوح وأماننا كلّ الشواهد والأدلة، إنّهُ الاتجاه الموالي لإسرائيل ولأمريكا في المنطقة، والمادّ معها لجسور التطبيع، والداخل معها في تحالفات، وهذا أيضًا بات اليوم توجّهًا معروفًا أنظمتة معروفة. بات الإسرائيلي يتحدّث عن النظام السعودي والإماراتي باعتبارهم في الطليعة وباعتبارهم أصبحوا ضمن تحالفات يسمّيها الإسرائيلي مصالح مشتركة يشيد بمواقفهم بأدوارهم التخريبيّة في المنطقة^(١).

وهناك خطوات متتالية ومتتابعة تتضح يومًا بعد يوم عن هذا التطبيع، عن هذه العلاقة، عن هذه التحالفات، عن هذا التعاون، عن التعامل كجبهة واحدة في مواجهة ما يسمّونه خطرًا مشتركًا، فهم يرون في كلّ صوت معادٍ لإسرائيل، في كلّ تحرّك معادٍ لإسرائيل أنّه يشكّل خطرًا مشتركًا يصفونه بالإيراني. لو أنت يمني، أبوك يمني، وأمك يمنيّة ومعروف في اليمن أنّك فلان بن فلان الفلاني لكن لك موقف معادٍ من إسرائيل سيقولون عنك إنّك إيراني، ولو كانت لهجتك ودمك ولحمك وشحمك وبيتك وملابسك كلّ ذلك يمني خلقك الله من تربة اليمن سيقولون إنّك إيران، سيقولون: أنت إيراني، اسكت، اصمت، لا أحد يتحدّث عن خطر إسرائيل، لا أحد يحرض أو يستنهض الأمة تجاه الخطر الإسرائيلي.

يقولون: نحن يجب أن نتعاون مع إسرائيل في مواجهة الخطر الفارسي. هناك سعي وضجيج يكثرون منه، ولديهم الكثير من الأبواق الإعلامية، من الكتاب المأجورين ذوي الأقلام السوداء الذين يكثرون من الضجيج الإعلامي والهالة الإعلامية التي تجعل البعض في مصر، وفي بلدان المغرب العربي وفي مناطق معيّنة قد يتحرّجون حتّى من الحديث عن الخطر الإسرائيلي

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٢٨هـ.

والعداء لإسرائيل وعن خطورة أمريكا على المنطقة؛ لأنه ما إن تحدّث عن شيء من ذلك حتّى يتصدّى لك أولئك ويعتبرونك إسرائيليًّا.

فالاتجاه الموالي لإسرائيل وأمريكا والمادّ لجسور التطبيع معها يعمل على جرّ الأمة إلى عداوات ومشاكل أخرى، وإغراق الأمة في مشاكل لا أول لها ولا آخر حتّى ينسى الجميع إسرائيل والقضية الفلسطينية والأقصى الذي يتهدّده خطر متزايد.

هناك خطوات كلّما تقدّمت قوى العمالة في المنطقة وأنظمتها في خطوات تطبيعيّة مع إسرائيل كلّما زادت إسرائيل من خطواتها التي تستهدف بها المسجد الأقصى، وستجتمع حكومة الكيان الإسرائيلي في مرحلة قريبة هناك في نفق تحت المسجد الأقصى في خطوة لها دلالة معيّنة، وكذلك زيادة للمستوطنات سواء في مدينة القدس أو في الضفّة الغربيّة هناك نشاط متزايد اعتداءات مستمرّة على الشعب الفلسطيني.

هذا الاتجاه الموالي لإسرائيل وأمريكا يساهم في السعي لتصفية القضية الفلسطينية في عالما العربي والإسلامي ولدعم الموقف الإسرائيلي من خلال خطوات متعدّدة:

أولها: محاصرة وتجريم الحركات الفلسطينية المجاهدة والمقاومة وحزب الله بكلّ ما يمثله من جبهة إسلاميّة عربيّة عظيمة متقدّمة منتصرة ناجحة لها إنجازاتها الكبرى في مواجهة إسرائيل والخطر الإسرائيلي، وبكلّ ما يمثله حزب الله من تهديد لإسرائيل ومن جبهة متقدّمة وقويّة بكلّ ما تعنيه الكلمة في مواجهة إسرائيل، يسعون إلى إضعاف هذه الجبهة.

لماذا كلّ هذه الحملات العدائيّة ضدّ حزب الله؟ لماذا كلّ هذا الضجيج ضدّ حزب الله ومحاولة التشويه بشكل مكثّف لحزب الله؟ لما يمثله حزب الله من أهميّة وقيمة وقوّة وذراع ضاربة للأمة في مواجهة الخطر الإسرائيلي.

كذلك حركات الجهاد في فلسطين الحركات المجاهدة والمقاومة في فلسطين تلك الحركات يقال عنها من على منبر محسوب في قمّة ما

أسموها هم إسلامية أمريكية من أرض الحرمين الشريفين يوصف المجاهدين في فلسطين بالإرهاب، ضمن اجتماعات على أساس أنها اجتماعات ذات مسؤولية لها مقرراتها وتعبّر في توجهاتها عن سياسات وإجراءات.

ف هناك سعي لمحاصرة وتجريم الحركات المقاومة في فلسطين ولبنان ووصفها بالإرهاب وفرض الصفقات الخاسرة على الشعب الفلسطيني، فيدخلون الشعب الفلسطيني في مساومات ومفاوضات بعد مفاوضات بالرغم من كل التجارب الماضية، تجربة أوسلو وما بعد أوسلو إلى اليوم تجربات كثيرة فاشلة يسعون فيها إلى فرض صفقات خاسرة على الشعب الفلسطيني.

ثانياً: المواجهة لكل صوت حرّ ومسؤول يتحرّك في داخل الأمة يعادي إسرائيل ويناهض الهيمنة الأمريكية، الاتجاه الموالي لأمريكا وإسرائيل في المنطقة من الأنظمة وبعض القوى هي دائماً تواجه وليس فقط أنها تتعامل بقطيعة أو نحو ذلك، تواجه، تعادي كل صوت حرّ وكلّ تحرّك مسؤول في هذه الأمة.

اليوم شعبنا اليمني يعادي بأشدّ ما يكون من العداة؛ لأنّه يريد أن يتحرّر ولأنّه يريد أن يكون في طليعة الشعوب التي لها موقف بارز في العداة لإسرائيل، شعب عُرف عنه بشكل كبير وبارز عداوته لإسرائيل ومناهضته للهيمنة الأمريكية.

ثالثاً: تغييب كل أشكال التوعية والتعبئة للأمة ضدّ إسرائيل والخطر الإسرائيلي والأمريكي ثقافياً وفكرياً وإعلامياً، وكلّ أشكال النشاط الشعبي والرسمي وهذه مسألة خطيرة جداً. اليوم المناهج الدراسية الرسمية في العالم العربي غابت عنها - مع أنها كانت مقصورة في الماضي - كلّ مضامين التوعية والتعبئة ضدّ الخطر الإسرائيلي الاستعماري والخطر الأمريكي. أن يغيب عنها نهائياً فلا يبقى أيّ إشارة في أيّ منهج مدرسي هنا أو هناك ضدّ إسرائيل،

التوعية من خطر إسرائيل على القضية الفلسطينية، وعلى المقدّسات، فهذا شيء عجيب للغاية.

على المستوى الإعلامي كذلك، اليوم القنوات البارزة للأنظمة الموالية لإسرائيل كيف تتعامل مع إسرائيل؟ وصلت إلى درجة أنّها تجري مقابلات مع الإسرائيليين، مع الناطق باسم الجيش الإسرائيلي، مع ضباط إسرائيليين، مع إعلاميين إسرائيليين؛ لتبرير ما تفعله إسرائيل وللترويج لإسرائيل من على منابرها، أصبحت منابر الإعلام العربي تخدم بشكل مباشر إسرائيل، وأصبحت كثير من القنوات المعادية لإسرائيل تُحَارَب وتُحجب من الأقمار الصناعيّة، ولا تستقبلها ولا تستضيفها على المستوى الإعلامي.

أمّا على مستوى الخطاب الديني، فمعظم المنابر في العالم الإسلامي في المساجد، في المدارس الدينيّة؛ غاب منها نهائياً التوعية والتعبئة ضدّ الخطر الإسرائيلي والأمريكي، واتجهت الكثير منها لأخذ تمويل من تلك الأنظمة بالذات مثل النظام السعودي لإثارة مشاكل في داخل الأمة للتعبئة ضدّ أبناء الأمة؛ ضدّ اليمينيين وضدّ الإيرانيين وضدّ اللبنانيين وضدّ حركات المقاومة وضدّ الأحرار في سوريا والعراق والبحرين وهكذا... فإذاً هذا هو المسار الذي يتحرّك فيه الاتجاه الموالي لإسرائيل وأمريكا وعلى رأسهم النظام السعودي^(١).

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٢٨ هـ.

رابعًا- مخططات العدو

يحرص العدو على إفقاد هذه الأمة الشعور بالمسؤولية. وقد فقدت العزة والمنعة في مراحل حساسة تجاه أعدائها، وأصبحت مطمئنا ومسرحا مفتوحا تتداعى عليها الأمم من شتى الأقطار، تداعت عليها الأمم من دون خوف ولا قلق، تتداعى عليكم الأمم باعتباركم أصبحتم مطمئنا ومغتمًا ومأكلة وثروة، فتأتي الأمم من هنا وهناك، من أمريكا، من أوروبا، من سائر الأقطار متداعية، يدعو بعضها بعضًا، يتحالفون ويأتون إليكم مستعبدين لكم، مستعمرين لكم، محتلين لأرضكم، ناهبين لثرواتكم، آكلين لخيراتكم.

يقول رسول الله ﷺ: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها»، قالوا: أمن قلة يا رسول الله نحن يومئذ؟ يعني: سنكون قلة قليلة، أمة صغيرة تطمع بها الأمم الأخرى، ويتداعى عليها الأعداء من كل حدب وصوب؟ قال: «أنتم يومئذ كثير، ولكن غثاء كغثاء السيل، يُنزع الوهن من قلوب أعدائكم، ويلقى في قلوبكم». أمة أصيبت بالوهن، ولذلك فهذه الأمة التي هي اليوم أكثر من مليار وستمئة مليون حسب التقديرات، ولكنها لا تمثل شيئًا مقارنة بستة ملايين صهيوني يهودي على أرض فلسطين. هذه الأمة أصيبت بالوهن، أصيبت بالحيرة، بانعدام الوعي، فحدث فيها ما حدث، وكيف أصيبت بالوهن؟ كيف انهض زكُّ هذه الأمة وبنائها الكبير؟

هذه الأمة لم تكن هكذا من البداية أمة مفرقة، مقطعة الأوصال، مشتتة، لا وعي لديها، لا كيان مستحكم وقوي لها، فلماذا صارت على هذا النحو؟

لم تكن هكذا، ليس هذا قدرًا أعمى أصيبت به، ولا واقعًا صارت إليه بدون أسباب! لا.

هذه الأمة لها تاريخها الذي كانت فيه أكبر الأمم على الأرض، وكانت لها - على مدى أكثر من ألف عام - الفرصة لأن تكون هي الأمة الأكبر في الأرض، والأقدر في العالم، والأكثر فاعلية بين أوساط البشرية، أمة كان بإمكانها - بحكم منهجها، ومبادئها، وقيمتها، ومشروعها القرآني - أن تكون أهدى الأمم، وأزكاها، وأرقاها، وأعظمها، وأعزها، وأكرمها، وأن تكون هي الأمة المصلحة في الأرض، التي تصل بنور القرآن، وبصلاحها، وخيرها وبعدها، وقيمتها، وأخلاقها إلى شتى أقطار الأرض.

لماذا انهدت هذه الأمة على هذا النحو؟ لماذا تفرقت إلى هذا المستوى؟ لماذا ضعفت ووهنت إلى أن طمع بها كل الأعداء، وتكالت عليها الأمم الأخرى؟ هذا سؤال كبير ومهم.

الأمة هذه تعاقبت فيها إمبراطوريات بأكملها، بنو أمية شكّلوا إمبراطورية كبرى على أنقاض الخلافة الإسلامية، وبدلاً عنها، بعد الإمام علي عليه السلام بعد الخلافة الراشدة له عليه السلام والحكم الإسلامي القائم على العدل، وعلى الحق، والخير، وتربية الأمة التربية الصالحة، تربية القيم، والأخلاق، والمبادئ؟ لقد تآمروا على الإمام علي عليه السلام قتلوه، واغتالوا معه هذا المشروع العظيم الذي يمثل البناء الحقيقي المتماسك الصلب للأمة. ولكن حينما فقدته الأمة فقدت قوتها، عزتها الحقيقية، التي كان يمكن لها أن تدوم، وأن تستمر. تحوّل الواقع إلى إمبراطورية لبني أمية، لكنهم لم يبنوا الأمة، بنوا حكماً ودولة قوية، لكن قوتها لم تكن قوة للأمة، ولم تكن قوة ذاتية في الأمة، ولهذا قوّضت وانهارت.

أتى بعدهم العباسيون، فعلوا نفس الشيء، ثم في الأخير تقوّضت حكومتهم، دولتهم، وسقطت. أتى بعدهم المماليك، ودول أخرى، أتى في النهاية العثمانيون.

في مراحل تاريخ الأمة؛ كانت هناك الكثير من الضربات التي تلقتها الأمة، ولم تستفد منها لمراجعة ذاتية واقعية هادفة؛ بغية معالجة هذه المشكلة في واقع الأمة، ضربات كبيرة على يد التتار والمغول، ثم على يد الصليبيين في الحروب الصليبية، وفي نهاية المطاف: الاستعمار البريطاني والفرنسي والأوروبي في الأمة. وأتى بعدهم الآن الأمريكيون، والإسرائيليون، والأمة قد وصلت إلى وضعيّة بائسة جدًّا، سيئة للغاية، تبعات وإرث ثقيل من الوهن، تراكمات كبيرة من المشاكل، خلل يتلوه خلل، يتضاعف عليه الكثير من الخلل المتتابع؛ أثر على الأمة، ضربت الأمة ضربات كبيرة جدًّا في وعيها، ومبادئها، وقيمتها، وكيانها، وبما يقوم هذا الكيان ويني فوصل الواقع إلى ما وصل إليه.

ضاعت قيم كبيرة: العزة، الكرامة، الوحدة، العدالة، الفاعلية في الأمة فقدتها الأمة؛ فوصل الحال إلى ما وصل إليه، وأصبح فريق كبير من داخل الأمة نتيجة ما وصل إليه الواقع الرديء جدًّا يتحرك بشكل مباشر إلى صف أعداء الأمة، يتآمر من داخل الأمة، يضرب، يعمل لتنفيذ كل مؤامرات أعداء الأمة، ومن داخل الأمة^(١).

ومن هذه المخططات التي سعى إليها العدو الأمريكي والإسرائيلي:

١- توظيف بعض الأنظمة من داخل الأمة

الأمريكي والإسرائيلي وظف من داخل الأمة بعض الأنظمة وبعض ذيولها لأن تواجه أيّ تحرك يهدف لإيقاظ الأمة، واستنهاضها، وتحريكها، هذا ما حرص عليه الأمريكي والإسرائيلي، وللأسف من داخل الأمة أنظمة عربية. وهناك - أيضًا داخل الشعوب كذلك - مكونات تتحرك في ذات الاتجاه.

(١) من خطاب السيد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٦.

أيّ تحرّك نهضوي، استقلالي، حرّ، داعم للقضيّة الفلسطينيّة، معادٍ لإسرائيل، مناهض للهيمنة الأمريكيّة، يواجه بقسوة بالغة، وبشدة كبيرة من تلك الأنظمة، وتلك المكوّنات الواقفة معها في نفس الصفّ.

لقد تحرّكوا في ثلاثة مسارات:

الأوّل، عملوا على تعطيل أيّ تحرك في الأُمّة، أيّ تحرّك نهضوي واعٍ وفاعل، لا يريدون أن يتحرّك أحد ضدّ إسرائيل. ليس مسموحًا لأحد - من جانبهم - أن يتحرّك، أيّ صوت يعلو يريدون أن يخرسوه، أيّ خطوات عمليّة يتصدّون لها؛ لأنّهم سعوا إلى التعطيل في داخل الأُمّة، لكلّ الأنشطة، أو الأعمال، أو أيّ تحرّك ناهض على أساس من المسؤوليّة والوعي، ومنطلق. يريدون للجميع أن يصمتوا، أن يسكتوا، أن يتخاذلوا.

عمليّة التعطيل هذه فعلوا فيها الشيء الكثير، وغيّبوا القضيّة الفلسطينيّة، والخطر الإسرائيلي على المقدّسات، وعلى الأقصى الشريف إلى حدّ كبير من المناهج الدراسيّة في المدارس والجامعات، وغيّبوه من الإعلام تمامًا، وأصبح التعاطي الإعلامي معه تعاطيًا روتينيًا، وليس هادفًا، ولا فعّالًا، ولا محرّكًا، همّشوا هذه القضيّة، قرّموا الخطر الإسرائيلي، واشتغلوا لتعطيل أيّ تحرّك داخل الأُمّة.

المسار الثاني، اتجهوا بعد ذلك في مسار آخر، هو مسار التطبيع، وتقديم إسرائيل على أنّها صديق، وأنّ الخيار معها هو السلام، والصدّاقة، والعلاقات العاديّة، أنّه كيان مقبول، مرّحب به داخل الأُمّة، شريك لها في قضاياها وأمورها وشؤونها.

اليوم يشترك مع بعض الأنظمة العربيّة حتّى في الحروب، اشترك في العدوان على اليمن، بشكل أو بآخر، بأشياء كثيرة، حتّى في الغارات الجويّة، وحتّى في بيع السلاح، وتشغيل خبراء منه مع النظام السعودي، ويشترك في التأمّر مع أنظمة عربيّة على قوى المقاومة. لقد صار صديقًا شريكًا مقبولًا به،

ومبادرات السلام تُقدّم على هذا الأساس، حاله حال أيّ دولة في المنطقة، فقط الاتفاق معه على وقف المشاكل.

أمّا المسار الثالث، فكان هو مسار التحالف مع إسرائيل ضدّ من يعادي إسرائيل، واعتباره عدوًّا مشتركاً^(١).

هناك جُهد سياسي، أنشطة تثقيفيّة، أنشطة إعلاميّة مكثّفة مباشرة وغير مباشرة تعزّز في نفوس الناس حالة الإهمال، وحالة اللامبالاة، وتفقدهم الشعور بالمسؤوليّة، وكأنّنا كمسلمين وكشعوب لسنا معنيّين بما يحصل على مستوى شعبنا في فلسطين، على مستوى مقدّساتنا، على مستوى واقعا كلّ. يسعى هذا الجهد إلى إفقاد أمّتنا الوعي، ويعمل على تضليلها وتزييف وعيها بكلّ الوسائل والأساليب، الوعي بمؤامراته ومكائده، الوعي تجاه المواقف الحكيمة التي ينبغي أن تتبناها الأمّة، الوعي فيما بيني الأمّة لتكون بمستوى المسؤوليّة، يحرص على تزييف حالة الوعي؛ لتبقى الأمّة غارقة في الظلام متحيّرة تجاه الأحداث والمستجدّات، يحرص كذلك على تفريق الأمّة، وتغذية الصراع والنزاعات داخلها تحت عناوين كثيرة، سياسيّة وغيرها، وأبرزها الفتنة الطائفية التي يعتمد في إثارتها على التكفيريين المتحالفين معه، والذين لا ينطلقون فيما ينطلقون فيه من إثارة للفتن، ومن خلق للنزاعات، ومن إغراق للأمّة في المشاكل، لا بدافع الحرص على مذهب، ولا بدافع حتّى العصبية لطائفة، وإنّما هم بدافع التآمر والكيد لهذه الأمّة، وبدافع تنفيذ مؤامرات ومشاريع ومخطّطات تخدم العدو الإسرائيلي والأمريكي بالدرجة الأولى^(٢).

٢- ترويض الأمّة على الصمت والسكوت

يحرص العدو فيما يفعل ويتآمر ويتحرّك فيه على ترويض الأمّة، على التغاضي عن خطوات خطيرة. يروّض الناس أن يسكتوا عن شيء ثمّ يروّضهم للسكوت

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٦هـ.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ١٤٣٤هـ.

عن ما هو أسوأ. وبالتالي، التفاوضي عن خطوات خطيرة من أجل تمرير ما هو أسوأ. فنرى الأقصى الآن في خطر أكبر من أي وقت مضى، الحفريات تحته تمهيداً لهدمه، وإثماً بانتظار الظروف المهيئة التي تكون الأمة فيها جرهزة لهذا الحدث، ويكون العدو الإسرائيلي مطمئناً من ردة الفعل التي يخشاها، ثم بعد ذلك تهويد مدينة القدس، وتوسّع الاستيطان، كل هذا في ظلّ تخاذلٍ عربي متزايد! وصمتٍ كبير! فما الذي تنتظره الأمة؟ يجب أن تتحرّك الشعوب وأن لا تنتظر الأنظمة، لا تنتظر على المستوى الرسمي أن يكون هناك تحرّك بالشكل المطلوب، حتّى لو كان هناك صدق نوايا لدى الحكومات فلا غنى عن دور الشعوب، وللشعوب الحقّ أن تتحرّك لأنّها مسؤوليتها، وهي أيضاً المتضررة من هذا الخطر، على الشعوب أن تتحرّك، وأن تصنع هي الموقف، وأن تتخذ هي القرار، وأن تفرض التوجّه حتّى على حكوماتها، أو تصنع حكومات لها، تتبنى قضاياها، وتدفع الخطر عنها، وليس حكومات لصالح أعدائها تنفذ مخططاتهم وتتبنّى مؤامراتهم، ومكائدهم^(١).

أمّا الدور الأمريكي أيضاً له فكان له تأثيرٌ سلبيّ كبير، وقدم خدمةً كبيرةً لإسرائيل، وهما وجهان لعملة واحدة، والذي يرتبط بأمريكا بالنتيجة يتغيّر موقفه لصالح إسرائيل إلى حدّ كبير، وكلّنا يعلم ما تركه الأثر الأمريكي في واقع شعوبنا والقوى السياسيّة فيها نتيجة ارتباط الحكومات والأنظمة بالأمريكيين. فقد لعبت أمريكا دوراً سلبيّاً في تخذيل الشعوب وتجميدها، وإبعادها عن الاهتمام بقضيتها الكبرى تصنّعاً لأمريكا واسترضاءً لها^(٢).

وقد أثبتت الأحداث أن كلّ ما تقوم به أمريكا هو لخدمة إسرائيل «إنّ ما يقومون به بالتأكيد في المنطقة كلّها، إنّما هو في المحصلة يخدم إسرائيل، وهي المستفيدة بالدرجة الأولى من كلّ ذلك، وبالتأكيد من وراء إسرائيل أمريكا وغير أمريكا؛ ولذلك تتجلّى مع الأحداث هذه الحقائق وتّضح للجميع.

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ١٤٣٤هـ.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ١٤٣٤هـ.

أصبحت الأحداث بالشكل الذي يكشف بما لا مزيد عليه، لكل الناس، هذه الحقائق أنّ كل ما يحصل، كل ما يقومون به في المنطقة يخدم إسرائيل حتمًا، ومن جوانب كثيرة، من هذه الجوانب إغراق الأمة في مستنقع الصراعات والحروب والفتن تحت عناوين كثيرة ومتعددة، بما يترك إسرائيل هناك على جنب، لا خطر يستهدفها، ولا أحد يزعجها، ولا أحد ينشغل بها. الكل منشغل وغارق في ما يعانیه، ويواجهه من أخطار وتحديات ومشاكل، ثم مع الأحداث هذه يبرز كذلك إلى العلن التحالف الوثيق، والتعاون المكشوف ما بين إسرائيل والنظام السعودي، وما بين إسرائيل وتلك الجماعات التكفيرية، وظهر ذلك جليًا في ما حصل في سوريا^(١).

لذلك نستطيع القول إنّ كل ما يحدث في المنطقة ليس منفصلاً بشكل من الأشكال عن إسرائيل، وإنّما هو مشروع جديد. مشروع كان وراءه بالتأكيد إسرائيل وأمريكا لاستهداف شعوب وبلدان هذه المنطقة، بما يساعد على إشغالها وإغراقها، وبما أيضًا يساعد على إضعافها، وبعثرتها، وتجزئتها، ممّا يمهد في نهاية المطاف للسيطرة المباشرة عليها بشكل كامل وتام ونهائي^(٢).

٣- الدور السلبي للنظام السعودي

يتجلى للجميع أنّ الدور السلبي الذي يلعبه النظام السعودي في هذه المؤامرة بالذات، وفي تغذية وتنشئة ودعم الجماعات التكفيرية وتوفير البيئة الملائمة لها ودعمها الدعم المطلق بشكل هائل؛ بالمال والإعلام ووسائل الإمكانيات، أنّه دورٌ يمثّل خطورة على المنطقة كلّها. وليس لمصلحة أيّ بلد من البلدان في هذه المنطقة، دورٌ يضرّ بالعرب جميعًا، وبكلّ البلدان العربية، والمنطقة، ودورٌ يخدم إسرائيل بشكل مباشر وكبير، كدور النظام السعودي الذي يتحرّك في هذا الاتجاه بكلّ إمكانياته الهائلة كأغنى بلد عربي، وباقتصاده

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

الهائل، وإمكانياته الضخمة، بما يضرّ بأمّته، بشعوب منطقتة ولا ييالي، متباهياً لم يرَ نفسه كبيراً إلا في هذا^(١).

كان بإمكان النظام السعودي أن يلعب دوراً إيجابياً في المنطقة، لم يرَ نفسه كبيراً في أن ينطلق بكلّ إمكانياته في ما يشرفه في القيم، والحق، والعدل، والخير، وفي قضايا الأمة الكبرى، لينافس الآخرين في خدمة القضية الفلسطينية، ودعم الشعب الفلسطيني؛ ليرز نظاماً كبيراً ومهماً وفاعلاً ونافذاً في مواجهة إسرائيل. كان هذا الذي يشرفه، والذي يمكن أن يدفع الشعوب العربيّة للالتفاف حوله، ويحقّق له المكانة الكبيرة عند الله، وعند خلقه، وبين شعوب المنطقة، لكنّه أراد أن يكون كبيراً، نافذاً، بارزاً، أن يمثّل العروبة والإسلام بتطويع العروبة والعرب والمسلمين تحت الحذاء الإسرائيلي، وتحت الهيمنة الأمريكيّة، فكان صغيراً. وكلّما أقحم نفسه في هذا الدور السلبي، وزاد إمعاناً وإيغالاً في هذا الدور التخريبي والظالم، والمفسد، إنّما يصغر، ويسوء، وإن كان يرى نفسه كبيراً في هذا الدور تحت الراية الأمريكيّة، والراية الإسرائيليّة، وفي المشروع الإسرائيلي في المنطقة. يرى لنفسه اعتباراً أنّه أصبح يثير الفتن هنا وهناك، كان بإمكانه أن يكون له نفوذ من نوع آخر، نفوذ في دعم الحقّ والخير ودعم الشعوب، والوقوف إلى جانبها وليس نفوذاً في إثارة الفتن، وإثارة الصراعات، وإثارة النزاعات، وليجعل من نفسه مترساً أمامياً يحمي إسرائيل، ويدفع عنها، ويتحالف علناً، وبالمكشوف مع إسرائيل^(٢).

هنا يتّضح أنّ كلّ العناوين والتبريرات الزائفة التي يعلنها النظام السعودي الظالم الغشوم هي زائفة، زائفة ولا أساس لها أبداً، المسألة ليست محاربة للنفوذ الإيراني؛ لأنّ الذي يحدث في المنطقة ليست مشكلته النفوذ الإيراني، أو بسبب نفوذ إيراني، الخطر والشرّ في المنطقة كلّها هو إسرائيل، ومن ثمّ كلّ ما هو امتداد للخطر الإسرائيلي، الخطر التكفيري لأنّه امتداد

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

للخطر الإسرائيلي، ولمصلحة إسرائيل، ويساعد على تعاظم هذا الخطر؛ ولذلك عندما نتأمل ما يحصل في مصر هل هناك نفوذ إيراني في مصر، لا.

الحكومة المصريّة، الرئيس المصري نفسه، هل هو من أدوات إيران، أو له علاقة بإيران؟ لا. ما يحصل في تونس شاهداً واضح، ودليلاً كافٍ، ما يحصل في ليبيا أيضاً، كلّ ما يثار عن محاربة النفوذ الإيراني إنّما هو ضجيجٌ بهدف التشويش على هذه الحقائق. المسألة هي فرضُ للنفوذ الإسرائيلي وللهيمنة الأمريكيّة في المنطقة، وتحت هذا الشعار، وإلاّ فمن المؤكّد أنّ إيران لو غيرت سياستها، وصادقت إسرائيل، وأمريكا، وتحالفت معهما لكان الوضع معها مختلفاً تماماً كما كانت أيام الشاه، أيّام كانت سياستها مختلفةً عن ما بعد الثورة الإسلاميّة في إيران^(١).

ومن المعلوم أساساً أنّ تبنّي العداء لإسرائيل، وتنامي الوعي للشعوب العربيّة تجاه الخطر الإسرائيلي لا يعبر بأيّ حال من الأحوال عن النفوذ الإيراني، هذه مسألة إنسانيّة، مبدئيّة، أخلاقيّة، قيمية، دينية، بكلّ الاعتبارات والمقاييس، يفترض أن نتحرّك فيها، وكعرب بالأصالة. وإيران تتبنّى سياسةً حميدةً، صحيحةً، سليمةً، مبدئيّةً في دعمها للقضيّة الفلسطينيّة، في وقوفها مع المقاومة في فلسطين، وفي لبنان، في تبنّيها النهج العدائي لإسرائيل، هذا موقفٌ صحيح، موقفٌ مبدئي، موقفٌ سليم، يفترض على كلّ الأحرار في العالم أن يتبنّوه بالأصالة، وليس عبارة عن تقليد لإيران، فعندما يتنامى الوعي ويحسّ أيّ شعب من الشعوب العربيّة بالمسؤوليّة تجاه هذه القضيّة كقضيّة تعنيننا جميعاً بكلّ الاعتبارات من باب المسؤوليةّ الدينيّة، والوطنية، والإنسانيّة، من باب الأخلاق والقيم، فإنّما هو بالأصالة، ليس عبارة عن امتداد لنفوذ من هنا أو هناك، هذا مجرد تضليل^(٢).

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

النظام السعودي يحاول أن يضلّل شعوب المنطقة، فمن يتبنّى العداء لإسرائيل يقولون عنه إذا أنت إيراني. من يتبنّى التحرك الداعم للمقاومة الفلسطينية واللبنانية في مواجهة إسرائيل يقولون إذا أنت إيراني، في محاولة لإخراس الجميع، ومحاولة لأن يصنعوا قوالب جديدة للقضايا الإستراتيجية في المنطقة، فيصبح التطبيع مع إسرائيل والعمالة لإسرائيل عروبةً، وحفاظاً على الأمن القومي العربي، ومناهضة إسرائيل والهيمنة الإسرائيلية، والتضامن مع الشعب الفلسطيني، والإحساس بالمسؤولية تجاه الأقصى والمقدّسات في فلسطين تصبح مسألة إيرانية، وأنّ من يتبنّى هذا التوجّه يجب أن يلتفت الجميع لاستهدافه؛ لأنّه خرج عن العروبة!

هل العروبة عبارة عن عمالة، عن دناءة، عن انحطاط، عن استسلام، عن خضوع لإسرائيل، عن تماهي مع الأنظمة العميلة لإسرائيل؟ نقول للنظام السعودي العميل: هذا التشويش لن يفيدكم شيئاً؛ لأنّ عمالتكم مع إسرائيل مكشوفة.

أصبحت حقيقةً، نقول للنظام السعودي، وللأدوات التكفيرية أصبحت صهانية الهوى، وإسرائيليّ الولاء. هذا حالكم، هذا شأنكم، أصبحت تدعون لعناوين أخرى للصراعات بين أبناء الأمة، واستنزافها، بدلاً من توجيه بوصلة العداء لإسرائيل بالدرجة الأولى، واستطاع فعلاً الكيان الإسرائيلي أن يؤثّر في دفع النظام السعودي ليتبنّى هذا المشروع، ويكون على رأسه، ثمّ يتّجه في دفع بقية الأنظمة، وفي تحريك الأدوات التكفيرية في هذا الاتجاه، لاستهداف الشعوب، لإبعادها عن إسرائيل تماماً، لتحويل مسألة العداء لإسرائيل، والموقف منها، والموقف المسؤول تجاه القضية الفلسطينية، والمقدّسات في فلسطين، وشعب فلسطين مسألة إيرانية، مع أنّه كان يفترض أن تكون عربيةً في المقام الأوّل وإسلاميةً بالتأكيد، ثمّ إنسانيةً على مستوى أحرار العالم أجمع.

لقد نجح وتمكّن الكيان الإسرائيلي من تطويع النظام السعودي ليؤدّي هذا الدور كدورٍ أساسي. أصبح النظام السعودي يعتبر هذا الدور دوراً

أساسيًا بالنسبة له، يسخر فيه كل إمكاناته وقدراته، ويتحرك فيه بكل ما يقدر. وتمكّن المسّ الشيطاني الإسرائيلي في النظام السعودي في أن نرى هذا الجنون السعودي في عدوانه على اليمن، أن نرى هذه الرعونة، هذه الوحشية في ارتكاب أبشع الجرائم، وأفظعها بحقّ الشعب اليمني، العزيز، المسلم، العربي. هذا المسّ الشيطاني الإسرائيلي في النظام السعودي انعكس في ما يرتكبه هذا النظام من جرائم بشعة يندى لها جبين الإنسانيّة، جرائم لا نظير لها في المنطقة. ويمكن القول إنّ إسرائيل نجحت في أن تدفع النظام السعودي لأن يفعل ما هو أسوأ ممّا فعلت هي؛ ليرز في الذهنيّة العالميّة أنه الأسوأ، أنّه الأكثر والأفظع والأسوأ جرّمًا، والأطغى عدوانًا، نجحت في ذلك كما نجحت في دفع كلّ التكفيريين على هذا الأساس^(١).

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

خامساً- مسؤوليتنا اليوم

ما هي مسؤوليتنا اليوم في هذه الأوضاع؟ بالتأكيد مسؤوليتنا اليوم إحياء حالة العداء لإسرائيل باعتبار ذلك واجباً إسلامياً، فريضة، مسؤولية دينية في مواجهة الآخرين الذين يفرضون مسألة الولاء لإسرائيل وأن يمسخوا النظرة العدائية ويغيروها تجاه إسرائيل؛ يجب أن نحیی حالة العداء لإسرائيل وباعتبار ذلك ليس فقط خياراً سياسياً لا، أو ردّة فعل بل واجباً إسلامياً، فريضة دينية، العداء لإسرائيل فريضة دينية، جزء من التزاماتك الدينية.

كما تفترض المسؤولية أيضاً أن تكون إنسانية وأخلاقية وقومية ووطنية وغيرها، وهذا البعد والاعتبار مهمّ. وهو الجانب أساسي لاعتبارات واضحة: شعب فلسطين جزء من الأمة الإسلامية، ويجب علينا دينياً مناصرتة في مواجهة العدو الإسرائيلي، أرض فلسطين جزء من أرض الأمة وواجب علينا إسلامياً السعي لتحريرها حتّى لا يبقى منها ذرّة رمل واحدة. كذلك المقدّسات وعلى رأسها الأقصى الشريف، مسرى النبي ﷺ وثالث الحرمين الشريفين، وعلينا مسؤولية دينية في تخليص وتحرير هذه المقدّسات.

١- التمسك بالقضية الفلسطينية

لنعي جيّداً في هذا العالم العربي والإسلامي أنّ فلسطين هي المتراس المتقدم والخذق الأول الذي كلّمّا اهتّمت به الأمة، وناصرته، تقلّصت الأخطار في بقية أقطارها. لاحظوا لو أنّ العرب اتجهوا بكلّ جدية ومسؤولية

ووعي وبشكل صحيح إلى مناصرة الشعب الفلسطيني ودعم موقفه ومواجهة الخطر الإسرائيلي كما ينبغي؛ لحفظوا الميدان والساحة العربيّة والإسلاميّة من الكثير من المؤامرات ولم يصل إليها شرٌّ ومؤامرات إسرائيل وأمريكا ولربّما كانت قد مسحت إسرائيل أصلاً وانتهت.

لكن لو افترضنا أنّه بقي النزاع والصراع والمواجهة هناك، لكان كلّ أولئك مشغولين، ولما تفرّغوا لبقية الأقطار. لكنّ الأمة تركت فلسطين فانتقلت المؤامرات لتغزوها إلى بلدانها وأصبحت هي بنفسها ساحة مفتوحة غير محصّنة لا بوعي ولا بتعبئة ولا بأيّ شيء.

وأيضاً يتحمّم على الجميع العداة الواضح الصريح المترجم إلى مواقف؛ هذه مسألة مهمّة أن نترجم عداةنا لإسرائيل إلى مواقف عمليّة، ليس من الصحيح أبداً أن يأتي البعض ليقول: كلّنا يعادي إسرائيل، ولكن يحافظ على حالة العداة في أعماق نفسه، لا تترجم إلى أيّ موقف، هذا عداة ليس له إيجابيّة، أو أهميّة، ليس له قيمة.

هذه الحالة تصلح أن تكون حالة فردية لإنسان مستضعف لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا يستطيع أن يحرك ساكناً، أمّا عن أمة كبيرة عظيمة فلا يجوز أن يكون خياراً لها. وقد وصل الأمر بالبعض أنّه إذا ترجمت شعورك العدائي لإسرائيل إلى مواقف سخط عليك. يقول لك: كلّنا نعادي إسرائيل لكن اصمت! البعض يحاول أن يمنعك أن تترجم عداةك إلى مواقف، وأن يفرض عليك حالة الصمت، ويبرّر ذلك بأنّه هو أيضاً يعادي إسرائيل! يا سبحان الله هل هذه علامة ممتازة لنوع عجيب من العداة، نوع من العداة لإسرائيل يجعل الإنسان يغضب على أيّ إنسان يتخذ موقفاً عدائياً تجاه هذا العدو؟!.

القضية الفلسطينية هي قضيتنا ومسؤوليتنا وترتبط بها عزة وكرامة الأمة، والشعب الفلسطيني هو جزء من الأمة كلّها، ما يلحق به من ظلم، من قتل، من هتك للعرض، من إساءة، من كلّ أشكال الاضطهاد، هو تحدّ للأمة، وهو أيضاً امتهانٌ للأمة، وجنايةٌ عليها بأجمعها، وإذلالٌ لها، وهو أيضاً تجاوزٌ

لاستقلالها حين فقد الشعب الفلسطيني استقلاله في فلسطين فإنّ ذلك انتقاصاً لاستقلال كلِّ شعبٍ مسلم، وكلِّ بلدٍ عربي، وهو أيضاً يمثّل خطراً على الوجود الحضاري للأمة كلّها. ففي سبيل أن تبقى إسرائيل في موقع الهيمنة والقوّة، تحرص أمريكا على أن يبقى العرب تحت إسرائيل دائماً، تحت هيمنتها، تحت سيطرتها، في موقع الضعف، وفي موقع العجز، وفي موقع الاستسلام^(١).

فكلّما تأخّرت الأمة عن القيام بمسؤوليّتها تجاه هذه القضية يعظم الضرر، ويتفاقم الخطر، وتفسح المجال وتعطي الفرصة للعدوّ لتحقيق تقدّم كبير في ضرب الأمة، ونجاح مؤامراته التي تؤخّرها إلى الوراء أكثر فأكثر، وتزيدها ضعفاً وعجزاً، وتصعب عليها أيّ مواقف مستقبليّة، بما قد صنعه العدوّ من عراقيل وعوائق، مستفيداً من جمود الأمة وغفلتها، إذ هي تُستهدف ولا تُستهدف، وتُضرب ولا تُضرب، وبالتالي تتاح له الفرصة لإغراق الأمة من مشكلة إلى مشكلة، ومن معضلة إلى معضلة، ومن مؤامرة إلى أخرى.

وهذه الأمة التي أراد لها ربّها، وفرض عليها في دينها أن تكون الأمة التي تسارع وتسبق في إطار ما هو رضىّ لله، وما هو في إطار مسؤوليّتها، لا يليق بها أن تتأخّر ولا أن تتناقل، ولا أن تنصل عن المسؤولية، فيما العدوّ يتحرّك ولا يتوقّف أبداً، ويحرص على أن يأخذ دائماً بزمام المبادرة، ويعمل باستمرار كيداً ومكرّاً وغدراً، ويصنع المؤامرات، لا يكمل ولا يملّ، يحرص دائماً على إضعاف الأمة ليوصلها إلى درجة العجز، وليفقدتها كلّ مقومات الموقف اللازم على المستوى المعنوي، وعلى المستوى المادّي، يسعى بكلّ الوسائل والأساليب مستفيداً من آتة الإعلامية، مستفيداً من تأثيره السياسي، مستفيداً من القوى التي تخدمه من داخل الأمة، يسعى إلى إفقاد الأمة الإحساس بالخطر، يحرص على أن لا يكون هناك إحساس بخطورته، وبالتالي يهيئ الأمة للتناقل، والتخاذل، واللامبالاة، والتنصل عن المسؤولية بكلّ ما

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوئي بمناسبة يوم القدس العالمي ١٤٣٤هـ.

يمثله من خطر، بشرته الذي نرى آثاره وأضراره كل يوم وكل ليلة مع كل ذلك يحاول أن يفقد الأمة الإحساس بالخطر حتى يضمن بقاءها قيد الاستسلام، وبعيداً عن التحرك، وعن القيام بالمسؤولية^(١).

والشعب العربي الأكثر تفاعلاً مع القضية الفلسطينية هو الشعب اليمني. هذا الشعب الذي نستطيع القول وباطمئنان إنه الشعب العربي الأكثر تضامناً وجداناً، وإنسانياً وأخلاقياً معها، ولكنه على المستوى المالي فقير جداً نتيجة سياسة الإفقار، والاستهداف على مدى عقود لهذا الشعب، ثم هو شعب محارب بشكل كبير، وازدادت حدة العدوان عليه، وحدة الاستهداف له بقدر ما تنامي وعيه، وازداد تفاعلاً مع هذه القضية الرئيسية.

لقد برزت في الآونة الأخيرة المخاوف الإسرائيلية إلى العلن من الشعب اليمني، ومن ثورته الشعبية، ومن تنامي وعيه لدرجة أن بعض الإسرائيليين صرحوا بأن شعبنا اليمني أكثر خطورة من النووي الإيراني، وهذا ما يمكن أن نقول إنه شاهد على أن الانزعاج الإسرائيلي من تنامي الوعي في اليمن، ومن تفاعل شعبنا اليمني مع قضايا أمته الكبرى، كبير. ولذلك سعت إسرائيل واندفعت أمريكا أيضاً، وكلاهما دفع بالنظام السعودي كأداة قذرة، غبية، جاهلة، لا أخلاق لها ولا قيم لها لممارسة هذا العدوان وارتكابه بحق شعبنا اليمني العزيز، ونحن نتحدث عن حقائق ووقائع؛ تنياهاو نفسه عبّر عن انزعاجه من الوضع عندنا في اليمن، الإعلام الإسرائيلي تحدث كثيراً، بعد أن برزت هذه المخاوف إلى العلن وتعاضمت لدى إسرائيل، وصحبها القلق الأمريكي فكان هذا العدوان على بلدنا.

وبالتالي، نستطيع القول إن من أهم أسباب هذا العدوان ودوافعه هو المعاقبة لشعبنا اليمني على هذا التوجه الحر والمسؤول، وعلى هذا الوعي المتنامي تجاه القضايا الكبرى للأمة^(٢).

(١) من خطاب السيد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ١٤٣٤هـ.

(٢) من خطاب السيد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

ولكن بالرغم من كل ذلك شعبنا اليمني العظيم يزداد ثباتاً، ووعياً، وتمسكاً بموقفه المبدئي والمسؤول، ولن يتراجع أبداً، وقد كان صمود شعبنا اليمني العزيز عظيمًا بالرغم من حجم العدوان، وبالرغم من كل ما صاحب هذا العدوان، من تضليل إعلامي هائل، ومن حصار كبير، وكان ثباتاً متميزاً يقدّم الصورة الحقيقيّة عن أخلاق، وقيم، ومبدئيّة هذا الشعب العزيز، عن يمن الإيمان، عن يمن الحكمة، عن يمن الحضارة، عن يمن القيم والأخلاق، فلم ينكسر هذا الشعب، ولم يغيّر توجّهه، ولن يغيّر، والمسؤول، والحرّ، سيبقى اليمانيّون كما هم، وكما عرفهم العالم في بأسهم، وشموخهم، وثباتهم، وحرّيّتهم، وإبائهم، وعزّتهم، ولن تستطيع أيّ قوّة من قوى الطغيان والإجرام أن تكسر إرادتهم؛ لأنّهم يستمدّون عزمهم وقوّتهم من الله سبحانه وتعالى؛ ولأنّهم في موقف الحقّ، والعدل، وفي الموقف الصحيح. وسيظلّ شعبنا الحرّ الأبيّ مع القضايا الكبرى للأمة مهما كان حجم الجراح والمعاناة؛ لأنّه ينطلق من مبادئ، وقيم، وأخلاق؛ ولأنّه شعب حرّ وعزيز، لا ينكسر بفعل طيش التائهين، وجبروت المستكبرين وسنواصل المشوار جميعاً في إطار مسؤوليّتنا التي ترضي الله، وتشرّفنا، وتبني أمّتنا، وتدفع عنها المخاطر الكبرى، والعاقبة للمتقين^(١).

ومن ثمّ يستمرّ النظام السعودي في عدوانه على اليمن بكلّ ما يرتكبه من جرائم بشعة، وبكلّ تجرّد من القيم الإنسانيّة، والأخلاقيّة، والإسلاميّة بكلّ طغيان، بكلّ سوء، مستفيداً بالتأكيد من الغطاء الذي وقّره له أمريكا، التي لعبت دورها الرئيسي في هذا العدوان؛ وجّهت، أمرت، وقّرت الدعم اللوجستي، وكذلك الدعم المعلوماتي، بل إنّ الشعب اليمني يقتل اليوم في الأسواق والتجمّعات بالقنابل الأمريكيّة؛ مئات الأطفال الذين قتلوا في منازلهم، إنّما قُتلوا ودُمّرت منازلهم بالقنابل الأمريكيّة. النظام السعودي يزداد وحشيّة وإجراماً بغطاء سياسي وقّره له أمريكا، وبتشجيع، ودفع،

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

وحتّى، ومباركة، وتشجيع من إسرائيل، ومن العجيب أنّه يرتاح لذلك، النظام السعودي يتباهى بكلّ ما يفعل عندما تشجّعه إسرائيل، وتباركه^(١).

إذاً هذا الدور السليبي الذي تعلبه السعودية، وهذا الاستهداف لشعبنا اليمني العزيز، كان من أهمّ أسبابه ما عُرف به شعبنا اليمني العزيز من قيم، وأخلاق، ومبادئ، ومن تفاعل بارزٍ ومتميّزٍ في أوساط الشعوب العربيّة تجاه فلسطين، وتجاه القضية الفلسطينيّة، وتجاه العداء لإسرائيل. حينما تنامي الوعي في أوساط شعبنا اليمني، وحينما تميّز مستوى التفاعل في المسيرات، والمظاهرات، حتّى ونحن في الذكرى السنويّة للعدوان على غرّة نستذكر كيف خرج الشعب اليمني أثناء العدوان على غرّة بشكلٍ لا مثيل له في أيّ بلد عربي آخر، وتفاعلٍ كبير، وفعلاً إنّ مئات الآلاف من أبناء شعبنا اليمني ليَتوقُّون، ويتشوّقون، ويتمنّون أنّ لو كان بالإمكان أن يكونوا جنباً إلى جنب مع المقاومة في فلسطين، ومع المقاومة في لبنان في مواجهة مباشرة مع العدو الإسرائيلي.

٢- ضرورة إحياء يوم القدس العالمي

إنّ من فوائد هذه المناسبة في مواجهة ذلك كلّ، إحياء القضية في وجدان الأمة، لمواجهة كلّ المساعي لإنساء الناس هذه القضية الرئيسيّة والمهمّة. وأيضاً من فوائدها الخروج الكبير الذي يعبر عن ارتباط الأمة المستمرّ واستعدادها للتحرّك. في هذا اليوم، يخرج الملايين من أفواج شعوبنا المسلمة، وأمّتنا العزيزة، بصوتٍ واحد، وموقفٍ واحد، هو الموقف الذي يمثّل التوجّه الصحيح لأبناء الأمة؛ هو الموقف الذي يعبر عن هموم هذه الأمة، عن وحدتها، عن القضية الأساسيّة. هذا الخروج المليوني في عدد كبير من شعوب أمّتنا الإسلاميّة له أهميته، له دوره الكبير في تغيير الواقع وفي الحفاظ

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

على هذه القضية، كذلك يحسب له الأعداء ألف حساب، وبالتأكيد لا يرتاحون له أبداً^(١).

فمما يجب أن نرسخه في أنفسنا جميعاً في هذا اليوم أن هذه القضية الكبيرة، وهذا الصراع الرئيسي والمهم والكبير مع قوى الاستكبار، وفي طليعتها إسرائيل وأمريكا يجب أن ترتبط بمسار عملي شامل، هذا الخروج مهم؛ لكن لا تنتهي المسألة بانتهاء هذا اليوم، ولا بالانتهاء من هذه المظاهرات، وهذا التحرك الشعبي الكبير. لا.

ولذلك يجب أن تُصِرَّ الأمة، وأن تمسك الشعوب بهذه القضية وعياً ومسؤوليةً وتحركاً عملياً على كل المستويات: إعلامياً، ثقافياً، وفي المناهج المدرسية، والنشاط التثقيفي، وتعزيز روح العدا والسخط؛ لأنهم يريدون أن يقدموا العدو الإسرائيلي كصديق. يجب تعزيز روح العدا والسخط بشكل مستمر، تفعيل المقاطعة في مواجهة التطبيع، المقاطعة على كل المستويات، الدعم لحركات المقاومة وللشعب الفلسطيني، وأن تجعل الأمة من هذه القضية الجوهرية منطلقاً في إستراتيجيتها، في برامجها العملية، في منطلقاتها وخطتها العملية، ثم التمسك بمحورية ومعيارية القضية؛ لتبقى هذه القضية هي المعيار لمعرفة من يوالي إسرائيل، ويقف في صفها، ويطلع معها، هذا المخطئ، المنحرف، ومن يعادي إسرائيل، ويتحرك ضدها هو المصيب معيار حق؛ لأنها قضية مُجمَع على أنها قضية عادلة.

القضية الفلسطينية قضية عادلة، الأقصى الشريف كمقدّس، ثم مظلومية الشعب الفلسطيني، والاقطاع للأرض الفلسطينية قضية عادلة بالإجماع؛ فتكون قضية محورية، وتعزيز الاتجاه النهضوي للأمة، هذا شيء مهم؛ لأن الصراع مع إسرائيل صراع شامل، ويجب أن تتجه الأمة على نحو شامل؛ لتبني نفسها على كل المستويات: علمياً، ثقافياً، صناعياً، اقتصادياً بشكل عام، ثم على كل المستويات.

(١) من خطاب السيد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

وشعبنا اليمني العزيز - بحكم هويّته بإيمانه، بأخلاقه، بقيّمه - يجب أن لا يكثرث ولا يبالي بالآخرين، الذين يحاولون أن يجعلوا من موقفه الأصيل، والمبدئي، والقيمي، والأخلاقي، والإنساني ذنباً عليه. شعبنا اليمني من الطبيعي أن يكون - قبل غيره من الشعوب - أوّل شعب في الدنيا يعادي إسرائيل، هذه قضيّة طبيعيّة لو حصلت، وعداؤه لإسرائيل هو عداء راسخ، ليس طارئاً، إنّما تنامي ضمن إطار عملي، ضمن تحرك عملي، وبقي ثابتاً في مرحلة حدثت فيها متغيّرات وانحرافات لدى آخرين^(١).

شعبنا يتّجه لإحياء هذه المناسبة من واقع الشعور بالمسؤوليّة، بدافع إنسانيّته، بدافع قيمه، بدافع أخلاقه، وهو يعبر بهذا عن أصالته، ينطلق وهو يحمل ذلك الرصيد العظيم من القيم والمبادئ والأخلاق التي لا يستطيع الآخرون إزاحتها عنها مهما عملوا، ومهما فعلوا، ومهما كانت جرائمهم، ومهما بلغ عدوانهم.

شعبنا اليمني اليوم وأمام هذا العدوان الأمريكي السعودي الذي لم يرعَ أيّ حرمة، وطال كلّ شيء في هذا البلد؛ الإنسان بكلّ مقدّراته؛ الأطفال والنساء والصغار والكبار، ومنشآت الحياة والمرافق الخدميّة إنّما يزداد وعياً، يزداد ثباتاً على مبادئه، وتمسكاً بقيمه وأخلاقه، وإدراكاً لمسؤوليّته؛ فالمشروع السعودي التكفيري لا ينفصل عن المشروع الإسرائيلي.

وهو يعي أيضاً أنّ كل ما يحصل سواءً من خلال هذا العدوان الذي يستهدف هذا البلد بشكل مباشر، ومن كلّ ما يجري في المنطقة، في معظم الدول التي تشهد الكثير من الأحداث نتيجة ما يقوم به التكفيريّون، الذين هم مشروع لا ينفصل بأيّ حال من الأحوال عن إسرائيل، وعن خدمتها، وعن مصلحتها.

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

يمثل النظام السعودي البؤرة الرئيسيّة والأساسيّة لنشوء التيارات الإجراميّة، التكفيريون اليوم في المنطقة، سواءً فيما يقومون به في بلدنا، من خلال ما تقوم به داعش والقاعدة وأخواتها، ومن خلال ما يحصل في بقية البلدان العربيّة في سوريا، وفي لبنان، وفي العراق، وفي مصر، وفي تونس وفي ليبيا وفي غيرها. وهم أدوات إجراميّة، يمثّل النظام السعودي المنشأ لها، يمثّل الأبّ والأمّ، ويمثّل المصدر الأساسي والرئيسي والأهمّ في تمويلها وتحريكها وتغذيتها وتنشئتها ونشرها وإيجاد البيئة والمناخ اللازم لها^(١).

ونحن كشعب يمني لا بدّ أن نترجم هذا العداء إلى مواقف صريحة وواضحة في دعم حزب الله وتأييده وتأييد حركات المقاومة في فلسطين؛ لأنّ هذه الحركات تمثّل اليوم رأس الحربة في مواجهة إسرائيل بشكل مباشر. حزب الله يشكّل جبهة مباشرة في التصدي لخطر إسرائيل، وحركات المقاومة في فلسطين - كذلك - تشكّل جبهة مباشرة في مواجهة العدو الإسرائيلي. وفي مقابل سعي الآخرين لتجريم هذه الحركات المجاهدة والمقاومة في فلسطين ولبنان، لا بدّ أن نرفع صوتنا عاليًا نواجه هذه المحاولة من التجريم والعزل والتشويه وتصدي لها في أوساط أمتنا وشعبونا.

ثمّ أن نترجم عداءنا لإسرائيل بشكل واضح في الشعارات، في الفعاليّات، في نشاطنا الإعلامي، أن لا يغيب الاهتمام بالقضيّة الفلسطينيّة، التوعية للأمة عن الخطر الإسرائيلي، التعبئة والتحريض على إسرائيل من على وسائلنا الإعلاميّة، في نشاطنا التثقيفي، في مناهجنا، أن نعيد هذا الحضور، وأن نسعى إلى تعزيره في شتى أنشطتنا التثقيفيّة والتعليميّة.

الله هو من يحدّد مسؤوليّة المسلمين؛ أن نقف ضدّ الطاغوت، ضدّ الظلم، ضدّ المتكبرين المستكبرين والظالمين، الله سبحانه وتعالى يقول لنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾^(٢) هذه مسؤوليّة أن نتّجه كيف

(١) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

(٢) سورة الصف، الآية ١٤.

نكون من أنصار الله؟ ولن نكون من أنصار الله إلا بأن نواجه قوى الطاغوت والظلم والظلام. ثم إغفاؤك لنفسك من المسؤولية لن يعفيك من آثار ذلك ونتائجه، لذلك نتائج كبيرة وسيئة في الواقع.

٣- أهمية المقاطعة

المقاطعة مهمة، لاحظوا يا إخوة ويا أخوات، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١) لاحظوا هذه الآية المباركة نزلت تمنع عن المسلمين مفردة، وكانت مفردة عربيّة (راعنا) يقول المفسرون والمؤرخون: إنّ اليهود كانوا يستخدمون هذه المفردة ويقصدون معنى آخر فيه إساءة ضمنيّة للنبي ﷺ فكانوا يستفيدون من معنى محتمل من هذه المفردة.

القرآن الكريم منع على المسلمين استخدام هذه المفردة، وأمرهم إلزاماً بمقاطعتها - لاحظوا معي - بمقاطعة مفردة، لماذا؟ لأنّ اليهود كانوا يستفيدون منها استفادة سيئة، فمنع القرآن استخدامها حتّى لا يستفيد اليهود منها لأنهم سيستمرّون في استخدامها لو بقيت مستخدمة لدى العرب.

فإذا كان هناك مقاطعة لمفردة عربيّة، أمّا اليوم فالبضائع الإسرائيليّة والأمريكيّة، أمريكا أكبر داعم وحاضن وراع لإسرائيل، والبضائع الأمريكيّة والإسرائيليّة تشكّل أكبر مصدر دعم رئيسي لهما (لإسرائيل ولأمريكا).

المقاطعة، وما أدراك ما المقاطعة؟ المقاطعة الاقتصادية للبضائع الإسرائيليّة والأمريكيّة هذا من أهمّ الخيارات المتاحة لكلّ شخص فليس هناك أيّ مبرر، الكثير يريد لنفسه أن لا يتحمّل أيّ مسؤوليّة وأن لا يتخذ أيّ موقف وأن لا يتحرّك أيّ تحرّك، يريد أن يبقى إنساناً فارغاً ليس له أيّ موقف! هذا لا ينجيك أمام الله أن تعتبر نفسك غير معني بشيء.

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٤.

والمقاطعة من أبناء الأمة اليوم مهمّة؛ لأنّ عالمنا العربي هو سوق من أكبر الأسواق في العالم، سوق مستهلك ... لأنّ مستوى الإنتاج عندنا في العالم العربي ضعيف، ويكاد يكون حكرًا، فنعتمد في مشترياتنا، وفي استهلاكنا على المنتجات الأجنبية، نستورد كلّ شيء، لا ننتج كما ينبغي وبالتالي تذهب معظم أموالنا إلى أعدائنا، وتشكّل ثروة لهم، ومصدر دخل كبير.

لاحظوا اليوم النفط العربي من أكبر مصادر الدعم لأمريكا، وبالتالي لإسرائيل. ما استفادت منه أمريكا تستفيد منه حتّمًا إسرائيل، هذا أمر لا شكّ فيه، ويظهر في الخفاء أنّ هناك تعاونًا مباشرًا ودعمًا ماديًا مباشرًا لإسرائيل، ولكن على المستوى الرسمي الطامة واضحة والكارثة كبيرة ومعظم خيارات هذه الأمة تصبّ في جيوب أعدائنا.

ولكن على مستوى واقعنا الشعبي، وعلى مستوى أن نشكّل داخل شعوبنا توجّهًا معاديًا لإسرائيل له مواقف عمليّة، وله تحرّك عملي، ويسعى إلى أن يتّسع نطاق نشاطه في أوساط الأمة، فعندما يقاطع الآلاف يكون لمقاطعتهم تأثير، عندما يقاطع مئات الآلاف سيكون هذا التأثير أكثر، وعندما يقاطع الملايين من أبناء شعوبنا للبضائع الأمريكيّة والإسرائيليّة سيكون لهذا تأثير أكبر.

طبعا، جرى هناك كلام كثير حول هذا الموضوع من شخصيات سياسيّة، من جهات متعدّدة، هناك ندوات عقدت بهذا الشأن، هناك دعوات رسميّة في مراحل أذكر عندنا في اليمن، في مرحلة من المراحل قبل سنوات طويلة دعا مجلس النواب إلى مقاطعة البضائع الأمريكيّة والإسرائيليّة.

على كلّ، هذا الموضوع يجب أن يحظى باهتمام حتّى في الثقيف، في المساجد، في الوسط الجامعي والمدرسي، وكذلك في الأوساط الشعبيّة، وأن يلقى نشاطًا مستمرًا، ولاحظوا هناك فوائد كثيرة جدًّا، لو اعتمدت

المقاطعة للبضائع الأمريكية والإسرائيلية في أوساط أمتنا فإن ذلك سيتيح الفرصة لتنمية الإنتاج المحلي.

وهناك - للعلم - بدائل للبضائع الأمريكية والإسرائيلية، وأي شيء تريده هناك ما هو بديل عنه من مختلف الاحتياجات والبضائع، فلا حجة للإنسان ولا مبرر أمام الله سبحانه وتعالى. والمشكلة خطيرة جداً؛ لأنك ستكتب عند الله داعماً لإسرائيل، وداعماً لأمريكا إذا كانوا يستفيدون بمالك، وأنت باستطاعتك تحبب ذلك، هذا باستطاعتك أن تحرص أن لا يصل هذا الدعم إليهم، باستطاعتك أن تعتمد في مشترياتك واحتياجاتك ومتطلبات حياتك على بدائل حتى لا تذهب أموالك إليهم.

عندما تصحح شريكاً لإسرائيل ولأمريكا في جرائمها وظلمها، أي مشكلة أكبر من هذه، وأي خطر أكبر من هذا على دينك.

وهذه المسائل ستكون مهمة يوم القيامة؛ لأن البعض من المثقفين الخطباء يحذر من الغيبة والنميمة، ونحوها، وينسى مثل هذه المسائل. لا بأس ثقّف عن كلّ الأخطار، وحذّر من كلّ الذنوب والمعاصي، ولكن لا تنسى المسائل الكبيرة ولا تغفل عنها، كلّ شيء محسوب يوم القيامة وسيبقى للمسائل الكبيرة أهميتها وليس بالمستطاع تهميشها آنذاك، ستبقى هذه القضايا كبيرة يوم القيامة، وحاضرة، وكلّ منّا سيحاسب ويسأل ويجازى.

فالمقاطعة مسألة مهمة، أمر الله المؤمنين إلزاماً في مقاطعة كلمة كان يستفيد منها اليهود، فما بالك بالمليارات التي يستفيد منها اليهود الصهاينة، والتي يستفيد منها الأمريكي؟

لا تبالوا بالمخدلين المشيطين فليكن همّ الإنسان أن يؤدّي مسؤوليته، في المقاطعة السياسيّة، والإعلامية؛ لأنّ الآخرين يحاولون أن يكونوا تطبيقاً سياسياً وإعلامياً، بدأوا حتى من السعودية يتواصلون مع القنوات الإسرائيلية مباشرة، ويشاركون معهم في البرامج، ويتحدّثون عن العلاقة مع إسرائيل.

يريدون أن يكون احتكار الجانب الرسمي للقضية الفلسطينية، ولموضوع إسرائيل والعلاقة مع إسرائيل، شأنًا رسميًا لا علاقة للشعوب بها، ثم يقال لنا كشعوب: اصمتوا لا تتدخلوا نهائيًا، بلى تتدخل، نحن معنيون، نحن أصحاب مسؤولية دينية، لأنّ هذا خطر يتجه إلينا، لنا الحقّ في مواجهته، ولسنا عبيدًا لأحد، وليست هذه الشعوب ملكًا إلاّ لله، ليست ملكًا لأمير هنا، ولا لملك هناك، ولا نظام هنا، ولا لسلطة هناك.

نحن شعوب حرّة يجب أن نحافظ على حرّيتنا وأن تكون خياراتنا مستمّدة من قناعاتنا ومن أخلاقنا ومن مبادئنا ومن قيمنا، وأن نتصدّى لمحاولة فرض الصمت والجمود. كلّما قالوا لنا اصمتوا يجب أن نرفع أصواتنا أكثر، وكلّما قالوا اجمدوا أن نزيد من فعّاليّاتنا وأنشطتنا ولا نكتثر نهائيًا لأساليب الصّدّ المعروفة: اسكت وإلاّ فأنت إيراني، قل إيراني حتّى ينفجر رأسك لن يثينا ذلك عن مواقف مسؤولة، لو لم تكن إيران في الوجود لكانت هذه خياراتنا وقناعاتنا، سنقول إسرائيل هي عدوّ، وسعاديبها؛ لأنّها عدوّ مبين مهما قال الآخرون لن نكتثر لهم، وأقول لشعبنا اليمني: لا تكتثر لكّل تلك الأبواق.

أيضًا نوجّه النصح للأطراف الأخرى لمراجعة مواقفها، هي خاسرة في النهاية، اليوم كلّ الذين اتجهوا لموالاتة إسرائيل والتحالف والتطبيع معها من أبناء الأمة: النظام السعودي، النظام الإماراتي، غيرهم، نحن نقول لهم بنصح صادق: أتمّ تتجهون اتجاهًا أكّد الله أنّ نهاية هذا الاتجاه هي الخسارة، لماذا؟ لأنّ إسرائيل وأمريكا لن تقدّران لكم ذلك أبدًا، هم يتعاملون معكم على أساس الاستغلال فقط، يرون فيكم أدوات تستغلّ حتّى يحين الاستغناء عنها، فلن يكون لها أيّ قيمة، ولا اعتبار، بل لن يقدر لها ما قد عملت وسيتمّ القضاء عليها.

لا يمتلك الأمريكي ولا الإسرائيلي رؤية عن النظام السعودي، ولا عن غيره من الأنظمة الموالية له بأكثر ممّا قال عنه ترامب: (إنّها بقرة حلب) نحلّها ثمّ نذبحها حين نكمل حلبها، وتنتهي عمليّة الحلب والاستغلال لثرواتكم، وأموالكم وملياراتكم. كان يمكن للسعودية بهذه الأموال لو لم تذهب إلى

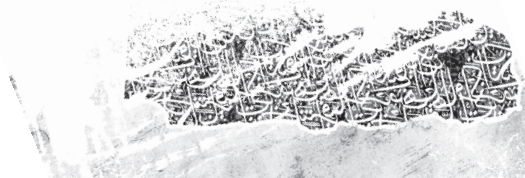
جيوبهم - حتى لو افترضنا أنكم لم تكونوا تريديون بها دعم القضية الفلسطينية - أن تكون في نهضتها أكثر من اليابان، أن تكون دولة ليس فقط منتجة للمراعي، أو منتجة لبعض من الألبان والحليب، أن تكون منتجة لكل ما تحتاج إلى إنتاجه، أن تكون بلدًا مكتفيًا في توفير الاحتياجات الضرورية، بلدًا يحقق لنفسه الاكتفاء الذاتي في الغذاء والملابس، أن تكون بلدًا رائدًا في العالم في تصنيعه وإنتاجه لمختلف الأغراض، دون الاستعانة بأجانب، ومع توريد علف من أمريكا للأبقار، وحينها تنتج قليلًا من الحليب أو الحقن، وتفاخر بذلك في العالم، أو صحنًا للأرز كبيرًا أكبر صحن أرز في العالم، لا.

لاحظوا اليوم كل ما تقدّمه هذه الأنظمة التي توالي إسرائيل وأمريكا لهما لا يقدر لها، ولا تنظر هذه الدول للأنظمة العربية نظرة جميل؛ هم يعتبرون هذه الأمة أمة ساذجة يستغلونها، يلعبون بها، ينهبون ثرواتها، يحركونها لضرب بعضها بعضًا، ثم فيما بعد يمكن أن يفعلوا بها أي شيء.

السعودية ستخضع للتقسيم كما بقيت بلدان المنطقة مستهدفة بالتقسيم، كما العراق وسوريا، واليمن، وكذلك بقيت بلدان المنطقة. الجميع حين الاستغناء عنهم لن يحظوا ببذرة من الاحترام. القرآن الكريم قدّم تعبيرًا عجبياً ﴿هَاتِنْتُمْ أَوْلَاءَ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾^(١) في الوقت الذي ترقصون وتطبلون فيه لهم، وتبدون لهم حفاوة عجيبة جدًا، وتودّدًا منقطع النظير لا يمتلكون مثقال ذرة من المحبة لكم.

هم يرون أنه لا مانع من الاستغلال فليستغلّوكم، ينهبون ما معكم من ثروات ومليارات وبترو دولار وغير ذلك ليستفيدوا منكم في إثارة المشاكل والحروب والنزاعات داخل الأمة، وفي شتات شمل الأمة، وتجزئتها بأكثر ممّا هي عليه. لذلك نحن نطلب بنصح من هذه الأنظمة أن تراجع نفسها، وتغيّر سياستها العدائية في الداخل العربي تجاه اليمن، تجاه العراق، تجاه سوريا.

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٩.



وهنا، كذلك أتوجّه بالنصح إلى النظام السعودي: من مصلحتك أن تغيّر سياستك العدائية تجاه اليمن الذي هو جارك، غيّر سياستك هذه لمصلحتك ومصلحة المنطقة، وأن تغيّرها بسياسة تعتمد قاعدة حسن الجوار والأخوة العربيّة والإسلاميّة. هذا أحفظ لمالك، لثروتك، لأنك، وإلا ستكون النتائج عليك خطيرة وسليّة.

وأولئك لن يألوا جهداً في أن يمتصّوا حليبك كما قالوا، يحبونك، ينهبوا ثروتك، يفقروك ويوصلوا شعبك إلى الفقر، أن يجعلوك في مشاكل دائمة هنا وهناك. والله لا يريدون لك الخير ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١)، هم يستغلّونك فحسب^(٢).

٤- كشف المؤامرة بين الأنظمة العربيّة والكيان الإسرائيلي

اليوم أصبحت الروابط بين بعض الأنظمة العربيّة والإسرائيلي مكشوفة، وعلانية، هذا ما كانوا يتحاشونه في الماضي، واليوم لم يعودوا يتحاشون ذلك؛ قلّة حياء زائدة، أصبحت اليوم الأمور مكشوفة وبالعلن: العلاقة مع إسرائيل، التحالف مع إسرائيل، الروابط الاستخباراتيّة العسكريّة الأمنيّة الاقتصادية السياسيّة مع إسرائيل بالعلن، وبوضوح.

هذه الحالة السليّة جدّاً من الارتداد القيمي، والأخلاقي، والمبدئي، في واقع بعض الأنظمة تشهد على ضرورة الدور الشعبي، وعلى أنّه أصبح هو الخيار النهائي للأمة، لم يعد بإمكان الشعوب أن تراهن على الأنظمة؛ لأنّ القضية أكبر من مستوى الأنظمة، حتّى لو أخلصت وصدقت ووفت واتجهت، لا بدّ من الدور الشعبي إلى جانب الدور الرسمي، فما بالك حين يغلب على

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٥.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٧ رمضان ١٤٢٨ هـ.

أكثر الأنظمة الإهمال، وعلى بعضها الارتهان، والعمالة، والتحالف، والتعاون مع العدو الإسرائيلي، والانضمام إلى صفّه.

في مقابل ذلك - وهذا واضح من آخر ما حصل - أنّ هناك توجّه لإبراز دور قيادي للصهيوني، بمعنى أنّ البعض أصبحوا قابلين أن ينضوا تحت لواء الإسرائيلي؛ ليكون في موقع الريادة والقيادة، ويكون لهم الدور الأبرز^(١).

٥- التصدي للخطر التكفيري ضرورة وواقع لا مناص منه

الخطر التكفيري خطر يستهدف الأمة ابتداءً، يبادر ويستهدف الناس؛ العراقيين، السوريين، اللبنانيين، اليمنيين، الأتراك، يستهدف كلّ شعوب المنطقة، حتّى شعب المملكة العربيّة السعوديّة استهدفه، كلّ المناطق استهدفها التيار التكفيري، ونفّذ عدّة عمليات في بعض المدن، والمساجد.

هذا الخطر التكفيري هو نتاج، وصناعة العمل الاستخباراتي الأمريكي والإسرائيلي مع بعض الأنظمة العربيّة. لقد صنعت هذا الخطر، واستهدفت به وعي الشعوب، واهتمامهم، ولذلك في سياق التصدي للخطر التكفيري، والنظرة إليه؛ يجب أن ننظر إليه ضمناً، يعني: أنّه امتداد للخطر الصهيوني، نتاج ووليد له، وأنّه أيضاً شغل في وسط الأمة ليكون رأس حربة للتصدي والتعدّي على كلّ من يتجه الاتجاه الواعي في أوساط الأمة، مهما كانت حجم المشاكل، والأحداث، والمؤامرات، والتحدّيات، والأخطار، وكلّ أشكال المؤامرات يجب أن لا تبعدنا، وأن لا تستغرق كلّ اهتمامنا؛ فتغيب عن ذهبتنا، وعن اهتمامنا، وعن توجّهنا، قضايانا الرئيسيّة، وفي مقدّمتها هذه القضية، التي هي أمّ القضايا، وأكبرها، وأهمّها: فلسطين، الأقصى الشريف، الخطر الإسرائيلي، وأن تكون كل المؤامرات محسوبة ضمن هذا المشروع الهدّام التدميري لضرب الأمة^(٢).

(١) كلمة السيّد عبد الملك بدر الدين الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ١٤٣٧هـ.

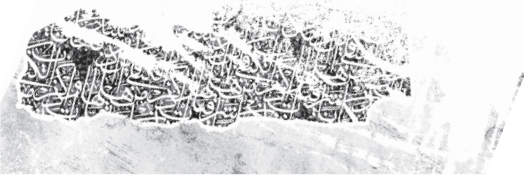
(٢) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

وأخيرًا، حتّى نكون فاعلين وعلى قدر من المسؤوليةّ، لا بدّ أن نهتمّ بعدة أمور:

أولًا، يجب أن ترتبط مسؤوليتنا بمسارٍ عمليّ شامل، حتّى تصبح توجّهًا للجميع، وأساسًا تبنى عليه السياسات، والمواقف، وعلى أساسه واقع الأمة كلّها، حتّى على المستوى الاقتصادي، والعلمي وفي كلّ شؤون الأمة. إنّ وجود تحدٍّ كبير بهذا المستوى يمكن أن يمثّل حافزًا مهمًّا في بناء الأمة لكي تكون بمستوى المسؤوليةّ، وبمستوى مواجهة هذه التحديات. هذا الخطر الذي يتجاوز بقعة فلسطين العريضة والغالية والمقدّسة، وبارك الله فيها وفيما حولها، يتجاوزها إلى كلّ العالم الإسلامي، وإلى كلّ المنطقة العربية، وكلّنا نعلم ما تعمله إسرائيل على مستوى المنطقة، بشكلٍ مباشرٍ وغير مباشر، بشكلٍ جليٍّ وبشكلٍ خفيٍّ، وما عملته في السودان، وما عملته في سوريا، وهكذا تحاول أن تجعل المنطقة كلّها تحت رحمتها وتحت هيمنتها، بل تحاول أن تجعل الشعوب العربيّة والإسلاميّة تحت أقدامها.

لذلك مثلما يتحرّك العدو يجب أن تتحرّك الأمة في كلّ الاتجاهات، على مستوى الدعم المعنوي والمادي للمقاومة في فلسطين وفي لبنان مع الحرص والعمل والسعي لأن يكون هناك تواصل مباشر بين الشعوب نفسها، ما بين الشعوب والمقاومة؛ حتّى لا تسمح الشعوب باستمرار حالة العزل والحصار ومحاولة فرض القطيعة، ما بين شعوب المنطقة والشعب الفلسطيني ومقاومته، والمقاومة في لبنان التي ألحقت بالعدو الإسرائيلي أكبر هزيمة، وقدّمت أعظم درسٍ للأمة أعاد لها الأمل، والثقة بالله وبنفسها، إنّها حينما يتحقّق للشعوب نفسها التواصل المباشر، والدعم المباشر للشعب الفلسطيني المظلوم ولمقاومته، وللمقاومة في لبنان يمكن أن تتغيّر الأمور إلى حدٍّ كبير.

ثانيًا، العمل على تعزيز المسؤوليةّ لدى الجميع، كلّ فردٍ منّا في مقام التكليف، عليه أن يستشعر مسؤوليّته تجاه مقدّساته، تجاه إخوته وشعبه في فلسطين، تجاه أمّته، تجاه خطر يपाल ضرره الجميع بلا استثناء. لا يتوقّعن



أحد، أو يظننّ، أو يتوهمنّ أنّه بمعزل عمّا يجري من نتائج سلبية، وأضرار ومخاطر على أمته من حوله. كلّما تعرّز الشعور بالمسؤوليّة لدى الجميع كلّما دفع الجميع للتحرّك، وكلّما انطلق الجميع في الموقف المسؤول الذي يترتّب عليه النصر والتأييد من الله وتغيير الواقع، وللأمة قوّتها وطاقاتها ولها مقوّمات الموقف، المقوّمات المعنويّة والماديّة كلّها متوفرة، إنّما يجب أن تلتفت الأمة إليها، وأن تهتمّ بها، وأن تعمل على تنميتها.

لا تصدق الأمة كلّ الذين يحاولون أن يعرّزوا فيها اليأس وأن يرسخوا فيها حالة الإحباط، وأن يدفعوها إلى الاستسلام، الذين يعملون على أن يقنعوا الأمة بأنّها ضعيفة، وعاجزة، وليس باستطاعتها فعل شيء، ويحاولون إفقادها الأمل بالله سبحانه وتعالى، أمّتنا الإسلاميّة أمة لديها كلّ المقوّمات التي تحتاج إليها ليس فقط لدفع الخطر، بل لمستوى تحقيق النصر.

ثالثاً، الاهتمام بالوعي من الأشياء المهمّة أيضاً، وما أوجنا إليه، وإلى البصيرة. وجزء كبير من اهتمام العدو، ومساحة واسعة من أنشطته واهتماماته تصبّ في تزييف الوعي لدى أمّتنا وشعبونا، لذلك نحتاج إلى الوعي وأكثر من أيّ وقت مضى، الوعي الذي يساعد على إفشال مؤامرات الأعداء وكشفها، وفضح الحاملين لها، والوعي الذي يساعد على بناء الأمة لتكون بمستوى المسؤولية، ومستوى المواجهة، والوعي الذي يحدّد لنا الموقف الحكيم والصحيح الذي يجب أن نتبّاه جميعاً.

رابعاً، من أهمّ الأشياء التي يجب أن ننادي بها في هذا اليوم العظيم والمشهود، وجوب وضرورة العودة إلى القرآن الكريم، لقد تكبّدت الأمة خسائر كبيرة: على المستوى التربوي، والمعنوي، والعملية نتيجة ابتعادها عن كثير من مفاهيم القرآن الكريم. يجب العودة إلى القرآن الكريم عودة واعية صادقة للاستفادة من عطائه المعنوي، وهدايته الشاملة، ورؤاه الحكيمه، ولأنّ ذلك يحقّق للأمة العودة الصادقة إلى الله العزيز الحكيم خير الناصرين.

خامسًا، يجب على كلِّ الأحرار والواعين والمؤمنين الذين يستشعرون المسؤولية ويعون خطورة الوضع أن لا يرهنوا مواقفهم بمواقف المتخاذلين، لا يرهنوا مواقفهم بالآخرين، لا بالمتخاذلين، ولا بالمتآمرين، بل يتحركوا بالاعتماد على الله، والثقة به. وإنَّ مساعيهم وخطواتهم وبالثبات والعمل وفق الرؤى الحكمة البناءة، وبالتوكُّل على الله سبحانه وتعالى سيحالفها النصر والنجاح، لأنَّها هي التي يتطلَّبها الواقع وتفرضها الحاجة، وهي الحقيقة في مقابل الزيف، وهي الواقع في مقابل الوهم وإن واجهوا الصعوبات والعراقيل، فعظمة الحقِّ تكمن في أنَّه ينتصر في مواجهة التحدّيات الكبيرة، وصدق الله القائل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١) ولا يبالوا بكلِّ الذين تدفعهم أمريكا، أو يندفعون هم مع أمريكا لمواجهة كلِّ موقف، وإسكات كلِّ صوت، ولتزييف الوعي، وتويه الأُمَّة، لا يكثرثوا بهم، ولا يبالوا بهم، فلنواصل المشوار جميعًا في إطار مسؤوليتنا التي ترضي الله، وتشرفنا، وتبني أُمَّتنا، وتدفع عنها المخاطر الكبرى، والعاقبة للمتقين^(٢).

مسؤوليتنا جميعًا أن نستعين بالله، أن نتوكَّل عليه، وأن نشق به، وأن نطمئن إلى وعده الصادق بالنصر، وأن ندرك مسؤوليتنا فيما علينا أن نعمل، وأن نحذر التقصير فيما علينا أن نعمل، ونسأل الله تعالى أن يكتب لشعبنا اليميني العزيز في هذا الشهر المبارك النصر والفرج، وأن يرحم شهداءه، ويشفي جرحاه، وأن يعين إخواننا الفلسطينيين، وإخواننا المجاهدين في المقاومة الفلسطينية، والمقاومة اللبنانية في مواجهة العدو الإسرائيلي، وأن يوفِّقنا لما فيه رضاه، وأن يجعلنا في هذا الشهر الكريم من عتقائه، وطلاقه من النار إنَّه سميع الدعاء^(٣).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) من خطاب السيّد عبد الملك الحوثي بمناسبة يوم القدس العالمي ٢٠١٥م.

(٣) المصدر نفسه.